

ISSN: 2231-1912

# مجلة الدراسات العربية

مجلة علمية أدبية ثقافية سنوية

العدد : ١٨

ديسمبر: ٢٠٢١

رئيس التحرير:

أ.د. شاد حسين

المحرر:

د. طارق أحمد آهنگر

هيئة التحرير:

أ. د. منظور أحمد خان

أ. د. صلاح الدين تاك



تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير

سري نغر، كشمير (الهند) ١٩٠٠٠٦

© جميع الحقوق محفوظة

اسم المجلة:

**مجلة الدراسات العربية**  
ISSN 2231-1912

رئيس التحرير:

أ.د. شاد حسين

الناشر:

قسم اللغة العربية،

جامعة كشمير، سري نغر (الهند)

الكتابة والتصميم:

د. طارق أحمد آهنگر

بدل الاشتراك:

في الهند: ٣٠٠ روبية هندية

في الخارج: ١٥ دولارا

المراسلات:

توجّه المقالات والرسائل والاشتراكات إلى

العنوان التالي:

رئيس قسم اللغة العربية،

جامعة كشمير، سري نغر

(الهند) - ١٩٠٠٠٦

الهاتف:

0194-2272330, 2272331, Ext. 2330

البريد الإلكتروني:

[hodarabic@kashmiruniversity.ac.in](mailto:hodarabic@kashmiruniversity.ac.in)

من أهداف المجلة:

❖ إتاحة الفرصة للباحثين ومدرّسي اللغة العربية للتعبير عن آرائهم وأفكارهم.

❖ اطلاع الدارسين والباحثين على الثقافة العربية والمستجدّات في العالم العربي.

❖ اكتشاف إمكانيات الاتصال والتفاعل بين معاهد اللغة العربية ومراكزها في الهند وخارجها.

❖ تزويد مدرّسي اللغة العربية بالمعلومات الجديدة عن المناهج التعليمية والتدريبية.

❖ نشر العلوم والفنون العربية وتعميم اللغة في الهند.

جميع المقالات والبحوث المنشورة في هذا العدد تعبر عن آراء كتابها ولا تعكس بالضرورة عن رأي المجلة

## محتويات العدد

كلمة العدد ٥

### الدراسات الإسلامية

١. التعامل القرآني مع دلالات الكلمات  
٧ الدكتور بشير أحمد لون
٢. آثار علماء الهند في أدب السيرة - " حياة الصحابة." نموذجاً  
١٦ د. الدكتور محمد رياض، وأيوب. أي.
٣. تمثيل الألوان الذهنيّة في الفكر القرآني: الأبيض والأسود نموذجاً  
٣٠ د. سابق ام. كي، وسيّاف أمين كي. سي

### الثقافة والأدب

١. الأستاذ محمد الحسني وإسهامه في الثقافة العربية  
٤٦ أ.د. محمد أيوب الندوي
٢. فكرة التربية عند السير سيد أحمد خان والشيخ محمد عبده  
٦٢ د. طارق أحمد آنغر
٣. نظرة خاطفة إلى عوامل تطوير اللغة العربية في ولاية كيرالا  
٧٨ حمزة علي أ. بي.
٤. انعكاس العنف السياسي في الأدب العالمي  
٩٢ د. طارق أحمد آنغر وإعجاز أحمد غنائي.

### القصة والمسرحية

١. "حياة محمد" و"على هامش السيرة" بين النظرية والتطبيق  
١١٠ أ. صلاح الدين تاك وخليق الرحمن

٢. ملامح السيرة الذاتية (الذكريات) لعلي الطنطاوي  
١٢١ د. غلزار أحمد بال
٣. الأفلام الشهيرة المنتجة حول أعمال يوسف إدريس  
١٣٤ د. آصف احمد كمار
٤. تمثيل المعاناة الجسدية والنفسية في قصص يوسف إدريس قصة  
١٤٣ " ٥ ساعات " نموذجاً.... شفاعت فاروق
٥. الشخصيات في أدب شيخة الناخي القصصي  
١٥٣ السيد فروس. بي
٦. الواقعية الاشتراكية وأهدافها الرئيسية في الروايات  
١٦٣ الفلسطينية  
بركت حسين

### الشعر والنقد

١. الرؤية النقدية عند محمد مندور في إطار الوظائف والمناهج.  
١٧٣ أ. شاد حسين وتنوير أحمد بت.
٢. اتجاهات بريم تشاند السياسية في مجموعة قصصية "سوزوطن"  
١٨٤ (آلام الوطن)... سجاد أحمد ذرغر
٣. المظاهر الرومنطيقية في شعر بروين شاكر  
١٩١ عمر جان باله

## كلمة العدد

يחס قسم اللغة العربية بالسعادة عند تقديم عدد الثامن عشر (١٨) مجلة الدراسات العربية أمام محبي لغة القرآن. وهذا العدد مثل الأعداد السابقة يحتوي على مقالات علمية وأدبية ذات جوانب مختلفة. سيجد القارئ في المقالات تنوعاً رائعاً منكشفاً عن حقيقة الحياة كما هي أو كما يراها الأديب. وقد قسمنا المقالات في أربع حلقات. وأما الحلقة الأولى فهي تضم المقالات التي لها صلة بالدراسات الإسلامية وأفضلها الدراسة القرآنية. فمن أهم ظواهر اللغة العربية أنها تحتوي الكلام المجيد الذي لا يزال أسلوبه الأدبي معجزة خالدة، كما أن أزهاره المعرفية لا تزال تتفتح. فنسعد بوجود بعض المقالات حول لغة القرآن الكريم، فكلماته لها أبعاد مختلفة لا بد أن تُكتشف وفق معايير حديثة. وأيضاً لأبناء الهند مساهمات في تدوين الحديث والآثار وترتيبها. فهناك مقالة حول الكتاب "حياة الصحابة" وملامحها الفنية في مجال السيرة. والكتاب يعد من روائع الهند في الثقافة العربية.

تحتوي الحلقة الثانية "الثقافة والأدب" على موضوعات ثقافية وأدبية. هناك بعض المزاوالات حول إسهام مواطني الهند في الثقافة العربية. يعد محمد الحسيني من أهم المساهمين في العصر الحديث. فهو من رواد الصحافة العربية في الهند. قام الأستاذ محمد أيوب الندوي بإبراز مساهمته. والمقالة الثانية توازن بين فكرة التربية عند مصلحين كبيرين السير سيد أحمد خان الهندي والشيخ محمد عبده المصري. والمقالة الثالثة حول عوامل تطوير اللغة العربية في ولاية كيرالا، فكيرالا من أخصب البلاد الهندية في إثراء الثقافة العربية. والمقالة الرابعة تعالج تصوير العنف السياسي في الآداب العالمية والأدب العربي خاصة،

في الحلقة الثالثة "السيرة والقصة" هناك دراسات عن بعض السير للأعلام العربية وقصصهم. ففي المقالة الأولى دراسة مقارنة بين السيرتين لأحمد حسين هيكل

وطه حسين. بينما سلك هيكلا على أسلوب حديث في تسجيل السيرة، وأدخل طه حسين فيها عنصر القصة. والمقالة الثانية تفحص عن عناصر فنية في السيرة الذاتية لعل الطنطاوي، المقالة الثالثة تبحث عن مبادرة تحويل قصص يوسف إدريس إلى الأفلام السينمائية. والمقالة الرابعة تحلل قصة " ٥ ساعات " ليوسف إدريس أيقونة القصة العربية الحديثة. حاول الباحث أن يبرز تصوير الأديب المصري للمعاناة التي يواجهها المواطن العربي. أما المقالة الخامسة فتناقش الشخصيات في قصص شيخة الناحي الأديبة الإماراتية، وأيضا هناك محاولة في إبراز الاتجاه الواقعي الاشتراكي في قصص فلسطين في مقالة أخرى.

تضم الحلقة الرابعة مقالات حول الشعر والنقد. فالمقالة الأولى حول مزايا النقد لمحمد مندور، والمقالة الثانية تناول موقف منشي بريم تشند السياسي في مجموعته القصصية "سوز وطن" أما المقالة الثالثة فهي في معالجة الشعر الأردني، حيث تناول الكاتب مناحي رومنتيقية في شعر بروين شاكر التي أحرزت تقديرا كبيرا لإبداعاتها.

ربما لا نبأغ إذا قلنا إن قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة كشمير يلعب دورا فعالا حيويًا في نشر اللغة العربية في هذه البقعة. وإن أساتذة القسم يقومون بإشراف البحوث حول شتى الموضوعات للثقافة العربية. فقد قُدم أكثر من سبعين (٧٠) بحثا في القسم للحصول على شهادة دكتوراه، ولأساتذة القسم مؤلفات قيمة في شتى المجالات. وظلّ القسم يصدر مجلة الدراسات العربية بكل اهتمام والتزام، ونودّ أن تستمر هذه النشاطات. فنحن نرحب بالاقترحات من الدوائر الأدبية والإشارة إلى الزلل المحتملة في الكتابة حتى نقوم بإصلاحها. وفي الختام يجب لي أن أشكر هيئة إدارة المجلة، كما أشكر المساهمين على جهودهم الغالية.

الأستاذ الدكتور شاد حسين

## التعامل القرآني مع دلالات الكلمات

الدكتور بشير أحمد لون<sup>١</sup>

### ملخص

هذا البحث يتعامل مع الألفاظ والتراكيب التي استخدمها القرآن لأول مرة ولم يكن وجودها من قبل. وهناك كثير من الألفاظ والتراكيب التي أعطاها القرآن دلالات ومفاهيم جديدة. وسيتم التركيز الرئيسي هنا على تجميع وإبراز الألفاظ صنعها القرآن الكريم. وسيتمحور الكلام حول بيان بعض مظاهر التطور اللغوية والدلالية في الألفاظ والتراكيب القرآنية التي تدل على تحدي القرآن للعرب وغيرهم عدم قدرتهم على الإتيان بمثله إلى الأبد. وفي الواقع هذا الشيء أيضا يدل على قدرة اللغة العربية على مواكبة التقدم والتطور إذ تعبر عن المعاني المتجددة في كل عصر ودهر. وهذا بفضل القرآن الكريم الذي قام بوقاية وصيانة اللغة العربية. ومن ناحية أخرى هناك مناقشة عن بعض الألفاظ والتراكيب التي ابتكرها القرآن الكريم، وهو موضوع لا يمكن أن يستغنى عنه طالب القرآن الكريم أبدا.

كلمات مفتاحية: القرآن، الكلمات، التراكيب، دلالات، اللغة.

### مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. فإن البلاغة والإعجاز والإيجاز وعمق المعنى ودلالات الألفاظ القرآن الكريم هي الأشياء التي من صنع الله الذي أتقن كل شيء. واللغة العربية غنية بالقواعد والمعاني أكثر من أي لغة أخرى. ومن الصعب،

<sup>١</sup> محاضر تعاقدية في قسم اللغة العربية بجامعة كشمير، سرينغر.

العثور على دقتها وفروقها الدقيقة مقابلة عن أي لغة أخرى في العالم تقريبا. ومن ناحية أخرى طلاوة اللغة العربية هي تكمن في بناء الكلمة من الجذر الأساسي الذي يكون على نمط ثلاثة أحرف فهو يشكل أساس الكلمات، ولهذا السبب قد يحتوي جذر الكلمة على الدلالة قد يستغرق بضع جمل لترجمته وهذا يفيدنا أن اللغة قادرة على نقل عمق المعنى والعاطفة التي لا تستطيع العديد من اللغات الأخرى تحقيقها بمثل هذا الإيجاز القصير في الكلمات الوجيزة.

### ألفاظ التي قدّمها القرآن الحكيم

أولا توضيح المصطلحات مهم لأجل إزالة الغموض والالتباس في أذهان القراء والدارسين عن هذا الموضوع، فمثلا: ألفاظ جديدة: هي الصيغ اللغوية الجديدة التي اشتقت من مواد اللغوية المعروفة في اللغة العرب كاشتقاق القرآن من قرأ والنفق من نفق والفسوق من فسق فهذه المشتقات لم تكن معروفة من قبل بهذه الصيغ. وأقصد بألفاظ جديدة التي لا يعرفها العرب من قبل واستخدمها القرآن لأول مرة لإفادة معان جديدة والتعبيرات المتعددة.

### تراكيب جديدة في القرآن الحكيم

هي تراكيب صنعها القرآن الكريم من عدة ألفاظ ولم تكن معروفة من قبل بهذا التركيب، مثل: في سبيل الله (أي: لوجه الله وتقربا إليه أو ابتغاء مرضاة الله<sup>١</sup>، سقط في أيديهم (أي: ندموا أشد الندم)<sup>٢</sup> وغيرها.

### دلالات جديدة في القرآن الحكيم

إنّ الكفاءة والجودة الفريدة للقرآن الكريم هي ما أغنى اللغة العربية بشكل كبير وأوسع أفق المعاني التي أضافها السياق القرآني في بعض الألفاظ والتراكيب، ولم

١ راجع إلى سورة التوبة، آية رقم: ٦٠

٢ راجع إلى سورة الأعراف، آية رقم: ١٤٩

تكن العرب تستخدمها بهذا المعنى مثل: الغيث والمطر، الحلف والقسم الخوف والخشية وغيرها.

السياق القرآني: تتابع المعاني وانتظامها في إطار الألفاظ القرآنية، لتبليغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال<sup>١</sup>.

المصطلح القرآني: يقصد به كلمات وتراكيب القرآن الكريم التي جاءت بمعان خاصة غير المعاني التي وردت في الشع الجاهلي، وفي استعمال العرب قبل نزول القرآن الكريم. فباتت في متعارف الناس مصطلحات خاصة بتلك المعاني التي حملتها في استعمال القرآن الكريم<sup>٢</sup>.

والآن نرجع مباشرة إلى استعراض ألفاظ القرآن الكريم ووضعها لأنه "ليست العبرة بكثرة الألفاظ أو قلتها، بل العبرة بأهمية هذه الألفاظ من ناحية الدينية والعلمية والاجتماعية، فألفاظ الكتاب عبارة عن مصطلحات دينية، فهي كلمات شائقة الدلالة وعلمها ظلال من القدسية والروحانية وتتطلب ممن يعرض لها الحيطة والحد"<sup>٣</sup>

وإن لكل كلمة معنى في ذاتها، ومعنى في سياقها الذي ترد فيه وغالبا ما يكون المعنى السياقي أوسع دلالة وأشد تأثيرا في القاري والسامع، ذلك أن السياق يوظف عناصر الدلالة كلها من أجل التعبير عن المقصود<sup>٤</sup>.

ومن هنا، سيتم معالجة الكلمات الجديدة في السياق القرآني، من ناحية بنية إذ صنعها القرآن الكريم وبعضها جديدة في دلالاتها التي أضافها القرآن الكريم وسأهتم

---

١ محمود المثنى عبد الفتاح/نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية/ص:١٥

٢ أبو عودة، عودة خليل/التطور الدلاليين اللغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم/ص:٢٢

٣ إبراهيم أنيس في مقدمته للكتاب: الزينة في كلمات الإسلامية العربية، ص:٩٠

٤ أبو عودة، عودة خليل، ٢٠٠٩ /البيان القرآني مفهومه ووسائله: إسلامية المعرفة، العدد:٥٦، السنة الرابعة عشر /ص:٦٨-٦٩.

هنا بالدلالة اللغوية واستعراض وجيز لهذه الألفاظ في هذه الدراسة بمشيئة الله لفهم حقيقتها ومعناها الأساسي.

القرآن الكريم معجزة حية عظيمة يتماشى مع الزمان والمكان تعبيراً ودلالة. وإن الدراسة هذه تبين الأثر العظيم للقرآن الكريم على اللغة العربية. وقد حافظ على رونق اللغة العربية وجمالها اللغوي. والأساس العلمي تكشف هذه الدراسة أن القرآن الكريم نزل بلغة عربية فصحة وبقيت فصاحتها على اختلاف المكان والزمان. وسيدوم شاباً على حد قول الإمام سعيد النورسي:

"كلما شاب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه"<sup>١</sup>. أود أن أذكر هنا بعض النقاط كالاتية:

أولاً: أن القرآن أحدث صيغاً جديدة لم تكن يعرفها العرب الأسلوب التي قدّم بها القرآن، ومثال ذلك كلمة "نفاق" وما يشتق منها من صيغ فعلية واسمية، وكذلك كلمة فسوق، وكلمة جاهلية وكلمة قرآن نفسها. وكل هذه الصيغ مستمدة من مواد موجودة في اللغة مسبقاً، لكنها لم تستخدم في الشعر الجاهلي قط بالصيغ والدلالات التي صنعها القرآن الكريم.

ثانياً: وقد صنع القرآن أيضاً تراكيب لغوية جديدة، لم تكن معروفة من قبل، فتركيب (في سبيل الله) مثلاً يتألف ثلاث كلمات، كل منها موجودة في اللغة على حده، ولكنها لم تستعمل قط بهذا التركيب وما يؤديه من دلالة، ومثل ذلك نرى في مثال (لباس التقوى) و(ما ملكت أيمانكم) و(مسجد الضرار) وغيرها كثير.

ثالثاً: علاوة على ذلك، أضاف القرآن الكريم دلالات جديدة على بعض الألفاظ والتراكيب، لم تكن تستعمل كذلك في الحياة الجاهلية كلها. مثل كلمة الحلف والقسم كما تستعملان مترادفتين أي بمعنى واحد، ولكن القرآن الكريم خصص كلمة الحلف

---

<sup>١</sup> النورسي، بديع الزمان سعيد، ١٩٩٦/ تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين. (المؤتمر العالمي)،

لليمين الكاذبة. (يعني ممكن أن تكون بدون صدق). وخصص القسم لليمين الصادقة، وغالبا ما يرتبط القسم بالله عزوجل.

رابعاً: ثم تبين أن القرآن الكريم نزع في الأعم الأغلب إلى تخصيص دلالة المصطلحات، وذلك لرفعة الخاص على العام في التصور العقلي والاجتماعي<sup>١</sup>. وفيما يلي جدولان يبينان هذه الألفاظ والتراكيب الجديدة التي صنعها القرآن الكريم، والتي أضاف عليها دلالة جديدة وأعطاها المعاني الواسعة المستفيضة:

### جدول الألفاظ الجديدة في القرآن الحكيم

رقم المسلسل	ألفاظ صنعها القرآن لكريم	ألفاظ أضاف عليها القرآن الكريم دلالات جديدة	ظهر التطور
١.	الجاهلية	الأمة	تخصيص الدلالة
٢.	جهنم	التييم	تخصيص الدلالة
٣.	الحواريون	التبتل	تعميم الدلالة
٤.	الترتيل	الجحيم	تخصيص الدلالة
٥.	الرهبانية	الحج	تخصيص الدلالة
٦.	الزكاة	الأحزاب	تخصيص الدلالة
٧.	السحت	الحاقة	تخصيص الدلالة
٨.	الطامة	الحلف والقسم	تخصيص الدلالة
٩.	التغابن	الركوع	تخصيص الدلالة
١٠.	الفرقان	السبت	تخصيص الدلالة
١١.	الفسوق	الأسباط	تخصيص الدلالة
١٢.	القرآن	السجود	تخصيص الدلالة

<sup>١</sup> ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني/ السيد، تمام محمد/ ٢٠١٠م، ص ١٩٧-١٩٩.

تخصيص الدلالة	الصابئون	القصاص	١٣.
تخصيص الدلالة	الصاخة	الكفارة	١٤.
تخصيص الدلالة	الصلاة	النفاق والمنافق	١٥.
تخصيص الدلالة	الصيام	-----	١٦.
تخصيص الدلالة	الأعراف	-----	١٧.

### جدول التراكيب الجديدة في القرآن الحكيم

الرقم المتسلسل	تراكيب صنعها القرآن الكريم	تراكيب أضاف عليها القرآن الكريم دلالات جديدة	مظهر التطور
١	استوى على العرش	الم نشرح لك صدرك	تخصيص الدلالة
٢	أصحاب الكهف	بشق الأنفس	تعميم الدلالة
٣	أم الكتاب	ختامه مسك	تخصيص الدلالة
٤	حبطت أعمالهم	الدار الآخرة	تخصيص الدلالة
٥	ذات الصدور	الصراط المستقيم	تخصيص الدلالة
٦	سقط في أيديهم	غير أولي الإربة	تخصيص الدلالة
٧	علمهم دائرة السوء	فقطع دابر القوم	تخصيص الدلالة
٨	في سبيل الله	في لوح محفوظ	تخصيص الدلالة
٩	قضى نحبه	لا تعضلوهم	تخصيص الدلالة
١٠	كان مزاجها كافورا	مد الأرض	تعميم الدلالة
١١	لباس التقوى	النفائات في العقد	تخصيص الدلالة
١٢	ليلة القدر	وكل إنسان أزمانه طائرة في عنقه	تخصيص الدلالة
١٣	المؤلفة قلوبهم	-----	تركيب ظهر في الإسلام
١٤	ما ملكت أيمانكم	-----	لم تعرف في الجاهلية
١٥	مسجد الضرار	-----	التركيب ورد مرة

واحدة في القرآن			
-----------------	--	--	--

الملاحظة: تطور يلحق معنى الكلمة نفسه ويظهر في مظاهر عدة<sup>١</sup> تتمثل في:

١- التخصيص: (تضييق الدلالة) حيث تنتقل الدلالة الكلمة من دلالة عامة إلى دلالة خاصة فكلمة الحريم مثلا، كانت تطلق على كل محرم، ثم أصبحت تطلق على النساء فخصصت بذلك.

٢- التعميم: (توسيع الدلالة) وهو نقيض التضييق وأقل شيوعا وأثرا في تغيير الدلالة وتطورها، فالبأس في أصلها في الحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شديد.

وقد اتضح من خلال هذه المصطلحات بأنها تتمحور حول العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والنفسية، ومثال ذلك المصطلحات التي تتعلق بأركان الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، كما أن هناك مصطلحات تتعلق بالتعاملات الاجتماعية مثل التحايا والدعوة ومعاملة الجار وإكرام الضيف ونجدة الملهوف وبر الوالدين وغير ذلك، حيث أن هذا المقام لا يتسع لسرد العديد من الأمثلة.

نستدل من المباحثة المتقدمة أنه لا يوجد الترادف في القرآن الكريم. بل أنه يعطى كل كلمة معنى قائما بذاته ولا يمكن لأي قارئ القرآن أن يلتبس به؛ دعماً لهذه الفكرة يجب أن نحقق الدلالة الممكنة لألفاظ من هذا النوع. وبرأي الطريق لوصول إلى هذه الغاية أن نعتمد على المصادر الصحيحة للتفسير والتمييز كلمات القرآن ولوتبين لنا الأمر فنعتمد على من يقول فيه قولاً مقبولاً، لأن عجائب القرآن لا نهاية لها سواء في الأقوال والعلوم والفنون والإعجاز والبيان.

#### خاتمة

وخلاصة القول إن هذه المحاولة المتواضعة تشير إلى جانب اللغوي المهم، وما هو

<sup>١</sup> الوافي، علي عبد الواحد، ١٩٥٧م، علم اللغة ط: ٤، مكتبة نهضة مصر بالجيزة، ص ٢٨٦.

انطباع اللغوية من حيث معالجة القرآن الكريم لبعض الكلمات والتعبيرات لإفادة معان جديدة التي لا نجدها من قبل. وكما أوسع نطاق المفاهيم والدلالات للألفاظ التي كانت موجودة مسبقا. ولا شك في أن للمفردة القرآنية جمالية خاصة كما هي قدرة واختصاص القرآن الكريم في اختيار الألفاظ، فيضع كل مفردة (لفظ) في مكانها المناسب بحيث لا يمكن أن تستبدل ولو حصل ذلك لاختلّ المعنى وتشوّه البناء. والذي سبب إلى إدراك إعجاز القرآن وبلاغته على نطاق واسع.

وبالإضافة هذه الدراسة تحث على استيعاب ومعرفة مفردات القرآن الحكيم وتعبيراته بطريقة موثوقة ومعتمدة عليه. كما تشجّع على اهتمام بتطور الدلالة ومظاهر الكلمات في سياقات ومناسبات مختلفة. وأن نلاحظ تغييرات وتطورات مفاهيم الكلمات عبر العصور. ومن جانب آخر يمهّد الطريق للوصول إلى فهم آيات القرآن وتفسيرها بسهولة ويسر. فضلا عن ذلك يُتوخّى جذب وعناية المتعلم نحو دراسة القرآنية بتفهم عميق. والمقصود من هذا السعي أن يقترب الدارس من لغة القرآن حتى يصبح مألوفًا بها ومطلعا على مفرداته ومصطلحاته في نفس الوقت. لأن القرآن الكريم رسالة الحياة كأشمل ما تكون الحياة، وأعمق ما تكون الحياة، وأظهر ما تكون الحياة. ومن هنا يفتح مجال إعجاز القرآن الكريم. ويؤدي إلى خطوة أساسية للدخول في مجال تحقيق واستقصاء الكنوز المعرفة والحكم للقرآن الحكيم.

## المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم: ٦٠.
٢. تفسير ابن كثير، سورة الأعراف، آية رقم: ١٤٩.
٣. محمود المثنى عبد الفتاح/نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية.
٤. أبو عودة، عودة خليل/التطور الدلاليين اللغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم.

٥. إبراهيم أنيس في مقدمته للكتاب: الزينة في كلمات الإسلامية العربية.
٦. أبو عودة، عودة خليل، ٢٠٠٩ / البيان القرآني مفهومه ووسائله: إسلامية المعرفة، العدد: ٥٦، السنة الرابعة عشر
٧. النورسي، بديع الزمان سعيد، ١٩٩٦ / تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين. (المؤتمر العالمي)، د.ط/د.م/ مؤسسة نيسيل.
٨. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة العروبة - الكويت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٩. الترادف في اللغة: حاكم مالك الزبيدي، دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٠. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: د. عبد الفتاح لاشين، دار المريح، الرياض ١٩٨٠ م.
١١. تصحيح الفصيح: عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) تح: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد - بغداد، ط / ١٣٩٥، ١ هـ - ١٩٧٥ م.
١٢. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط / ١٩٨٥ م.

## آثار علماء الهند في أدب السيرة - "حياة الصحابة" نموذجاً

د. محمد رياض<sup>١</sup>

أيوب. أي<sup>٢</sup>

### ملخص

نبغ الهنود في اللغة العربيّة وأدائها منذ القرن الثاني من الهجرة وانبعثت منهم العباقرة في كل نوع من أنواع العلوم الدينيّة والفنون اللغوية، أصبح العرب ينظرون إلى كتبهم بعين التقدير. يكتفي الدلالة على هذا ما قال عبد العلي الحسني "أشرفت أرض الهند بنور الإسلام وأسهم أهلها العرب في الدين والعلم حتى في العربيّة والشعر والتأليف" (الحسني). ومن أشهرهم وأجدرهم بالذكر الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي المشهور بالمجدّد الألف الثاني (المتوفّى سنة ١٠٠٧هـ) والملا محمود الفاروقي الجون فوري (المتوفى سنة ١٠٠١هـ) والشيخ شاه وليّ الله الدهلوي (١١١٤هـ- ١١٧٦هـ). والشيخ نواب صديق حسن القنوجي (١٨٣٢م-١٨٩٠م) وغلّام علي آزاد البلكرامي الشاعر المعروف بحسان الهند (١٧٠٤م-١٧٨٥م) الشيخ عبد الجي الحسني (المتوفى سنة ١٣٤١هـ) والشيخ فضل الحق خيرآبادي (١٧٩٦م-١٨٦١م) والشيخ أبو الحسن علي الحسن الندوي (١٩١٣م-١٩٩٩م) وغيرهم الذين عالّجوا وصنّفوا معظم العلوم والفنون في اللّغة العربيّة والدينيّة. كال تفسير والحديث والفقّه والتاريخ والشعر والنحو والفلسفة والعلوم العقليّة وغيرها من العلوم.

هذه المقالة تسلط الأضواء على مساهمات علماء الهند في فنّ السيرة وتدوينها ومكانتها في الأدب العربي، وماهي الكتب الذي ألّفت في هذا الصنف؟ وخاصّة في العصر

<sup>١</sup> الأستاذ المساعد كلية م. ي. س ولانجيري، كيرلا

<sup>٢</sup> طالب البحث، قسم اللغة العربية كلية م. ي. س ممباد، كيرلا

الحديث، مؤكداً على مساهمة الشيخ العلامة محمد يوسف الكاندهلوي في فن السيرة بإشارة خاصة الى كتابه المشهور " حياة الصحابة " .

### فنّ السيرة واهتمام العلماء بها

السيرة في اللغة وهي كلمة مأخوذة من سار، يسير، سيرا أي جرى، وذهب، وارتحل. فالسيرة في الأصل السير ثم اتسعت الكلمة وتمّ الاستعمال لمعنى الطريقة والمذهب، وهو مرور الشيء الى جهة معيّنة. وله معنى أخرى " الهيئة " كما ورد في القرآن "سنعيدها الى سيرتها الأولى". فسيرة الإنسان كفيّة سلوكه، سار السنّة أو السيرة: سلكها، اتبعها وتقيد بها، سار سيرة حسنة: سلك سلوكا حسنا. فيتضح منها أن معاني كلمة السيرة هي: الطريقة والمذهب والسلوك وأمّا في الاصطلاح وقد يطلق على معنى التاريخ ويقال: قرأت سيرة فلان: تاريخ حياته. السيرة النبويّة: تاريخ حياة الرسول ﷺ وغزواته وغير ذلك. حسن السيرة: شريف - كتب السيرة: هي كتب دونت فيها السيرة النبويّة. فالسيرة عند العلماء ﷺ إذا أطلقت مطلقا لا ينصرف الا الى سيرة النبيّ ﷺ. وهكذا صارت كلمة السيرة اصطلاحا عمليّا إسلاميّا معناها: حياة النبيّ ﷺ وبيان أحواله وجهاده في سبيل الله وحياة أصحابه معه وكل ما يتعلّق به ﷺ من الأعمال والعادات.

وبالإمعان النظر نستطيع ان نقول أنّ سيرة حياة الصحابة والظروف التي بعث النبيّ ﷺ متضمّنة في سيرة النبيّ ﷺ كما يقول صفي الرحمان المباركفوري "إنّ سيرة النبويّة - على صاحبها الصلاة والسلام، عبارة في الحقيقة عن الرسالة التي حملها رسول الله ﷺ الى المجتمع البشري، وأخرج بها الناس من الظلمات الى النور، ومن عبادة العباد الى عبادة الله. فإذا لا يمكن إحضار صورتها الرائعة بتمامها الا بعد المقارنة بين خلفيات هذه الرسالة وأثارها".<sup>١</sup>

وكان اهتمام علماء المسلمين بسيرة النبيّ المصطفى اهتماما بالغا ومبدوءة منذ

<sup>١</sup> الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري ص ٧

ظهور الإسلام، لأنّ لها مكانة مرموقة في التشريع الإسلام كأنها مصدر من مصادر التشريع بعد القرآن. والصحابة رضي الله عنهم كانوا أشدّ الناس رغبة وعناية بسيرة النبي ﷺ ورواية الأحاديث في عهد الخلفاء الراشدين بعد ما انتقل النبي إلى جوار رحمة ربّه. وكان كبار الصحابة يخبرون الناس عن أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقاريره مع الاحترام والمحبة. وكان أحبّ الأعمال عند الصحابة هو الحديث عن أحوال النبي ﷺ في مجالس بيوتهم. هكذا كان الأمر في أوائل القرون نقلوا سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام شفويًا إلى جيل القادم. وبعد ذلك أثمر وتطوّر هذا الفنّ كما ورد عنها في مقدّمة سيرة ابن هشام "وظلّ التأليف في سيرة النبويّة يتطوّر منذ بدء التدوين فيها في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري إلى أن صارت في النصف الأوّل في القرن الثالث الهجري فنّا كاملا وعلمًا مستقلًا عن سائر الفنون التاريخيّة والعلوم الإسلاميّة، ولقد بدأ وتطوّر وتمّ هذا العمل الكبير في الفترة المذكورة على يد نخبة من الرجال الذين برزوا وعرفوا بالمغازي والسير كانوا مصدرًا خصبا في هذا المجال."<sup>1</sup>

وليس هذا الاهتمام والاعتبار من العلماء المسلمين لهذا الفنّ في عصر الصحابة فقط، ولكن روحها ما زالت حيوية في كل عصر من العصور العابرة، وقد ظهرت كثير من الكتب مختصرا ومطولا في سيرة النبي وأصحابه من أقلام العباقرة من العلماء المسلمين قديما وحديثا. ومنها ما يعتبر مرجعا أساسيا وملجأ للمتأخرين مثل "الشمائل المحمدية" للإمام الترمذي و"سيرة ابن هشام" لعبد الملك بن هشام، و"سيرة ابن إسحق" لمحمد بن إسحق وغير ذلك من العلماء المتقدمين. وكذلك نرى أن كل من اشتهر مؤرخا، وألف في التاريخ كتبًا مجدورا بالذكر فصاروا مرجعا أساسيا في تاريخ الإسلام، وآخر كلام في الاختلافات التاريخية، مساهماتهم في فن السيرة أيضا تصل إلى هذه الرتبة في المؤلفات. مثل "خلاصة سير سيد البشر" لابن جرير الطبري، و"جوامع

<sup>1</sup> السيرة النبويّة لابن هشام، مقدّمة إبراهيم الأبياري. نقلا عن إسهامات علماء شبه قارة الهندية في

آداب السيرة والتاريخ - الدكتور محمّد ارشاد ص ٦٩،٧٠

السير " لابن حزم و" السيرة النبوية " لابن كثير و" سير أعلام النبلاء " للإمام الذهبي وغير ذلك.

### مساهمات علماء الهند في فنّ السيرة

أمّا علماء الهند لم يكونوا متخلّفين من علماء العالم قطّ في تدوين السيرة والتأليف فيها، وقد اعتنوا بها كثيرا وساهموا في هذا المجال وألّفوا كثيرا من الكتب فيها قديما وحديثا. يدلّ على اعتنائهم بها واسهاماتهم فيها قول أبي الحسن علي الندوي "والذي أَلّفه الناس في سيرة النبيّ على صاحبها الصلاة والسلام من عهد الرسالة الى يومنا هذا في مختلف الأوطان الإسلاميّة والأجنبيّة في مختلف لغات العالم يعد بالألوف، واعتبر ذلك بما صنّف باللغة الأردية الحديثة وحدها في موضوع السيرة النبويّة مع أنّ الأردية لم تصر لغة تأليف إلا منذ قرنين على الأكثر، وفي تقديري أن ما صنّف بها وحدها في سيرة النبيّ يبلغ ألفا إن لم يزد عليه."<sup>١</sup>

فهنا أنّ اهتمام العلماء من الهند بسيرة النبيّ وتأليفها كان اهتماما بالغالا يستطيع ان يحصى بأيّ مقياس من المقاييس الموجودة، بل كانت مستمرة قرونا بعد قرون في مختلف من لغات الهندية كالأردية، والمليالم وغير ذلك. وفي اللغة العربيّة أيضا توجد كثيرا من الكتب الميمونة للعلماء الهند في هذا الفنّ. هنا نحن نذكر قبل ان نلج الى مساهمات علماء العصر الحديث بعضا من العلماء الذين نهجوا الطريق للمتخلّفين والمتتابعين الى تأليف سيرة النبيّ مع بيان منهجها الأدبية وأسلوبها الفصيحة بحيث يستطيع لكلّ من يريد الإجابة في تدوينها وتأليفها.

ومن أقدمهم وأقومهم بالتأليف الشيخ كرامة علي بن محمّد حيات علي

---

<sup>١</sup> الرسالة المحمدية (خطبات المدارس) سيد سليمان الندوي ص ٩٦ نقلا عن إسهامات علماء شبه قارة الهنديّة في آداب السيرة والتاريخ - الدكتور محمّد ارشاد ص ٦٩،٧٠

القادري<sup>١</sup> وكتابه المشهور "السيرة المحمّديّة والطريقة الأحمديّة" هو كتاب ضخّم يتضمّن ستمائة صفحة. وألف الشيخ هذا الكتاب ملخصاً لكتاب العلامة علي بن برهان الدين الشافعي الحلبي المشهور بـ "سيرة الحلبيّة". ولذا كان أسلوبه وتبويبه معتمداً على أسلوب سيرة الحلبيّة. والشيخ مولانا عبد الأول جون فوري<sup>٢</sup> صاحب كتاب الشمائل في سيرة النبي ﷺ. والشيخ إلهي بخش الكاندهلوي<sup>٣</sup> "كتابه عمدة اللبيب شرح شيم الحبيب". وكان هذا الكتاب أفضل وأحسن ما كتب في شمائل النبي ﷺ وعلقه الشيخ نياز محمد أحسن بشرحه "عمدة اللبيب". والشيخ أحمد الفاروق السرهندي المشهور بمجدّد ألف الثاني وكتابه "إثبات النبوة". ألف الإمام إثبات النبوة كرسائل متعددة للرد على من ينكر نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وكان لهذه الرسائل أهمية كبرى في تلك العصر. وغيرهم من العلماء الباحثين المتقنين، الذين نهجوا الطريق الأيسر إلى التّأليف في فن السيرة.

### علماء عصر الحديث في الهند الذين ساهموا في فن السيرة

وفي العصر الحديث قد وصل العلوم والفنون في اللغة العربية إلى ذروة نشأتها في الهند لأن عدّة من المعاهد والمراكز التعليميّة والأدبيّة أسّست في شتى النواحي البلد، وصارت هذه المعاهد والجامعات مأوى العلوم التي يأوي إليها الطلاب والباحثون من سائر بلاد العالم، وأنجبت هذه المعاهد العلماء والدعاة والمفكرين الذين نبغوا في اللغة العربيّة وأدائها وصنّفوا فيها آلافاً من الكتب القيّمة. كما عالّجوا سائر العلوم الدينيّة والأدبيّة قاموا بدورهم أحسن من العلماء القدماء الذين مشوا أمامهم حاملين

<sup>١</sup> هو الشيخ العالم المحدث كرامت العلي بن حياة على الإسرائيلي الشافعي الدهلوي، كان من كبار العلماء، ولد ونشأ بـ "دلهي"، الدكتور نسيم أحمد مجلّة نقيب الهند (يوليو- سبتمبر ٢٠٢١)

<sup>٢</sup> هو الشيخ العالم المحدث كرامت العلي بن حياة على الإسرائيلي الشافعي الدهلوي، كان من كبار العلماء، ولد ونشأ بـ "دلهي"، الدكتور نسيم أحمد مجلّة نقيب الهند (يوليو- سبتمبر ٢٠٢١)

<sup>٣</sup> هو إلهي بخش بن شيخ الإسلام حكيم قطب الدين الكاندهلوي ولد سنة ١١٦٢ هـ

النباريس السير وضوئها. وقد فاق علماء الحديث في هذا الفن القدماء ترتيبا وتبويبا. استضاء منهم كثير من الكتب في فن السيرة يدل على تعمقهم في هذا الفن واهتمامهم به، ومن أهمها وأجدرها بالذكر ما يلي:

**الرحيق المختوم:** للشيخ صفي الرحمن المباركفوري<sup>١</sup> وقد ألف هذا الكتاب إجابة لإعلان رابطة العالم الإسلامي جائزة خمسين ألف ريال لمسابقة السيرة النبوية، وكان الشيخ فائز بالجائزة الأولى بهذا الكتاب الأعظم<sup>٢</sup> وشهد هذا الكتاب اقبالا شديدا من كافة الأعمار والخلفيات العلمية من الباحثين والمتخصصين والطلاب، ولا يزال يطبع ويدرس في المعاهد والجامعات في أنحاء العالم حتى يومنا هذا. لأن هذا الكتاب يتميز من سائر الكتب السير ببساطة تأليفه، وتبويبه وفقا للتاريخ، وكذلك بدايته بذكر أحوال العرب حينما تقع ولادة النبي ﷺ. يقول الشيخ عن تطبيق هذا التأليف وتدقيقه " أتّي قبل ان أخذ في كتابة المقالة رأيت أن أضعها في حجم متوسط متجنباً التطويل المملّ والإيجاز المخل، ولكني كثيرا ما رأيت في المصادر اختلافا كثيرا في ترتيب الوقائع، وأوفي تفصيل جزئياتها، وفي مثل هذه المواقع قمت بالتحقيق البالغ، وأدرت النظر في جميع جوانب البحث.<sup>٣</sup>

**السيرة النبوية:** للشيخ أبي الحسن علي الحسن الندوي<sup>٤</sup>. وقد ألف الشيخ هذا الكتاب في أسلوب جديد جذّاب ما يقتضي اليه الحالات والعصر. وكان أسلوبه في

---

<sup>١</sup> هو صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد المباركفوري الأعظمي أحد علماء الحديث في الهند ولد في السادس يونيو ١٩٤٣م في قرية من ضواحي مباركفور المعروف الآن حسين آباد. وتوفي واحد ديسمبر ٢٠٠٦م (الرحيق المختوم)

<sup>٢</sup> مقدمة الناشر للرحيق المختوم

<sup>٣</sup> مقدمة المؤلف، الرحيق المختوم ص ٥،٦

<sup>٤</sup> هو عليّ أبو الحسن بن عبد العلي بن فخر الدين الحسيني، ولد بقرية تكية في راي بريلي من أوتر برديش سنة ١٩٢٣م. أبوه علامة عبد العلي الحسيني ونزهة الخواطر كان عالما مشهورا. وله مؤلفات كثيرة في مجال السيرة والتاريخ والتدوين والأدب والحضارة.

تأليف السيرة منفردة عمّن قبله، لأن كتابته ليست تجرّيدا في ذكر الوقائع والحوادث والحكايات ولكنها كانت لائحة لتحليل المسائل العصرية ووضوح أمور الدعوة والتربية كما أنه رأى أن سيرة النبوية ملجأ ومأوي لكلّ من يريد الفرار سالما من ارتداد الفكر الذي أثار فلاسفة الأوروبيين. يقول العلامة الدكتور يوسف القرضاوي<sup>١</sup> عن هذا الكتاب " فإنّه قد صدر من قلم استقي عرقه من منبع النبوّة، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة، وفقسّت بيضته من سلالة الطهارة، وربّي منذ نعومة أظفاره على التعلّق بالسيرة، وحبّ صاحبها - عليه الف الف سلام - والاهتداء بهديه في الأمور كلّها، فعاش في السيرة، وعاشت فيه السيرة".

وقد ألفت كثير من الكتب من أيدي علماء الهند الحديث في أدب السيرة غير هذين الكتابين المشهورين، وكتب هذان العالمان الكيران أيضا كتبا آخر في فن السيرة مثل قصص الأنبياء، وفي ظلال البعثة المحمّديّة، وسيرة خاتم النبيّين وغيرها للشيخ الندوي. وروضة الأنوار في سيرة النبيّ المختار لصفي الرحمن المباركفوري. كما ألف الفقير السيد وحيد الدين<sup>٢</sup> كتابه المشهور "المحسن الأعظم والمحسنين". وعماد الدين الأنصاري<sup>٣</sup> وكتابه "زبدة السيرة النبوية". وغيرها من الكتب الممتاز.

### الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي وأثره في أدب السيرة

وَمِنَ العلماء الهند الذين اهتموا في تدوين سيرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وألّفوا فيها تأليفا مجدورا بالذكر الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله الذي يريد الباحث ان يبين في هذه المقالة البحثية مساهمته العظيمة للغة العربية

---

<sup>١</sup> هو يوسف بن عبد الله القرضاوي عالم مصري يحمل جنسيّة القطرية ورئيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين سابقا، ولد في قرية صفط تراب مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر - ويكيبيديا.

<sup>٢</sup> هو السيد وحيد الدين القاطن بالمنزل "الفقير" من علماء لاهور

<sup>٣</sup> هو عماد الدين الأنصاري أمير جمعية نظارة المعارف القرآنية ومفتش المدارس الدينية ببجناب، الهند - زبدة السيرة ص ١

وأدائها، لاسيما في فن السيرة. وقد فاق الشيخ الكاندهلوي علماء العالم الذين برزوا في هذا الفن بكتابه الوحيد الذي يعد مرجعا هاما في سيرة النبي المصطفى ﷺ، وسير أصحابه الذين عاشوا على تعاليم النبي طول أعمارهم. الكتاب الذي سماه الشيخ "حياة الصحابة" نحن نبحت أيضا عن أهمية هذا الكتاب ومكانته بين الكتب السير.

### حياة الشيخ ونشأته

ولد الشيخ محمد يوسف بدلهي في يوم الأربعاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ المصادف ليوم ٢٠ مارس ١٩١٨ م<sup>١</sup>. في بيت عريق بالعلم والورع، وكان والده محمد إلياس الكاندهلوي عالما كبيرا وداعيا مشهورا من شيوخ دار العلوم ديوبند مدرسة مشهورة من مدارس الهند في العالم، كما كان مؤسس الدعوة التبليغ المشهور بالترتيب الخاصة معتمدا على الترغيب والتأثير العاطفي الروحاني. وقد تأثر في محمد يوسف شخصية أبيه وسلوكه منذ صغره، لأنه عاش عيشة التزهّد وسلك سلوك الناسكين. تربى محمد يوسف تحت رعاية أبيه وترعرع وتلقى مبادئ العلوم من نساء أسرته، لأن الله أكرم هذه الأسرة بنسوة مولعات في العلم والدين، نشأ الشيخ في هذه البيئة الدينية في أحضان الأمهات الصالحات.

وبعد ما تلقى العلوم الابتدائية وحفظ القرآن الكريم، التحق الشيخ الى مدرسة "مظاهر العلوم" بسهارنפור لالتقاء العلوم الحديث من كبار شيوخ الحديث مثل الشيخ منظور أحمد خان، والشيخ عبد الرحمن الكامل فوري، وأخيرا الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي<sup>٢</sup> ابن عمه الكبير الذي أشرف على توجيه الشيخ وتربيته. وقد أظهر ولوع الشيخ ومهارته في التأليف منذ أيام دراسته، فبدأ بتأليف شرح جليل على "شرح

<sup>١</sup> أنظر ترجمة المؤلف في كتاب حياة الصحابة كتبها الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي ص ٢١

<sup>٢</sup> الإمام العلامة محدث الشيخ محمد زكريا بن الشيخ محمد يحيى بن الشيخ إسماعيل الكاندهلوي المدني شيخ الحديث بالهند وأحد كبار المحدثين في العالم الإسلامي، ولد في كاندلة سنة ١٨٩٨ م، وتوفي في مدينة المنورة سنة ١٩٨٣ م. (ويكيبيديا)

معاني الآثار للطحاوي " وسماه "أماني الأخبار".<sup>١</sup> واستمر الشيخ في تأليف هذا الكتاب تحقيقا وتدقيقا الى آخر أيام عمره.<sup>٢</sup> ولكن لم يستطع ان يتم شرحه لأنه تولى من والده مسؤولية عظيمة، وهي إمارة عمل الدعوة والتبليغ الذي أسس والده في ترتيب مميز في الهند ثم انتشر في سائر بلاد العالم. وكان ذلك في عام ١٣٦٢ هـ. وبعد تولية المسؤولية يري في شخصيته وسلوكه تحول كبير كما يقول الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي "وانصرف من كل شيء الى الدعوة فقط، وتحولت حياته الى قلق واضطراب يعيش فيهما كل لحظة، وأصبح التبليغ شعاره ودينه، وقد تجشم في سبيل ذلك كل مشقة وشدة، وواجه كل عنت وإرهاق بوجه باسم وقلب خاشع، فاستمر في إلقاء الخطب والرحلات الدعوية".<sup>٣</sup>

كانت حياة الشيخ محمد يوسف مملوءة بالرحلات والبرامج معلقة بالأعمال الدعوة والتبليغ، وقد عقد نحو مائة حفلة أثناء مسؤوليته على عمل التبليغ، تتميز هذه الحفلات بكثرة الوافدين عليها والحاضرين فيها، وكان الشيخ يخطب العامة والعلماء في هذه الحفلات وقتا كثيرا، وكان كلامه يتأثر في نفوس السامعين تأثيرا بالغا. وفي عام ١٩٦٥ م كان الشيخ في رحلته الدعوة في باكستان، وقد لقي الشيخ في هذه الرحلة كثيرا من الحفلات والمجالس، وألقى فيها خطابات متعددة حتى أثرت هذه الخطابات المستطيلة والكلام المستمرة صحته سلبيا ولكن الشيخ لم يبال هذه الصعوبات والعقبات أمام أداء واجباته، فاشتد مرضه وألمه، أخيرا ألقى الشيخ خطبته الأخير في حفل "بلاهور" وبعد هذا الإلقاء اشتد مرضه حتى يصل الى الغيبوبة. وفي اليوم التالي اليوم الأول من النيسان عام ١٩٦٥ م انتقل الشيخ الى جوار رحمة ربه،

---

<sup>١</sup> هو كتاب في أحاديث الأحكام وأدلة المسائل الفقهية الخلفية مرتب عبي الكتب والأبواب الفقهية شرحا مستفيضا لكتاب شرح معاني الآثار للإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري المعروف بالطحاوي المتوفي سنة ٣٢١ هجرة. لكن لم يكتمل الشرح، وطبع أربع مجلدات.

<sup>٢</sup> أنظر ترجمة المؤلف لكتاب حياة الصحابة ص ٢٢

<sup>٣</sup> سعيد الأعظمي الندوي. "ترجمة المؤلف". محمد يوسف الكاندهلوي. حياة الصحابة.

رحمه الله رحمة واسعة.

وقد أنعم الله تعالى الشيخ بخلق يجتذب الناس اليه كما أنعمه الله بخلق جذاب، وكان متوسط القامة وضيء الوجه، مبتسم الدائم، مبرق العينين، مستأنس الخلق، "إذا رأيته أول مرة حسبته مستغرقا في الفكر الطويل، وأخذتك مهابة عظيمة منه، ولكن سرعان ما تزول الهيبة ويحل محلها الائتلاف والأنس، وكل جليس يعتقد أنه أقرب لديه من الآخرين".<sup>١</sup> وكان فكره وكلامه وصمته في أمور الدين، ولا يستمع الا الى شيء له منفعة في الدين لأن له علم واسع في سيرة النبي ﷺ وسير الصحابة رضوان الله عليهم، فكان يسهل على العامة إدراك خلق النبي وأصحابه برؤية الشيخ وصحبته. وعلى الرغم من أشغاله المؤبدة والخطابات المتعددة كان الشيخ رحمه الله على شغف شديد بتأليف الكتب في موضوعات متنوعة. وله كتب ومخطوطات وان كان معدودة، ومن أهمها وأجدرها مذكورا كتابان: أحدهما "أمانى الأبحار" الذي قد تم ذكره أنفا، وهو الذي يحتوي على مجلدات ضخمة، والذي لم يستكمل تأليفه في حياته. يدل تأليفه على علمه العميق في الفقه والأحاديث. وثانيهما الكتاب المشهور الذي نريد أن نبحث عنه في هذه المقالة البحثية، هو "حياة الصحابة" يشهد على تبحر الشيخ في سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم، ويعتبر هذا الكتاب ذخيرة العلم لاسيما في فن السيرة.

### مكانة "حياة الصحابة" في فن السيرة

"حياة الصحابة" كتاب له مكانة مرموقة بين كتب السير، ويميز بين سائر الكتب السير بأسلوب خاص ومميزات جذابة، لأن الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي لم يرد بهذا التأليف مجرد كتابة في فن السيرة ولكن كان قصده وهمه أكبر من ذلك. يقول الدكتور بشار بن عواد<sup>٢</sup> ولم يكن من وكذ الشيخ ان يضيف كتابا جديدا يتناول تراجم

<sup>١</sup> سعيد الأعظمي الندوي. "ترجمة المؤلف". محمد يوسف الكاندهلوي، ص: ٢٢

<sup>٢</sup> هو بشار بن عواد معروف محمد بكر العبيدي البغدادي الأعظمي مؤرخ وباحث وأستاذ ولد في غرة ١٩٤٠ م

الصحابة وسيرهم حسب، فالمكتبة العربية تزخر بكتب مختصرة ومطولة في هذا الشأن، لكنه قصد الوقوف على الطريقة النبوية في بناء الإنسان فحاول التعرف إليها وتتبع ذلك في كل عنصر من عناصر هذا البناء، فجعل كتابه ينتظم أبوابا تحكي حياتهم وسلوكهم وانفعالاتهم<sup>١</sup>. ولا شك أنه ليس في اهتمام الشيخ ان يهدي المعلومات والمعرفات عن الحوادث والواقعات التي جرت في مهبط الوحي أيام الرسالة ولكنه يقصد ويهتم ان يجلب السالكين والمحبين الى طريقة سنة النبي ﷺ والى سنة صحابته الذين شهد لهم الرسول بقوله "النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"<sup>٢</sup>.

وإذا أمعنا النظر يمكننا ان نرى الشيخ محمد يوسف يفوز فيما قصد بتأليف هذا الكتاب، لأن هذا الكتاب قد نهج لكثير من الذين يحبون أن تكون عيشتهم في منهج الصحابة ومسلكتهم. ونرى هذا التميز في بداية كتابه، لأن من عادة مؤلفي السيرة ان يبدأ تأليفهم بذكر ما حدث من الوقائع أثناء مولد النبي ﷺ رواية وتاريخا، ولكن الشيخ يبدأ كتابه بذكر أهمية طاعة الله ورسوله واتباع أصحابه رضي الله عنهم، ويؤكد الشيخ على هذا الأمر بسرد الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة. وكذلك يعطي المؤلف الأولوية في هذا الكتاب لبيان فضل النبي ﷺ.

وقد ألف الشيخ هذا الكتاب كأنه دستور لكل داعية ومبلغ، ولذا يعتبر الدعاة الذين يعملون على ترتيب جماعة التبليغ الذي تم تأسيسه بأيدي والده هذا الكتاب منهجا أساسيا لعملهم، ولتحقيق هذا الهدف أجرى الشيخ كتابته كأنه يتقدم التمثيل لحياة شاملة كاملة ينفعها للسعادة في الدارين، برسم حياة الصحابة رضي الله عنهم اعتقادا وإيمانا وأخلاقا وتعبدا<sup>٣</sup>. ومن يمعن النظر في هذه الأبواب والأحاديث والآثار

١ بشار بن عواد. "مقدمة التحقيق". محمد يوسف الكاندهلوي. حياة الصحابة ص: ٥١٣.

٢ رواه مسلم رقم الحديث ٢٥٣١

والأخبار والقصص والحكايات التي ساقها المصنف يدرك تمام الإدراك أن هذه النخبة هي المثل الأعلى الذي يتعين على كل مسلم مؤمن صادق الإيمان أن يتمثل في حياته، فهو يتضمن الحقول العظمى الثلاثة التي تضمنتها الآيات السبع المكونة لأم الكتاب. مرتبة حسب أهميتها وخطورتها وهي: العقائد ثم العبادات ثم السلوك<sup>١</sup>

يتناول الشيخ في الكتاب موضوعات متنوعة تقرب القارئ إلى محبة الله ورسوله، ويشجعهم على اتباع طرق الصحابة ويطبقهم على احتمال الشدائد في سبيل الله والدعوة إلى الله. مثلاً نرى عنوان الباب الثالث باب تحمل الشدائد في الله. يبين فيه كيف كان النبي والصحابة يتحملون الجوع والعطش والأذى في سبيل طاعة الله والعبادة وحده، وكيف تركوا أوطانهم الحبيبة لإعلاء كلمة الله، وكذلك نصره الدين القويم اختاروها فوق كل شيء، يؤكد الشيخ أن الهجرة والنصرة أمران مهمان في عيش الدعاة، ولذا اختار الباب الرابع والخامس بعنوانهما، يقول الشيخ في بداية باب الخامس عما يريد أن يبين في هذا الباب، نستطيع أن نقرأها هكذا<sup>٢</sup> "كيف تركت الصحابة أوطانهم العزيزة مع أن فراق الوطن شديد على النفوس، بحيث أنهم لم يرجعوا إلى أوطانهم إلى الموت؟! وكيف كان ذلك أحب إليهم من الدنيا ومتاعها؟! وكيف قدموا الدين على الدنيا؟! فلم يبالوا بضياعها ولم يلتفتوا إلى فنائها؟! وكيف يفرون من بلاد إلى بلاد احتفاظاً لدينهم من الفتنة، فكأنهم كانوا قد خلقوا للأخرة، وكانوا من أبنائها. فصارت الدنيا كأنها خلقت لهم".<sup>٣</sup>

ومع ذلك حيث إن الكتاب كتاب سيرة، اجتمع الشيخ فيه كل حوادث ووقائع تاريخية في حياة النبي ﷺ وأصحابه الكبار، كما ذكرت الأسباب التي أدت إلى اعتناق الإسلام لكبار الصحابة وكذلك دعوة النبي لأئمة العرب ولقبائلهم. وقد نجح المؤلف

---

١ بشار بن عواد. "مقدمة التحقيق." محمد يوسف الكاندهلوي. حياة الصحابة. ص: ١٥٣

٢ أنظر كتاب حياة الصحابة ج ١ ص ٤٠٦

٣ محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، ص ٤٠٦

أن يشتمل كل ما ورد من الأخبار والآثار تحت العناوين التي اختارها للأبواب، كما نرى فصلا اسمها "دعوة النبي ﷺ لرجل لم يسمّ" تحت الباب "الدعوة للأفراد والأشخاص"،<sup>١</sup> يدل على تدقيقه وتحقيقه حول الموضوع. وبعد ما تم الإيراد والبيان عن الدعوة والهجرة والنصرة أورد الشيخ اهتمام الصحابة باجتماع الكلمة واتحاد الأحكام والتحرز عن الاختلاف والتنازع فيما بينهم في الدعوة الى الله ورسول وجهاد في سبيله. وسيقر كل من يقرأ هذا الكتاب بقصد الاستفادة من حياة النبي وأصحابه، إن الكتاب قد بلغ الى المقصد المرسوم، وهوان ينبت في نمط عيش المسلمين سير الصحابة وسلوكهم وان يؤسس في قلوب المسلمين ايمانا يقرب الى إيمانهم، وأن يعيد النمط الدعوة الى عادة المسلمين التي رسم لنا رسول الله ﷺ طول حياته. ولإتمام هذه المقاصد حوى الشيخ في الكتاب حوادث شتى يصور فيه صفاء أخلاق الصحابة وشمائلمهم، ابتدأه كعاداته بأخلاق النبي ﷺ الذي كان خلق القرآن، وترى النبي أصحابه على هذا الخلق العظيم الذي مدحه الله به في كتابه المجيد " وإنك لعلى خلق عظيم"<sup>٢</sup>. وكذلك يبين الشيخ سائر الأحوال التي يواجهها الصحابة في عيشهم، وكيف كانوا يتركون اللذات الحياة الفانية للحياة الخالدة، وكيف كان الوحي والعلم الإلهي أثرت في حياتهم اليومية، وكيف كانوا يتعلمون منه أمور دينهم ودنياهم حتى يترتبون عليه أشغالهم وعباداتهم. هكذا يصور الشيخ في كتابه منهاجاً جلياً صفيماً لمن يريد السلوك الى فحج كان النبي وأصحابه السابقين فيها، ومع ذلك لم يقف الشيخ بمجرد تأليفه عن هذا الطريق ولكنه أعرض ممارسة هذه الحياة طول حياته مشغولاً ومؤدياً مسؤوليته في إمارة جماعة التبليغ.

#### خاتمة

وهذه المقالة البحثية يريد الباحث ان يحاول محاولة صغيرة لاستخراج

١ أنظر فهرست الكتاب للجزء الأول

٢ سورة القلم الآية ٤

مساهمة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في فن السيرة الذي لم ينل ما يستحق من الاعتبار بين علماء السير في العالم، وكذلك مؤلفه " حياة الصحابة " التي وصلت الى مكانة ميمونة بدقة تأليفه وتوعيته واستدلاله على سائر كتب السير قديما وحديثا. ومع ذلك حسن نية الشيخ بتأليف هذا الكتاب هو أن يجمع المسلمين في نمط الدعوة المشتعلة فيها الهجرة والنصرة كما شاهدنا في حياة النبي ﷺ وأصحابه. الاستنتاج الذي يصل اليه الباحث في نهاية البحث هو أن الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي قد فاز بتأليفه ان ينقل الى القارئ صورة حيوية عن سيرة النبي وأصحابه، وكذلك فيما قصد الشيخ في تأثير الكتاب في نفوس القارئ وبالله التوفيق وعليه توكلنا.

### المصادر والمراجع

١. الدكتور يوسف القرضاوي. "تقديم." أبو الحسن علي الحسن الندوي. سيرة النبوية. مكتبة الشاملة، بلا تاريخ. ٥. العربية.
٢. بشار بن عواد. "مقدمة التحقيق." محمد يوسف الكاندهلوي. حياة الصحابة. بيروت: الرسالة، ١٩٩٩. ٥١٣. العربية.
٣. سعيد الأعظمي الندوي. "ترجمة المؤلف." محمد يوسف الكاندهلوي. حياة الصحابة. لبنان: الرسالة للطبع والنشر، ١٩٩٩. ٢٢. العربية.
٤. صفى الرحمن المباركفوري. الرحيق المختوم. دار الفكر، بلا تاريخ. ٧. العربية.
٥. عبد العلي الحسني. "مقدمة نزهة الخواطر." نزهة الخواطر. مطبعة مجلس دائرة المعارف، ١٩٦٢. العربية.
٦. محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة. بيروت: الرسالة، ١٩٩٩. ٤٠٦. العربية.

# تمثيل الألوان الذهنيّة في الأفكار القرآني:

## الأبيض والأسود نموذجاً

الدكتور سابق ام. كي ١

سيّاف أمين كي. سي. ٢

### ملخص

تناقش هذه الدراسة عن الطبيعة الذهنية للألوان – خصوصاً الأبيض والأسود- على أساس نظرية الدلالة المعرفية، وهذه النظريّة المعاصرة يستخدمها الباحثون والعلماء في أنحاء العالم لتحليل القضايا اللغوية. وهناك الجدل الدائر حول التمثيل الثقافي والحضاري للون الأبيض والأسود، وهذه الدراسة محاولة لتحليل بعض الآيات والأحاديث حسب المبادئ العامة للنظريّة الدلالة المعرفية. تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن التصورات الذهنية التي يتأثر بها الوعي الإنسان عند تداول العناصر اللغوية المتعلقة بالأبيض والأسود. تقدم الدراسة أولاً المبادئ العامة الرئيسية للدلالة المعرفية وثانياً تحليل بعض الآيات والأحاديث المشتملة كلمة الأبيض والأسود. مفاتيح الكلمات: الدلالة المعرفية، خطاطة، الصّورة، المقولة، التعدد الدلالي، الاستعارة، النموذج المعرفي المؤتمل، دلالة الأطر

### مقدمة

إن المباحث والنقاشات حول تأثير الألوان في الحياة الاجتماعية وفي الخطابات اللغوية تتغير حسب مستجدات الحياة والقدرات التفكيرية وتغير الأحوال الاجتماعية. حقا أن مقتل جورج فلويد الأمريكية الجنسية التي أثارَت لاحتجاجات "حياة السود مهمة – Black Lives Matter" وأدت أيضاً إلى مناقشات أكاديمية عالمية، ليست هذه قضية عنصرية فقط بل تتجاوز حدودها إلى العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية

١. رئيس قسم اللغة العربية، كلية أم. اي. أس. ممباد، كيرالا، الهند

٢. باحث دكتوراه، كلية أم. اي. أس. ممباد. كيرالا، الهند

والعلم النفسي وإلى كل ألوان من العلوم. وهذه الدراسة تتركز حول كيفية معالجة القضية اللغوية المتعلقة باللون الأبيض والأسود على ضوء اللسانيات المعرفية (Cognitive Linguistic).

إن الجدل في المنصّات الأكاديمية حول قضية الألوان خصوصا - الأبيض والأسود - أثارت العديد من الأسئلة عن التصورات الذهنية التي تختلق العناصر اللغوية العربية في الاستعمالات العامة والأدبية. هل التصورات الذهنية عن لأبيض والأسود تختلف في اللغات العالمية المهمة؟ وهل هناك أيّ نقطة مركزيّة تدور حولها هذه التصورات؟ وهل تؤثر هذه على تعاملنا الثقافي بأيّ شكل؟ وأين يقف الأدب الكلاسيكي في هذا الموضوع، خاصة القرآن الكريم والحديث الشريف؟ وهذه هي القضايا البحثية الموجهة إلى تحليل بعض المحادثات اللغوية.

استجابة لهذه الأسئلة نتجه إلى تحليل كيفية تداول القرآن والحديث تعبير اللون الأبيض والأسود والتمثيلات الذهنية والمصورات الإدراكية التي تشكلها الوعي الإنساني عند استخدامها، وأحس الضرورة الماسة أن تسير الدراسة على أساس النظريات اللغوية التي اتفق عليها العلماء، وكذلك المعلومات الكافية المستدلة من المصادر الموثوقة، لذلك نعتمد على النظرية اللغوية المعاصرة وهي الدلالة المعرفية أساسا لهذه الدراسة ولتحليل بعض المحادثات اللغوية المأخوذة من القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب العربي، وقبل أن ندخل إلى المناقشة يجب علينا التفات النظر إلى السابقين بهذا العمل حسب وجهاتهم النظرية موجزا.

### الاستعراض الأدبي حول الموضوع

لقد أشار الثعالبي في "فقه اللغة" إلى استعارة اللون من حيث هو اسم يدلّ على معنى معجمي بحكم الاصطلاح إلى الدلالة على معنى آخر يتصور من التركيب أو

السياق؛ كقولهم موت أحمر، وموت أسود، وعيش أخضر، وعدو أزرق.<sup>١</sup> وقدّم ابراهيم محمود خليل في دراسته "ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب" تأملاً دقيقاً عن استخدام الألوان في التعبير المجازي والاستعاري فضلاً عن التعبير الحقيقي، معتمداً على استقرار الشعر الجاهلي، والإسلامي، واستقصاء الكنايات اللونية ومقارنتها بما يقابلها، أو يقرب منها، أو يختلف عنها في لغات أخرى، استقصاءً يضيف إلى معرفتنا بالألوان، والألفاظ الدالة عليها.<sup>٢</sup> وكذلك كتاب "اللغة واللون" للدكتور أحمد مختار عمر، الذي يتحدث عن الألوان ومعاييرها وعلاقتها بالمنفعة والمعتقدات والتحليل النفسي.<sup>٣</sup>

وهناك العديد من الدراسات عن الألوان ومدلولاتها على منظور اللغة والأدب والعلم الاجتماعي، ولكن لم يوجد أيّ دراسة تحليلية عن التصورات الذهنية التي تشكلها في أفكار الإنسان عند تداول الألوان في الخطابات النصية والمقولة في حين هذه الدراسات موفورة في اللغة الإنجليزية والفرنسية من اللغات العالمية الأخرى. وقبل أن نخوض إلى جانب التحليل يجب أن نعلم بعض المبادئ الأساسية للدلالة المعرفية حتى يساعدنا في فهم النماذج العربية والنصوص القرآنية على منظور جديد.

### الدلالة المعرفية (Cognitive Semantics) والمبادئ والتطبيقات

إن اللسانيات المعرفية (Cognitive Linguistics) تقوم بتوضيح التفاعل الوثيق بين علم اللغة وعلم النفس المعرفي (cognitive psychology). وهذا مجال جديد يساعدنا في تحقيق الفهم العلمي للموضوع المشترك وهو العلاقة بين اللغة والمعرفة فإنه يرتبط

---

١. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، ص ١٥، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (٢٠٠٠م).

٢. ابراهيم محمود خليل، ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد 2006.

٣. الدكتور أحمد مختار عمر، اللغة واللون، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٢.

بعضها ببعض إلى حد كبير.

## ١ - مبدأ التعميم

يرى علماء النفس قدرة التعميم كقدرة ذهنية طبيعية وقانونا منطقيا للبشر يعني بها أخذ الصفات المشتركة بين الأشياء المفردة لجمعها في تصور واحد، عند ما يقوم العقل بالتعميم، فإنه يستخرج جوهر مفهوم على أساس تحليله من أوجه التشابه من العديد من الكائنات المنفصلة، يعتبر اللسانيون المعرفيون اللغة كبنية متحددة أو بنية مشتركة، ويستخدم العقل البشري تقنيات مختلفة لإدراك المفاهيم وتنظيمها وتحفيظها في الذهن منها:

### المقولة (Categorization)

القدرات العقلية تتخيل وتدرك الأشياء ذات طبيعة مماثلة في قالب واحد، والعناصر التي تتفق عليها التصنيف قد تكون واضحة في الأحيان وقد تكون مهمة في أحيان أخرى.

### ٢. التعدد الدلالي (Polysemy)

يتناول اللغويون المحدثون والقدماء التعدد الدلالي على أنه "اللفظ الواحد على أكثر من معنى واحد" ويكون بين هذه المعاني المختلفة رابطة أساسية في الحقيقة أو المجاز، ويقول ابن جني "يثبت الاشتراك اللفظي للحروف، والأسماء، والأفعال على حد سواء مثل 'من'، و'لا' و'إن' ونحو ذلك لم يقتصر بها على معنى واحد. لأنها حروف وقعت مشتركة".<sup>١</sup>

### ٣. التجربة المجسدة (Embodied Experience)

إن التجسيد فكرة مركزية في اللسانيات المعرفية، تعني بها أن الإنسان يدرك المفاهيم ويربط بعضها ببعض في الفضاء العقلي على طريقة التجربة الحسية

١. ابن جني، الخصائص، ص ١١٢-١١٣

الجسدية، والذهن الإنساني يملك تصورا نوعيا خلال طبيعة جسده الفيزيائي الخاصة، وأن هذه التجربة المجسدة لكونها بيئة مستمدة جزئيا من طبيعة أجسادنا ومن تنظيمنا العصبي تنتج المعرفة المجسدة، فلا نستطيع أن نتحدث إلا عما يمكننا ادراكه وتصوره. وهذا التصور الذهني يمكن توسعه إلى تصورات مختلفة، مثل: سقط زيد في حب هند، هنا كلمة "في" تدل تصورا ذهنيا ونفهمها بفضل تصور أساسي هو "الوعاء"

#### ٤. النموذج المعرفي المؤتمل (Idealized Cognitive Model)

هذه النظرية قدمها "جورج لايكوف" لشرح كيفية فهم الكون بشكل شامل، وهذه النظرية مشتقة من نظريته عن الاستعارة والمقولة والتجربة المجسدة، يرى "لايكوف" أن الإنسان يفهم الكون الذي حوله معتمدا على نماذج مقولات عامة ومفاهيم مركبة عبر تصنيفها وتحديد عموميتها وخصوصيتها، فإن في كل مقولة مفهوم نموذجي يشتمل جميع صفات التي يبني عليها ذلك المفهوم، وهذا النموذج يسمى النموذج المعرفي المؤتمل.

#### ٥. دلالة الأطر (Frame Semantics)

"تشارلز فيلمور" Charles J. Fillmore- الباحث الأمريكي وأستاذ اللسانيات - أسس نظرية دلالة الأطر واهتم في أبحاثه عن تكوين المعنى في أذهان الإنسان، يرى فيلمور أن مفهوما واحدا يدرك بها الإنسان مقترن مع مفاهيم كثيرة متعلقة بها، ومصطلح الأطر-(FRAME) يعني بها: سلسلة من الخصائص النمطية التي نعبر من خلالها عن معرفتنا بالأشياء.

قد انعقدت بعض الدراسات عن تطبيق نظرية الأطر في تحليل الخطاب العربي، وخاصة في تحليل الخطابات القرآنية وهذه النظرية يساعدنا معرفة الفضاءات الذهنية المكونة في أفكار القارئ وتستخدم اظهار المعنى الكامنة، فلنشرح هذا خلال الآيات التالية:

تحليل الآية حسب الإطار التجاري	تحليل الآية حسب إطار المنافسة
<p>إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم (سورة التغابن)</p> <p>عناصر الإطار: المبلغ، المقرض، المقترض، الشروط، الأجل، الرد</p> <p>إن كل ما ينفق المؤمن من الأموال والأنفس في سبيل الله لا يضيع أبداً بل يحفظ عند الله تعالى ويرد إلى صاحبها أضعافاً مضاعفاً</p>	<p>والسابقون السابقون أولئك المقربون، في جنّات النعيم (سورة الواقعة)</p> <p>عناصر الإطار: حياة الدنيا (الميدان)، الأعمال الخيرات (المنافسة)، أصحاب اليمين، أصحاب الشمال (المتنافسون)، يوم القيامة (الهدف)</p> <p>السابقون بالأعمال الخيرات يفوزون يوم القيامة بمرتبة عالية جزاء بما فعلوا في هذه الدنيا وينالون المرتبة العليا هي القرابة إلى ربهم وأخرى من ألوان الطعام والشراب.</p>

تهتم النظرية الأطر الدلالية عن البنية المفاهيمية التي تختلق في أذهان المتكلم والسامع حين استخدام الكلمات والتراكيب، والأطر طريقة للتعبير والتحدث عما في نفوسنا، وهناك نماذج مؤتملة لكل هذه المفاهيم التي تلعب دوراً مهماً في التفكير عن العالم، ويتمثل الكلام إطاراً كثيرة مختلفة نستخدمها لتنظيم الأفكار والمفاهيم، فلا يستطيع الإنسان التخيل عن الأشياء بدون تجربته المجسدة السابقة، فالكلمات "السابقون" والقرض "لا يمكن فهمهما بدون تجربة سابقة بالمنافسات والتجارية.

### طبيعة الألوان الذهنية – الأبيض

على أساس هذه المبادئ المعاصرة أحاول تحليل طبيعة الألوان الذهنية، ومن السؤال الذي نستجيب في هذا البحث كيفية تداول القرآن الكريم والسنة النبوية على لون الأبيض والأسود، وما هي التمثيلات الذهنية والمصورات الإدراكية التي تشكلها

الوعي الإنسان عند استخدام هاتين الكلمتين.

وإن علم الدلالة الإدراكي يوظف في تحليل أنماط الصورة والمجازات المفهومية، فإن كلمة "أبيض" أو ما يليق بها مرتبطة بتجارب الإنسان المادية المحسوسة، وهذا الارتباط الحقيقي الطبيعي هو الكفيل في خلق التصورات الذهنية وتجسيده دلاليا ضمن وعي الإنسان، لذا أولا نحلل الآيات والأحاديث التي وردت فيها كلمة 'أبيض' أو مشتقاتها في مختلف الأحوال.

إن كلمة أبيض أو ما يليق بها وردت في القرآن الكريم ١٢ مرة، وهذه الكلمات كلها إن كان حقيقيا أو مجازيا جاءت في معنيين، هما اللون الأبيض (حقيقيا) والنور، ونشرح هنا هذه الآيات حسب المفاهيم الأساسية لنظرية الدلالة الإدراكية.

"كَأَنَّهنَّ بَيضٌ مَّكْنُونٌ" (الصِّفَات - ٤٩)

وفي هذه الآية "الببيض" يعني بيض العشب، وعناصر الأطر لهذا البيض المكنون: الصفاء، الحسن، الطهارة، شيء جميل، داخل القشر لم يمسه أحد، ويعتبر البيض شيئا مطهرا، وهذه الطهارة والجمال موفورة في البيض المكنون باعتبار لونها الأبيض، فإن القرآن الكريم جعل هذا البيض كنموذج مؤتمل للحسن والجمال، وفي منظور هذا الأطر نفهم محاسن الحور العين، لأن كلاهما مرتبطة بإطار واحد وهو الإطار المكاني.

### الإطار المكاني – Spatial Frame

الجنة	← العشب
النساء	← البيض
ألوان النساء	← ألوان البيض
نقاء الجسد	← صفاء البيض

• وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آل عمران ١٠٧)

هذه الآية تبين أحوال الفائزين في يوم القيامة وردت الكلمة "ابيضت" مجازاً، لأن الابيضاض والاسوداد يكونان في جميع الجسد، ولكن التصوير هنا على شكل ( الكل - الجزء )، لأن الوجه هو النموذج المؤتمل في جسد الإنسان وأول ما نراه حين اللقاء وأشرف أعضاء الجسد، والمراد ببياض الوجه هو السرور والفرح، ونفهم من ذلك أن القرآن يعبر أحوال أهل الجنة على طريق التجربة المجسدة في حياة الإنسان المادية حين يظهر في وجهه آثار البشاشة والرضاء مع إشارة خاصة بلون الأبيض لأنه لون السلامة والأمن حسب دلالة جميع اللغات العملية الأخرى.

• كَلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴿سورة البقرة ١٨٧﴾

اتفق المفسرون في شرح هذه الآية على أن المراد بالخيط الأبيض هو النهار أو طلوع الفجر، والعرب تسمى ضوء الصباح خيطاً، والظلام المخطط به خيطاً، وشبهه هنا الليل والنهار بالأبيض والأسود، يعيى النهار بالنور كما يعيى الخيط الأبيض بالوضوح والبيان، وكذلك في أمر الليل بصفته الظلام والإبهام كما في الخيط الأسود.

- وَاضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢ طه﴾
- وَتَرَعُ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴿٣٣ الشعراء﴾
- وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴿١٢ النمل﴾
- اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴿٣٢ القصص﴾
- وَتَرَعُ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴿١٠٨ الأعراف﴾

أما بالنسبة "البیضاء" التي ذكرت في سورة طه، والشعراء، والنمل، والقصص والأعراف، فهي تدلّ النور الإلهي يخرج من يد موسى عليه السلام كآية لنبوته، ويرى العلماء أن لون هذا النور كالثلج النقي الخالص، وكان يده تلمع وتتألأ كقطعة من القمر، هنا استعملت 'البیضاء' آية الرسالة والهداية من الله سبحانه وتعالى، وبالرغم أن النور غير مضمون باللون والشكل، هذه العبارة تعكس في أذهاننا الطهارة والنقاء وفي سورة الصافات نرى "بيضاء لذة للشاربين" إشارة إلى الماء المشروب الذي

يعطى لأهل الجنة، والصفة 'بيضاء' اختيرت إما للكأس أول لماء تعني الصفاء والنقاء، وأن اللون الأبيض الخالية من الدنس والكدر هي النموذج المُمثل الذهني للطهارة والنظافة.

وإذا تصقّحنا الأحاديث النبويّة المتضمنة بالألوان خاصة الأبيض على منظور هذه النظريات الإدراكية سنفهم الدلالات التي توجي هذه الكلمة.

نري في بعض الأحاديث أن كلمة أبيض وردت شعارا للخير والحسن والرحمة مثلا: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: حوضي مسيرة شهر، ماء أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك<sup>١</sup>. وهنا استعملت اللبن نموذجا مُمثلا للأبيض، وفي حديث أخرجه الإمام مسلم، قال حذيفة، سمعت رسول ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأَيّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأَيّ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين: أبيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرّادا كالكوز مُجْحَيّا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه.<sup>٢</sup> والمراد به أن الرجل إذا أنكر الفتنة يكون قلبه أبيض وإذا أشرب الفتنة يكون أسود القلب. وإذا شرحنا هذه النقطة في منظور – الاستعارة التصورية – التي جاء بها جورج لاكوف ومارك جونسون، وهناك مجالان لهذه الاستعارة هما: المجال المصدر (Source domain) والمجال الهدف (Source domain)

المجال المصدر	المجال الهدف
القلب نقي	خُلُق الإنسان نقي
يملأ القلب الإيمان	يملأ في حياة الإنسان الأعمال الخيرية
يكون القلب أبيضاً	يعيش حياة سعيدة

١. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم ٦٢٣٧

٢. صحيح مسلم، كتاب الفتن، الرقم ١٤٤

وفي بعض الأحاديث ورد لون الأبيض مرتبطة مع جسم رسول ﷺ كما في حديث أخرجه الإمام مسلم، عن أبي الطفيل (ر) قال: كان أبيض مليح الوجه. وكذلك عن لواء رسول ﷺ كما روي أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم. وكانوا يروون اللون الأبيض شعار السلامة والأمن. وأنّ للأبيض دلالة مختلفة عند العرب قبل الإسلام مثل التّور، والوضوح، والسرور، والشرف، والكرامة، والنظافة والصفاء، دليلا على ذلك قول سبيع بن الخطيم:<sup>١</sup>

ومجالس بيض الوجوه أعزة      حمر اللثاث كلامهم معروف

والشاعر طرفة بن العبد يفخر لأنّ ندماه كرام الناس، لأنهم بيض النجوم وذلك بقوله:  
ندماي بيض كالنجوم وقينة      تروح إلينا بين برد ومسجد<sup>٢</sup>  
يعتبر "الحمامة البيضاء" "والدخان الأبيض" علامة شائعة للسلام والهدوء في الثقافات المختلفة بما أن لهذا اللون ارتباط إيجابي وثيق مع عاطفة الإنسان ووجدانه، فلا شك أنّ الدراسات المعرفية تساعدنا في فهم هذا الارتباط اللغوي مع التصورات الذهنية وعلاقة التعبيرات اللغوية مع حياة الإنسان.

#### طبيعة الألوان الذهنية – الأسود

ورد اللون 'الأسود' أو ما يليق به في القرآن الكريم سبع مرّات وفي معان شتى حسب السياق والكلمة التي تتعلق به، وهذه الآيات:

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴿١٨٧﴾

(البقرة)

١. الأصمعي، الأصمعيات صفحة رقم ٢٣٢

٢ القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١- ٤٣٦

فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ  
تَكْفُرُونَ ﴿العمران ١٠٦﴾

وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ سُودٌ ﴿٢٧ فاطر﴾  
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨ النحل﴾  
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾  
الزخرف ﴿

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴿٦٠ الزمر﴾

نفهم من هذه الآيات على أن الأسود استعملت في القرآن الكريم على ثلاثة معاني:

الأول - اللون الأسود الحقيقي

الثاني - الحزن والكآبة والغم

الثالث - الليل والظلام

فالكلمة - أسود - ذكرت في الآيات حقيقيا كلون من الألوان الطبيعية، ولكنه إذا  
أتى في صورة التشبيه أو الاستعارة أوفي صور بلاغية أخرى يتعدى إلا دلالات أخرى،  
وفي هذا الجزء نعالج العمليات الذهنية التي تسير إلى خلق هذه التصورات.

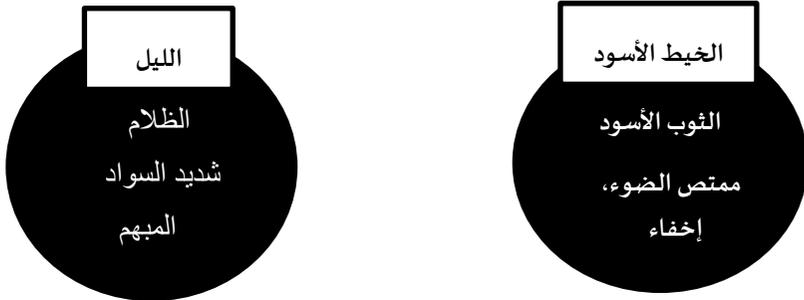
ويبين من هذه الآيات الكريمة أن الكفار يأتون يوم القيامة مسود الوجه، ومن  
أسباب اسوداد وجوههم الكفر بعد الإيمان وذلك في قوله: (فأما الذين اسودت  
وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) والكذب على الله وذلك بقوله (ويوم القيامة ترى للذين  
كذبوا على الله وجوههم مسودة). وهذه الدلالات كلها على صورة استعارية، لأن اسوداد  
الوجوه علامة الفشل والخسارة. وناقش هنا كيف تشكل هذه التصورات في مجال  
فكرتنا.

فإن هناك مجالان تصوّران الاستعارة كما ذكرنا من قبل هما: مجال المصدر  
ومجال الهدف، فمجال الهدف غالبا ما يكون مفاهيم مجردة مثل (الخوف، والهيم،  
والحزن، والسعادة وإلخ) فيتم ذلك عن طريق مجال تصوّري آخر هو مجال المصدر  
الذي يتولى تلك المهمة بواسطة توظيف عناصره، فالاستعارة التصويرية تقوم على  
أساس من الترابطات الذهنية بين المجالين - مجال المصدر ومجال الهدف، فهذا

الجدول التالي سيوضح ذلك.

المجال المصدر - اسوداد الوجوه	المجال الهدف - الندامة والكآبة
الوجه	حالة الإنسان
ملامح الوجه	يشعر الإنسان الصعوبات والأزمات
عندما يفقد الآمال يتبدل بشاشته جهامة	يضعف الإنسان جسديا
يظهر في الوجه آثار الفشل والخسارة	يتغير أحوال الإنسان جسديا وروحيا
يتغير الوجه	يحزن ويبكي

وليس هذا التصور الاستعاري منبثقة إلا من تجارب الإنسان المادية الجسدية، فإن الإنسان يشكو ويؤلم ولكن الانعكاسات تظهر في وجهه وسلوكه وفي نشاطاته ويعتبر هذه الانفعالات بلغة متصلة بالمظاهر الطبيعي مثل سواد الليل وسواد الصخرة كما جاء في "الخيوط الأبيض من الخيوط الأسود"، ومعني الخيوط الأبيض النهار، بينما يشير الخيوط الأسود إلى الليل حيث يتميز بياض النهار عن سواد الليل، وهنا أيضا الربط الاستعاري بين المجال المصدر (الخيوط الأسود) والمجال الهدف (سواد الليل).



فنجد هنا المشابهة بين الإطارين، كلاهما يدلّ معنى الغموض والظلام، فنرى أن هناك الأطر العميقة بين هذين المفهومين هو اللون الأسود الطبيعي نرى في الأحاديث الشريفة عبارات كثيرة متعلّقة باللون الأسود أخرجه كثير من العلماء الكبار مثل الإمام البخاري ومسلم وابن ماجة والنسائي وغيرهم، ورد الحديث في صحيح الجامع الألباني كلمة سوداء استعاريا للمعصية والظلم، قال رسول الله ﷺ أن

العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء. وفي حديث رواه ابن عباس (ر) قال، قال رسول ﷺ نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشدّ بياضا من اللبن، فسودته خطا بني آدم<sup>١</sup> رواه الترمذي وأحمد وصحّحه ابن حزيمة. وهذا الحديث يبيّن أنّ الحجر الأسود صار مسودّة بذنوب بني آدم اللذين يمسخون الحجر الأسود، وهنا اللبن مأخوذة كالنموذج المأمثل للون الأبيض لبیان طهارته وصفاءه، والأسود نموذجا للذنوب الذي جمع على الحجر حتى صار أسود اللون. هذا التصوير شبيه للتصوير السابق الذي ذكر فيه أن القلب يصير مسودّة بالذنوب والمعاصي. وفي حديث رواه عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم"<sup>٢</sup>، فلم يأمر النبي ﷺ بقتل جميع الكلاب، خشية إبادة جنسها كلية، بل أمر بقتل الأسود منها، لأن الأسود الهيم منها أضرها وأعقرها، فقد وصفه النبي ﷺ بأنّه شيطان فقال: عليكم بالأسود الهيم ذي النقطنين، فإنه شيطان، وقال أيضا: الكلب الأسود شيطان.<sup>٣</sup>

والعرب يرتبطون اللون الأسود بالقبح واللوم والحزن منذ قديم الزمان، وهذا ما نرى في الشعر الجاهلي، كما جاء في قصيدة حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ<sup>٤</sup>

ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا سودا وجوههم كلون الإثم  
أي أن هذه الفجيعة والمصيبة الكبرى جعلت وجوههم البيضاء المشرقة مسودة،  
وقال عنتره يصف فرسانه:

١. رواه الترمذي، (٢٢٦٣)، (ح ٨٧٧)، وقال (حسن صحيح). وابن حزيمة في (صحيحه) ٢١٩٤، (ح ٢٧٣٣). وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي)، (٤٥١١)، (ح ٨٧٧).

٢. رواه الترمذي (١٤٨٦)، وصحّحه، وأبو داود (٢٨٤٥)، والنسائي (٤٢٨٠). وابن ماجه (٣٢٠٥) وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".

٣. رواه مسلم (١٥٧٢)

٤. شرح ديوان حسان، ص- ١٥١

كم من فتى فيهم أخي ثقة حراً أغرّ كغرة الرّئم

ليسوا كأقوام علمتهم سود الوجوه كمعدن البرم

وليس قصدنا تحليل دلالات الأسود في الشعر الجاهلي بل نأخذها استدلالاً للتعبيرات القرآن والحديث فحسب، وهناك الكثير من الأحاديث والعبارات اللغوية من الأدب الكلاسيكي المتضمنة هذه المفاهيم اللونية كما نرى في المعاملات اللغوية الحديثة حيث نتركها للباحثين الراغبين فيها خوفاً من الملل والتكرار.

#### خاتمة

يظهر بهذه المناقشة أن مصطلحات اللون لديها امكانيات كبيرة لتطوير معاني مختلفة ممتدة، يمكن تطوير هذه المعاني الامتدادية إما من خلال المجاز والاستعارة أو من خلال الكناية. هذه الدراسة معتمدة على مفاهيم الدلالات المعرفية الحديثة لتحليل التصورات الذهنية التي تتشكل في الفكر الإنساني عند تداول الألوان في الخطابات النصية خاصة الأبيض والأسود. ولعلّ هذه الدراسة الموجزة قد أفضت إلى نتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

ا. يمكن استخدام المفاهيم الأساسية للدلالة المعرفية أداة فعّالة وموثوقة لتحليل الخطاب اللغوي المنطوق والمكتوب.

ب. قد استخدم القرآن الكريم والحديث النبوي اللون الأبيض والأسود على صورة حقيقي ومجازي.

ج. ينتج الأبيض والأسود تصوّرات ذهنية استعارية حسب الإطار المعرفي.

د. يتخذ كلمة "الأبيض" اللون الأبيض واللبن والنور كنموذج مؤمثل حين يتخذ الأسود الليل واللون الأسود كنموذج مؤمثل أيضاً.

هـ. إن اللون الأبيض غني بإطار الصفاء والطهارة، والنظافة والسعادة والخير.

و. إن اللون الأسود مرتبطة بإطار الليل والكآبة والحزن والشرّ.

ز. إن اللون الأبيض والأسود في اللغة العربية ليسا مختلفين في منظماتهما التصويرية  
من اللغات العالمية الأخرى

## المراجع

١. أماني جمال عبد الناصر/خالد البيك، دلالة الألوان في شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الجامعة الإسلامية، غزة
٢. ابن جني، الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
٣. جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارة التي نحيا بها، ترجمة (عبد المجيد جحفة)، دار توبقال للنشر، (١٩٩٦)
٤. الجلال السيوطي، الجامع الصغير، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٩٤
٥. الإمام مسلم، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
٦. ابن كثير، البداية والنهاية - الجزء الرابع - مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠.
٧. الأصمعي، الأصمعيات، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٩.
٨. القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر، ١٩٨١.
٩. الألباني، أبو عبد الرحمن، صحيح الجامع الألباني، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨
١٠. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، صحيح الترمذي، مكتبة المعارف، ١٩٩٨ م
١١. إبراهيم محمود خليل، ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٣، العدد ٢٠٠٦ م
١٢. عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان حسان، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٢٩.
١٣. حمدو طمّاس، ديوان عنتره، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٠.

14. Johnson, M. (1987), *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning Integration and Reason*, The University of Chicago Press
15. Lakoff, George (1987), *Women, Fire, and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind*, The University of Chicago Press
16. Fillmore, C. J., and Baker, C.: (2009) *A Frames Approach to Semantic Analysis*, *The Oxford Handbook of Linguistic Analysis*, Page 313-340, Oxford University Press.

## الأستاذ محمد الحسني وإسهامه في الثقافة العربية

أ.د. محمد أيوب الندوي<sup>١</sup>

### مقدمة

لقد اعتنى علماء الهند وفضلأؤها بأداب اللغة العربية منذ أن انتشر الإسلام في الهند، فالقرآن والأحاديث النبوية والفقه وأصول الفقه وغيرها من العلوم الدينية كانت محور عنايتهم الخاص وتناولوها بالتأليف والتصنيف والشرح والتفسير، والعلوم الأخرى من النحو والصرف والعلوم البلاغية والشعر والأدب وما إليها، التي تعتبر أساسية لفهم وتفهم العلوم الشرعية وألّفوا فيها أيضاً، وأنشأوا معاهد ومدارس دينية في شرق الهند وغربها وفي شمالها وجنوبها، وكفى ذكر "نزهة الخواطر" و"الثقافة الإسلامية في الهند" لعبد الحي الحسني (١٨٦٩ - ١٩٢٣ م) و"مساهمة الهند وباكستان في آداب اللغة العربية" للدكتور زبيد أحمد، استشهاداً لما قلنا. ومن أولئك العظام الذين لهم إسهامات كبيرة في مختلف المجالات الثقافية وذاع صيتهم في العالم العربي أمثال الشاعر محمد إقبال وأبو الكلام آزاد وأبو الأعلى المودودي وأبو الحسن على الندوي وغيرهم. واحتذى آثارهم كثير من الشباب وسجلوا مآثرهم فمتمهم الأديب الصحفي الذي كان له صدى كبير وصيت ذائع في العالم العربي في أيامه ألا وهو الشيخ محمد الحسني رحمه الله.

الكلمات الدليلية: الشيخ محمد الحسني، الصحافة العربية الهندية،

ولد محمد الحسني (١٩٣٥ - ١٩٧٩ م) بمدينة راي بريلي، أترابرايش من الولايات الشمالية بالهند في أسرة حافلة بأعمال جلييلة في الدعوة إلى الإسلام وفي العلم والأدب، أسرة أبي الحسن الندوي، وكانت لأسرته إسهامات في كل فن من فنون الحياة وفي كل

<sup>١</sup> مدير المركز الثقافي العربي الهندي الجامعة المليية الإسلامية نيودلهي. الهند

جانب من جوانبها، فلقد خلقت هذه الأسرة رجال علم ودين، وخلقت المؤلفين والأدباء والأساتذة والشعراء، وحافظت على اللغة العربية وآدابها، فمحمد الحسيني عضو ممتاز في هذه السلسلة الذهبية والذي زادها لمعانا وبريقاً وساهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الهند، وقد ساعده الحظ إذ وجد بيئة سهلت له تعلم اللغة العربية وهيأت له تسهيلات وافرة فتربى فيها تربية حسنة، وإنه كان نادرة من نوادر الزمان إذ ولد في بلاد غير عربية لغتها ليست عربية فتعلمها وأجادها كل الإجابة نطقاً وكتابة كأنه ولد في بادية العرب ونشأ وترعرع فيها، ولكن إذا حققنا الأمر ودققناه وجدنا أن الفضل يرجع في كل ذلك إلى والده الدكتور عبد العلي الحسيني (١٨٩٨ - ١٩٦١م) الذي اخترع في تربية ولده الوحيد وتعليمه طريقاً منقطع النظير غير مألوف في الهند، وذلك أنه ألح على تعلم اللغة العربية الفصحى كلغة الأم بدون قواعد وقد أثمر غرسه ثماراً يانعة حينما بدأ محمد الحسيني كتابته بالعربية في أربعة عشر من عمره.

دخل محمد الحسيني ميدان الصحافة العربية في ريعان شبابه ولم يترك موضوعاً من موضوعات العصر الحديث إلا وكتب فيها، وهذه الموضوعات تتنوع من أدب واجتماع إلى سياسة وتاريخ، فقد كتب في كل موضوع وقدم فيه وجهة نظر إسلامية، فالإسلام في رأيه هو الحل الوحيد لجميع المشاكل التي يعانها العالم اليوم، وإنه كان يحث المسلمين على أن يعودوا إلى الإسلام من جديد، وكان يرجو من الدول العربية عامة والجزيرة العربية على وجه الخصوص أن تلعب دورها المرموق السامي، فهو يخاطب في مقالاته القادة العرب حيناً والشعب العربي حيناً آخر ويدعوهم إلى رفع راية الإسلام.

كان محمد الحسيني يهتم بالصحافة كثيراً، وكان يعتبرها سلاحاً من الأسلحة قوياً في الغزو الفكري مع الغرب، فالصحافة تقوم بدور كبير في تكوين وتعميم اتجاه أدبي وخليقي، وتحتل مكانة جوهرية في إنشاء ونشر نزعة دينية أو سياسية، ولها اتصال مباشر مع الشعب، إذ هي وسيلة هامة من وسائل الإعلام، والصحافة - عنده - لا بد أن تكون نزيهة لا تلعب ولا تلهو بالأدب، وأمينة صادقة لا تكون مجرد دعاية للأفكار

الفاصلة، ولا بد أن تكون حرة لا تجانب قائداً ولا حزباً وإذا أتت إلى المشاكل الإنسانية فلا بد أن تحلها حلاً طبيعياً.

وهناك بعض الأشخاص البارزين الذين اعتنوا بالصحافة العربية في الهند مثل عبد الله العمادي وأبو الكلام آزاد (١٨٨٨ - ١٩٥٨ م) ومسعود الندوي (المتوفي ١٩٥٤ م) ولكنهم لم يستطيعوا أن يستمروا فيها ولكن صاحبنا حينما بدأ بالصحافة العربية لم ينظر إلى الوراء واستمر في مهمته رغم العراقيل الشديدة ولم تستطع هذه المشاكل أن تثبط همته أو تضعف عزيمته بل وزادته إيماناً بنجاحه واستمراراً في عمله كأنه كان شخصاً حنكته الأيام فأعد لمهمته عدة وافية واستطاع أن يصدر مجلته "البعث الإسلامي" بالدوام طول عمره بمستوى يتطور علواً ورفعة ويتقدم لفظاً ومعنى بتقدم الزمن، وبفضل إخلاصه وصدقه لا تزال المجلة تؤدي واجبها بعد وفاته في رئاسة صديقه المخلص البار سعيد الأعظمي الندوي (المولود ١٩٣٤ م) "فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً". (سورة الأحزاب آية ٢٣).

وفي الفترة الحالكة التي أصيب فيها الشباب العربي بمرض القومية العربية التي عمت كل الدول العربية وطمت، ورأت التخلص من تعاليم الإسلام وآثاره، أهم من محاربة الصهيونية وأصبحت كالعقيدة الصلبة والمذهب السائد في كل أنحاء العالم العربي، فالجرائد والصحف تؤيدها والمجلات والرسائل تنشر فكرتها، ومن خالفها وكتب ضدها نسب إلى الرجعية والجهالة، ولذلك ضعف صوت الحق حتى كاد أن يختفي إذ ظهر محمد الحسني بمجلته "البعث الإسلامي" وقام بجانب الحق مسانداً له وبدأ ينقد القومية العربية وأصحابها وناصرها وأظهر للشعب العربي خطر القومية العربية ونتيجتها الوخيمة وهناك قام في العالم العربي علماء ومفكرون إسلاميون كانوا يترددون في مواجهة تيار القومية العربية فدعوا إلى الإسلام الكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه والذي يهديهم في كل مشكلة من مشاكل العصر و"جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً" (سورة الإسراء آية ٨١).

فلما قام محمد الحسني وهاجم القومية العربية والداعين إليها في الدول العربية

وأوضح دعاوهم الفارغة بصدق كلمته في افتتاحيات مجلة "البعث الإسلامي" حسبته له القيادة المصرية وصدقاتها حساباً لم تحسبه لمجلة أخرى وطلب رئيس تحريرها في الجهات المختصة في نيودلهي ونوقش في الموضوع ولكنه لم يلب ولم يستكن، واستمر في كتاباته حتى انقشع الضباب وتبين الصبح لذي عينين ومنعت المجلة من الدخول في مصر لسنوات ويشير هنا الدكتور عبد الله عباس الندوي<sup>١</sup> في قوله:

"كان الشباب العرب الإسلاميون ينقلون مقالاته في رسائلهم الشخصية ويرسلونها إلى أصدقائهم في مصر وسوريا حيث كانت مجلة "البعث الإسلامي" ممنوعاً دخولها ولا يزال ممنوعاً في العراق وسوريا وكيف يستطيع دعاة "البعث الاشتراكي" أن يتحملوا دعوة "البعث الإسلامي"؟"

وقد ألف محمد الحسني كتباً عديدة في اللغتين العربية والأردية أما الكتب العربية فمعظمها تشتمل على مقالاته التي نشرت في مجلة "البعث الإسلامي" وقد عالج فيها قضايا معاصرة أصيب المجتمع الإسلامي بها في البلدان العربية والإسلامية، فهو في هذه المقالات يدافع عن الإسلام ويثبت أهميته في العالم المعاصر ويهاجم على النظريات الأخرى التي تذهب بالناس إلى الدرك الأسفل في الدنيا والآخرة، وجميع هذه الكتب والمقالات في أسلوب معاصر مؤثر وعلى نهج عال ممتاز، وأما الكتب الأردنية فهي في موضوعات مختلفة، اجتماعية وأدبية، دينية وعلمية وامتازت بفكرتها السامية وأسلوبها البليغ.

وقد نقل الكاتب كتباً ومقالات عديدة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغة الأردنية، ولا

---

<sup>١</sup> - هو "مستشار تعليمي" لندوة العلماء ولد في بتنة، الهند درس في دار العلوم لندوة العلماء واستوطن مكة المكرمة، وله مؤلفات في تعليم اللغة العربية والأردية.

<sup>٢</sup> - تعمير حيات عدد خاص بذكرى الشيخ عبد السلام قدوائى الندوي والشيخ محمد الحسني والشيخ إسحاق جليس الندوي سنة ١٩٨٠م ص ٢٠٥.

يجد القارئ أي تكلف أو غموض أو ركاكة في النقل، فإنه ينقل الروح السائدة في الأصل وكأنه يمزج فكره مع فكر الكاتب ونفسه مع نفسه، فهو آية في الترجمة وله منزلة رفيعة في النقل وقد تدفقت الكلمات العربية الرائعة في الترجمة كما تدفقت في تدبيج المقالات حيث تترايط جملة بعضها ببعض.

وفي حياته الشخصية والاجتماعية كان الكاتب صورة صادقة لما يقوله ويكتبه في مقالاته، وكان مسلماً صادقاً آمن بالإسلام واستقام به وأحبه حباً شديداً وكان يعيش له، يدعو الناس إليه ويطالب المسلمين بالعودة إليه من جديد، وكان شديد البغض شديد البراءة عن كل ما يخالف الدين الحنيف من عقائد وأعمال وفلسفات واتجاهات، "وكان إضافة إلى ذلك، مثلاً في النزاهة، والهدوء والاشتغال بخاصة النفس، وحب العزلة، وكان عفيف اللسان، قليل الكلام، كثير الصمت، لم يكن خطيباً، يرى إيذاء الناس وتجريح شعورهم وعواطفهم من الكبائر، قانعاً باليسير، زاهداً في الكثير صاحب تواضع ظاهر وأدب جم"<sup>١</sup>.

قد رزق محمد الحسني عمراً قصيراً ولكنه في هذا العمر القصير وفق لعمل جليل، وعمله يشمل ما ألفها من الكتب باللغة العربية والأردية وما ترجمها من العربية إلى الأردية أو على العكس، وبهذا الاعتبار يعد محمد الحسني من المكثرين في التأليف ورغم عمره القصير يدخل محمد الحسني في صف جده العلامة السيد عبد الحي الحسني وعمه السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في كثرة التأليف والتصنيف.

وإن ننس فلن ننسى إسهامه في نشر اللغة العربية وأدائها وفي بدء الصحافة العربية بصورة منتظمة في شبه القارة الهندية وتثبيت قوائمها في هذه البلاد، ولا نستطيع أن ننسى أو نتناسى فضله في النهضة الإسلامية التي نشاهد تباشيرها في العالم الإسلامي كله، فلقد قامت مقالاته ومؤلفاته بدور فعال في إيقاظ الوعي الإسلامي في الشباب المسلمين وفي إزالة غفوة الغافلين من المسلمين، وقد قام بالجهاد بمساعدة

<sup>١</sup> - تناقض تحار فيه العيون... ص ١٧ و ١٨.

قلمه السيال السلسال وله حق أن يقول:

"ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي"<sup>١</sup>.

ولد محمد الحسني في سنة ١٩٣٥م وتوفي في سنة ١٩٧٩م فلم يعيش إلا أربعة وأربعين عاماً، ولكن هذه الفترة لحياته كانت حافلة مملوءة بنشاطه العلمي والأدبي، وقد استأثرت به رحمة الله وهو في أوج نشاطه الدعوي وتدفعه الإنشائي وحماسه الديني وعلى قمة شهرته في أوساط الدعوة والفكرة الإسلامية التي نالها من افتتاحياته القوية الملتزمة في مجلة "البعث الإسلامي" وكتابه المدوي "الإسلام الممتحن" نرنو إليه العيون وتصبو إليه النفوس في مجال الدعوة والفكرة الإسلامية.

"... كان كاتباً المعياً وداعية ومفكراً وصحفيّاً نابغاً، تشهد له بذلك مقالاته وتحقيقاته المتعددة المنشورة في افتتاحيات مجلة "البعث الإسلامي" ومقالاته (الأضواء)<sup>٢</sup> في مجلة الرائد الصادرة من ندوة العلماء - لکناؤ - الهند وتحت إشرافها، ومؤلف كتاب "الإسلام الممتحن" الذي يوضح قصته مع الدعوة الإسلامية منذ العقد الثاني من عمره سنة ١٩٥٤م مما يدل على تفاعل صاحبه بقضايا أمتة الإسلامية منذ صغره"<sup>٣</sup>.

بدأ محمد الحسني يكتب باللغة العربية في الثالثة عشرة من عمره ولم يعرف ذلك أحد من أهل البيت وعرض مقالاً له باللغة العربية على عمه أبي الحسن الندوي للتصحيح والإصلاح مرة فكان ذلك مفاجأة له واكتشافاً لقدرته على الكتابة وإنشاء المقالات في هذه السن المبكرة، وفي سنة ١٩٤٩م ألقى عمه أبو الحسن الندوي محاضرة

---

١ - قول سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه.

٢ - مجلة الرائد هي جريدة وقد ذكرها الكاتب مجلة خطأ.

٣ - تناقض تحار فيه العيون ص ٨٤ نقلاً من مجلة "البلاغ" الكويتية.

طويلة في الأردنية في احتفال كبير في لكتناؤ. فطلب منه عمه أن يترجم هذه المحاضرة إلى اللغة العربية فكانه كان يريد اختبار كفاءته وامتحان مواهبه فنجح محمد في هذا الاختبار حيث أكمل تعريب هذه المحاضرة في وقت يسير ونشرت هذه المحاضرة مراراً بعنوان "بين الصورة والحقيقة". وهذا كان بداية نشاطه الأدبي.

أسس جمعية باسم "المنتدى الأدبي" سنة ١٩٥٤م ونشرت له مجلة "المسلمون" الشهيرة - التي كان يرأس تحريرها الدكتور سعيد رمضان، وكانت تصدر من دمشق، وكان يكتب فيها كبار الكتاب الإسلاميين في الشرق العربي- أول مقال له بعنوان "العالم الإسلامي على مفترق الطرق" وهو لم يبلغ بعد سن العشرين كان الدكتور وكثير من قراء المجلة يتصورون أن صاحبه من الكتاب الذين تقدمت سنهم ونضج فكرهم، والحقيقة أنه لايزال في ريعان الشباب وسن المراهقة الفكرية.

وفي السنة التي تلت أصدر محمد الحسني مع مساعدة زميله الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي مجلة البعث الإسلامي" فكانت مغامرة واقتحاماً وكانت هذه المهمة مهمة تنوء بالعصبة أولى القوة، ولكنه قام بقوة وعزم، وحماس ونشاط، وعاطفة وحب، واستمر في إصدارها فأحسن وأجاد.

فكانت هذه المجلة مختلفة تمام الاختلاف من المجالات التي كانت في السوق العربية، فيها الجد والنزاهة، والفكر الصائب الهادي وينعكس في بحوثها العلم والأدب والإسلام، وقد ذكر محمد الحسني ميزة مجلته ونهجه الذي اختاره فيها فقال:

"إنها ليست مجلة كبعث المجالات الأدبية في القاهرة وبيروت تلعب وتلهو بالأدب، تعبث بالخرف والحصى وتسبح بحمد أعلام الغرب وتقديس لهم، ولا تحسن صناعة المدح والاطراء والتزلف إلى الملوك والأمراء إنها مجلة ذات دعوة وذات عقيدة وذات مبدأ وذات رسالة".<sup>١</sup>

ويذكر مهمة هذه المجلة الغراء في كلمته الافتتاحية للعدد الأول (أكتوبر ١٩٥٥م):

١ - مجلة البعث الإسلامي، العدد الأول أكتوبر ١٩٥٥م ص ٤.

"ستحاول مجلة "البعث" أن تكون نقطة اتصال وهمزة وصل بين الهند والبلاد العربية الشقيقة، تحمل رسالة أبناء الهند إلى إخوانهم في الشرق العربي وتحمل تمنيات أبناء البلاد العربية وعواطفهم الطيبة نحو إخوانهم في الهند، وتبحث عن الأوجاع المشتركة بين البلاد"<sup>١</sup>.

ونالت مجلة "البعث الإسلامي" الإعجاب والتقدير في الأوساط العلمية والأدبية لأنها كانت أعظم مجلة في تاريخ الصحافة العربية في شبه القارة الهندية من حيث المستوى والانتشار وقدمت للعالم العربي والإسلامي فكراً سليماً صائباً ومواد دسمة مؤثرة.

وفي سنة ١٩٥٩ م (١٣٧٩ هـ) أصدرت ندوة العلماء جريدة "الرائد" وهي صحيفة عربية نصف شهرية تعني بأخبار المسلمين عامة وبمسلمي الهند على وجه أخص، أصدرها الأستاذ محمد الرابع الندوي (المولود ١٩٢٩ م) (ابن عمه محمد الحسيني) وهذه الصحيفة تقدم مقالات وأبحاثاً قيمة في لغة أدبية سهلة، فكان الشيخ محمد الحسيني من أهم كتابه وكان يكتب في الصفحة الأولى بعنوان "الأضواء" و"مع الحقيقة" و"أضواء على الطريق" فكان يزودها دائماً بكتابات قوية ومقالاته المثيرة وقد نالت هذه الجريدة قبولاً حسناً في الأوساط العربية والإسلامية.

كان محمد الحسيني يعتبر الشباب المسلم جند الإسلام وكان قد علق آمالاً بعيدة وعظيمة بهم فلما رأى عاصفة القومية العربية تلهب وقوة الإلحاد والاشتراكية تزداد، ورأى الشباب المسلم غافلين لا يأبهون بالخطر الداهم الذي سيصيبهم في عقر دارهم لم يستطع أن يصمت ويصبر وكيف يصبر وقلبه مكلوم متألم وشعوره جريح فياض، إنه كان يريد من الشباب المسلم أن ينهضوا من كبوتهم ويستيقظوا من غفوتهم ويقودوا الأمة العربية والإسلامية من طريق الانتحار إلى طريق الهداية والرشاد، فيوجه كلمته إلى الشباب ويرشدهم بقوله:

١ - مجلة البعث الإسلامي، العدد الأول أكتوبر ١٩٥٥ م ص ٥ - ٦.

"الشباب الإسلامي في حاجة إلى غذاء دسم يجمع بين علم ودين وأدب وليكن دينه وإيمانه هو أعلى شيء له في الوجود، وأثمن من كل شيء في العالم، طلبة العربية بصفة خاصة يحتاجون إلى العناية بالصحافة العربية والأدب العربي الحديث، الناشئة الحديثة في الهند تحتاج إلى توجهات رشيدة تغذيها في علمها وأدبها وثقافتها ودينها، هذه هي حاجة الناشئة الحديثة وحاجة أبناء المدارس الدينية وحاجة الشباب الإسلامي الكبرى في حين يحتاج فيه الإسلام إلى ألف قلم وألف لسان، نرى الشباب الإسلامي نائماً مستغرقاً في النوم وطلبة المدارس الدينية الذين كان يجب أن يأخذوا بالزمام ويقودوا القافلة هم في مؤخر الصفوف، فلتنه هذه المأساة ولنبدأ بحياتنا الجديدة في سبيل جديد"<sup>١</sup>.

كان محمد الحسني يؤمن في الصحافة التي فيها الجدية والنزاهة، الصحافة التي تعرض مشكلة أو قضية ولا تتركها تؤخذ وترد بل وكان يقدم لها حلاً تطبيقياً، وهذا الحل لا يكون إلا مدعماً بالدلائل والوثائق ومسلماً بالشواهد والتجارب من التاريخ وخير نموذج لصحافته مقاله الأخير الذي نشر في صحيفة "الرائد" وفي مجلة "البعث الإسلامي" في عدد رجب على إثر وفاته مباشرة ونشر بعنوان "تطابق يسر به المؤمنون" في كتابه "تناقض تحار فيه العيون وتطابق يسر به المؤمنون" ونقل هنا بعض المقتبسات من هذا المقال:

"ورأيت في هذه الجامعة بساطة في كل شيء ونظافة في كل شيء، واحتفاظاً بالمواعيد وعكوفاً على العمل، ومحافظة على الصلوات، وتوسعاً في الجزئيات وحرصاً على شرف الدعوة ونزاهتها، وعاطفة جيشة لحمل راية الإسلام ولواء البعث الإسلامي في العالم المعاصر،

١ - البعث الإسلامي العدد الأول السنة الأولى أكتوبر ١٩٥٥م ص ٣.

وبرامج إسلامية وفنوناً إسلامية وآداباً إسلامية، ورأيت الطالب المسلم متمسكاً بالسنة، شغوفاً بالقرآن والحديث، حريصاً على العلم من كافة نواحيه ليستخدمه في تحقيق هدفه الكبير، ملتزماً بالرياضة البدنية والألعاب الرياضية إلى حد الضرورة لا إلى حد الهوس والجنون، مهتماً أكثر بالتدريب العسكري والتمرين على ضرب الأهداف واستعمال الآلات متشبعاً بروح التضحية والجهد، جديراً بالمقاومة ومواجهة العدو بكفاءة ونجاح في حالات الطوارئ أو الهجوم المفاجئ، رأيته صورة حية متحركة للإسلام تشم منه رائحة الإيمان وسيما الطهارة والعفاف وترى على جبينه ملامح الهمة والطموح وتجد في عيونه بريق الأمل والتفاؤل" ١.

فكان داعياً إلى الإسلام آمن بفكرته واحتضنها وأحبها وكان يذكر العرب بصفة خاصة برسالتهم وبتاريخهم وبمركزهم في العالم وبالذور الذي يستطيع الإسلام أن يمثله في هذه المعركة الحامية والساعة الدقيقة الحاسمة، فأدى واجبه خير أداء ويشير لنا إلى هذا الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي الذي عاش معه نصف حياته أو أكثر - بقوله:

"ما قصر في أداء هذا الواجب العظيم حتى في أصعب اللحظات وأقسى الظروف وقد خفنا بعض الأحيان عليه وعلى المجلة إذ لم يكن موقفه ولم يتنازل عن الصراحة قليلاً إلا أنه أبى وظل صامداً في وجه كل طوفان وكل إعصار، وكل إرهاب وما رضي بالمسالمة مع الظروف ما دام الحق معه، فضلاً عن المساومة أو الفرار عن الميدان" ٢.

كانت افتتاحيات محمد الحسني في مجلة "البعث الإسلامي" تمتاز بدقة التصوير

١ - تناقض تحار فيه العيون ص ٥٤ - ٥٥.

٢ - البعث الإسلامي، العدد الأول، أغسطس وسبتمبر ١٩٧٩ م، ص ٦ - ٧.

وبراعة التعبير وبقوة التأثير وتألم القلب والضمير وكانت هذه المقالات آية لنشاطه الدعوي وتدفعه الإنشائي وحماسه الديني، وكان يكتبها وقلبه فياض بالبيان العذب وقريحته متدفقة نائرة.

ففي "فيتناميات جديدة" يريد محمد الحسني أن يفهم المسلمين عامة والعرب على وجه أخص أن الأسلحة والأموال لا تكفي للانتصار في الحروب وإنما الروح المعنوية والعاطفة القوية والوعي الحربي والأهداف الواضحة هي التي تمهد الطريق للفوز والانتصار.

وفي "النظام الإسلامي في معركة الأفكار" يعتبر محمد الحسني قوة الإسلام الذاتية التي تشمل الثقة بالإسلام كمنهج إلهي وكرهية الأنظمة الباطلة، السلاح الوحيد الذي بواسطته يستطيع الشباب المسلم أن يواجه الأنظمة السياسية المعاصرة بل ويهاجم عليها ويحقق للإسلام غلبة وانتصاراً في معركة الأفكار.

وفي يناير ١٩٧٤م نشر محمد الحسني مقال "الدرس الأول من حرب رمضان" في مجلة البعث الإسلامي في عددها الخامس، وفي هذا المقال قارن الكاتب بين حرب حزيران وحرب رمضان.

ففي حرب حزيران لعام ١٩٦٧م انهزمت الدول العربية في حربها مع إسرائيل، وأما في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م) فاستردت الدول العربية شرفها المفقود وكرامتها الضائعة بانتصارها الباهر الرائع، ففي حرب حزيران كان الجندي العربي يحارب بروح باردة من غير عاطفة وحماس وتحت شعارات جاهلية وأما في حرب رمضان فكان الإيمان بالله، والرجوع إلى الله والإقلاع عن المعاصي، والبراءة من كل حول وطول والابتعاد عن الشعارات القديمة سبباً للانتصار.

رد على الكتاب الاشتراكيين والأدباء الثوريين في الدول العربية والإسلامية الذين يريدون هدم الدين وإشاعة الفاحشة في المسلمين فيقول:

"يا عباد سارتر! يا أيها الأقزام المقلدون المتآمرون على الشعب العربي

المسلم، ويا أيها المتنكرون لمبادئكم، المنحرفون عن جاداتكم،

والسادرون في غيكم، إن تحمسكم لهؤلاء الكتاب الملحدين واحتفالكم بهؤلاء الأدباء الأشقياء في الدنيا والدين، وتصفيقكم لهذه الشردمة القليلة من الطغاة والمجرمين – الذين سودوا وجه الإنسانية وانحطوا بها إلى درجة الكلاب والذئاب – تسوقكم في نهاية المطاف إلى مزبلة التاريخ التي تكسد فيها كل ما أبتة النفوس الطاهرة المؤمنة، ومجته العقول النظيفة والأرواح الشفافة، وعافه القلب السليم والفكر المستقيم"١.

ويشير الكاتب على الزعماء العرب أن بينوا المصانع الحربية التي تنتج الذخيرة الحية، والبنادق، والآلات الخفيفة البسيطة وأن لا يستوردوها من دول العدو ويكتب في أسلوب هجائي لاذع.

"أفلا نفكر في أن نطلب من إسرائيل مباشرة مقداراً كافياً مستحدثاً من الأسلحة بحكم الجوار والقربى لنقضي عليها ونلقي بها في البحر؟

إن طلب الأسلحة من روسيا وأمريكا لا يختلف كثيراً عن طلبها من إسرائيل في النتيجة، إلا أن الطريق الأول مباشر مكشوف، والطريق الثاني غير مباشر مستور"٢.

ولقد ألقى محمد الحسني في ندوة للندوة العالمية للشباب المسلم انعقدت بالرياض في أواخر ديسمبر ١٩٧٢م كلمة وقدم فيها اقتراحاً مهماً يتصل بالوضع الإسلامي وحله الإيجابي في العواصم الأوروبية ثم نشره في مجلة البعث الإسلامي ليزيد نفعه ويدر بخير كثير، وهذا الاقتراح يتعلق بالشباب المسلمين الذين يدرسون في بلدان أمريكا وأوروبا ويعيشون في المجتمعات الغربية فيقول الكاتب إنه لا بد من تنظيم لقاءات بين الشباب المسلم واللقاء محاضرات إسلامية لتساعدهم على مواجهة المجتمع الغربي مع كل ما فيه من فاحشة وإغراء وتلف وضياع، ولا بد أن تكون لهم

١- الإسلام الممتحن ص ١٦٧.

٢- نفس المصدر ص ٦٢.

مكتبة إسلامية كاملة ومؤلفات الكتاب الإسلاميين وأن تنشأ بيوت للسكنى والإقامة لهؤلاء الشباب في مختلف العواصم الغربية تحتوي على مسجد ومكتبة وقاعة للمحاضرات والندوات "فهذه الدور ستكون إن شاء الله بمثابة قلاع متينة للإسلام يأوي إليها الطالب بعد أن نال نصيبه من العلم ليجدد صلته بالله، وهدفه في هذه الحياة ويعرف موقفه ومكانته في خريطة العالم ودوره المنتظر الرائع في العالم الإسلامي" <sup>1</sup> واعتبر الكاتب هذا الاقتراح وسماه "أقصر طريق إلى أسرع انقلاب".

إن زعماء الدول العربية والإسلامية يحاربون الأعداء بالأسلحة المستوردة المستحدثة وعندهم قوات مكثفة ولكنهم لا ينتصرون، فما هو سر هذه الهزيمة؟ وما هو الطريق إلى الغلبة والفوز؟ يكتب محمد الحسني مقالاً بعنوان "مفتاح النصر" ونشره في العدد الأول عدد سبتمبر ١٩٧٢م (رجب ١٣٩٢هـ) وقد ذكر فيه أن ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية في الهند كان في معركة يحارب حاكماً هندوسياً مشهوراً "رانا سانجا" فلم يكن يستطيع أن يغلبه حتى أحس الملك بنقص وخطأ، وأنه كان يشرب الخمر، فتاب من الخمر ومن سائر المنهيات وتاب معه جنوده، فاستطاع أن ينتصر، فهذا هو المفتاح الذي يقدمه الكاتب إلى زعماء الدول الإسلامية والعربية.

وفي المقال "مراجعة الحساب" المنشور في العدد الرابع عدد شهر نوفمبر ١٩٧٢م (شوال ١٣٩٢هـ) يقول الكاتب إن العالم الإسلامي لا ينقصه المال ولا الدم ولا ينقصه السلاح ولا المهندسون والفنيون، أو المدرسون والمبعوثون، أو الدعاة والمرشدون، إنما ينقصه فقط الشعور بفداحة الخسارة وعظم الكارثة والتألم الحقيقي على ضعف المسلمين في هذا الحين وقلّة حيلتهم وهوانهم على الناس.

ونشر له مقال بعنوان "بين ما يتطور في الإسلام وما لا يتطور" في العدد الثاني عدد أكتوبر ١٩٧٦م (شوال ١٣٩٦هـ) وفيه نقد على الذين يقولون إن دين الإسلام قد

<sup>١</sup> - المنهج الإسلامي السليم ص ٨٨.

خلق وبلي، فلا بد أن يتطور مع تطور الزمان ولكن في الإسلام أموراً تتطور وأموراً أخرى لا تتطور، إن ما أمر به الإسلام وما نهى عنه لا يتغير ولا يتطور، فالعقائد والمبادئ والمقومات والمسلمات التي يستوحى منها البناء الاجتماعي للإسلام في تقويمه وتصميمه وتأثيره لا تتطور، وأما الذي يتطور فيه فهو " طراز البناء الاجتماعي " بحساب البيئة والمناخ وضرورات العائلة ومألوفات المجتمع، هذا هو الإسلام ويقول محمد الحسني "إنه نموذج سماوي فريد للجمع بين الدنيا والدين، وبين الشدة واللين، وبين الجوهر والعرض وبين الحقائق والظواهر وبين الإيمان بالغيب والأخذ بالأسباب، وسيبقى هكذا إلى يوم القيامة، ناصع الثياب، غر الإهاب، نقي الديباجة، مشرق الصفحة، لا يضره تضليل، ولا ينال منه تزوير، ولا ينقص منه جهل أبنائه وكيد أعدائه مهما بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"<sup>١</sup>.

وفي العدد الأول عدد أغسطس وسبتمبر ١٩٧٨ م (رمضان ١٣٩٨ هـ) نقد على رأي توفيق الحكيم (١٨٩٨ م - ١٩٨٧ م) حينما نادى بفكرة الحياد وعندما اعتبر مصر متحفاً للآثار التاريخية، فيقول محمد الحسني "إن مصر ليست متحفاً، وليست قطعة فنية رائعة أو بلداً كالسويسرا والنمسا، بل مصر أجل وأشرف من هذا كله، إنها ليست مصر فرعون، إنها مصر سيدنا موسى وسيدنا يوسف ومصر سيدنا محمد وشباب سيدنا محمد ﷺ، إنها مصر عمرو بن العاص وإن مصر مركز تحرك للقوى الإسلامية النبيلة الأصيلة. وقد نشر هذا النقد بعنوان "توفيق الحكيم.. خانه التوفيق".

وقد امتازت مؤلفاته ومقالاته بميزتين أساسيتين: ميزة تناول الشكل وميزة تناول الموضوع، أما من حيث الشكل فإنها كتبت في أسلوب نقي خالص ليست فيه ألفاظ عامية وليس فيه السجع والقافية إلا ما يأتي عفواً، أما من حيث الموضوع فإنه اختار الحياة الاجتماعية، فيتحدث عن عيوب المجتمع عامة وعن عيوب المجتمع الإسلامي على وجه خاص، وما يشعر به من مساوئ الأخلاق مثل القمار والخمر والرقص

١ - البعث الإسلامي عدد أكتوبر ١٩٧٦ م، ص - ٨.

وسقوط الفتیان والفتیات في المعاصي ويقف وقفات طويلة عند الإسلام والمسلمين فيحزنه ما هم فيه من تأخر وانحطاط وانغماس في الشهوات والملذات وسقوط العلماء، إنه رمى العلماء بأنهم تركوا مسئوليتهم تجاه أوامر الدين ونواهيہ فعصوا الله ورسوله، وإن القارئ ليحس أنه يسمع خطبة خطيب في المسجد بل الحقيقة أن الخطباء كانوا يحفظون مقالاته فيلقونها كخطب الجمعة ويحمل بنا أن ننقل هنا ما قاله الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي عن أسلوب مقالاته ننقل عنه:

"... فصدرت هذه المقالات، في أسلوب قوي ملتهب، هو نتيجة كل صراع نفسي رافقته قدرة بيانية، وقلم سيال رشيق، وثروة لغوية، وهذا الأسلوب له قيمته في إيقاظ الشعور وفي تحريك النفوس والعقول، ومحاربة "مركب النقص" وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمة والاعتزاز بالقيم والمفاهيم، خصوصاً إذا كان مدعماً بالدلائل والوثائق، ومسلحاً بالشواهد والتجارب، وهي طبيعة كل إصلاح وانقلاب ورائد كل نهضة وتقدم، وهو الأسلوب الذي استعان به الخطباء والكتاب في العصر الإسلامي الأول واستعان به السيد جمال الدين الأفغاني وصاحبه الشيخ محمد عبده في مقالات "العروة الوثقى" التي أشعلت العالم الإسلامي حماساً وحمية وحملت الحكومات الغربية الاستعمارية على منع دخولها في الأقطار التي كانت تحكمها ولعبت دوراً لا يستهان بقيمته في إيقاظ الشعور الإسلامي وإيجاد الوعي السياسي"<sup>١</sup>.

إن محمد الحسيني قدم لنا مثلاً رائعاً للكاتب الإسلامي والداعية الإسلامي والمجاهد الإسلامي، وعرض علينا عملياً كيف أحاط بالجهات المختلفة وكيف حافظ على الاتزان بينها، وكيف استقام على الطريقة، وصمد في وجه الأعاصير والزلازل

١ - تقديم الكتاب "الإسلام الممتحن" ص ١٦ - ١٧.

الفكرية والسياسية، التي اشتدت في عهده، والتي لا تزال في أوجها وقوتها، والتي سوف نحتاج في المستقبل إلى كثير من أمثال محمد الحسني في مختلف الظروف والمناسبات، إنه قدم لنا نموذجاً حياً للصحافة الإسلامية، هو فيها لنا قدوة نقتدي به وأسوة نتأسى، فما أقر عيناً من هذا حدوه وما أسعد حظاً من خطأ خطوه.

## فكرة التربية عند السير سيد أحمد خان والشيخ محمد عبده

د. طارق أحمد آهنگرا<sup>١</sup>

### ملخص

يخطأ كثير من الناس حين يستخدمون كلمة التعليم والتربية في معنى واحد، فكثير من الناس يجعلون كلمة تربية مرادفة تماما لكلمة تعليم وبالرغم من ارتباط اللفظين ارتباطا وثيقا فإن يختلف معناهما اختلافا واضحا، إن عدم وضوح العلاقة بين مفهوم التربية ومفهوم التعليم قد أدى إلى أخطاء في مجالات "التربية والتعليم". والمقالة هذه ستحاول توضيح الفرق بين التعليم والتربية ومساهمة السير السيد أحمد خان والشيخ محمد عبده في توضيح فكرة التربية وأصولها والطرق التنفيذية في المجالات التعليمية.

الكلمات المفتاحية: التعليم، التربية، السير سيد أحمد خان، الشيخ محمد

عبده،

### مقدمة

لا ينكر أحد أنّ التربية تلعب دورا هاما في إعداد رأس المال البشري الذي يسهم في عملية التنمية الشاملة، وليس من شك في أنّ رأس المال البشري هو أكبر عناصر الإنتاج قيمة وشأنا، فهو يفوق ما للموارد الطبيعية وما لرأس المال المادي من شأن في الإنتاج والتنمية، ومن هنا تهتم الدول المتقدمة بالتربية لأنها تدرك قيمتها في بناء التقدم.

### الفرق بين التعليم والتربية

فالتعليم المقصود به هو تلقين المعلومات وتهيئة المتعلمين لاكتساب المهارات

<sup>١</sup> الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

وغالبا ما يكون في المدارس والمعاهد وغيرها التي يطلب أعدادا خاصا من حيث نظامها وإدارتها ومدرسها، ولها هدف أساسي محدد تقوم على تحقيقه وهي تعليم الأطفال والطلاب من شتى أنواع المعرفة.

أما التربية فهي عبارة عن مجموعة من التغيرات والتطورات والتوجهات تؤثر في سلوكنا وتشكل أسلوب حياتنا وتتحكم في تفكيرنا وتحدد أنواع علاقاتنا وتحدد تصرفاتنا، فهي تشمل الحياة بأوسع معانيها، وتتناول الإنسان البشري منذ ولادته إلى وفاته، فالتربية بهذا المعنى أوسع مجالا من التعليم وأعظم أثرا في تربية الطفل وتشكيل شخصيته كما يقصد بالتربية هي العملية مساعدة الأطفال والمتعلمين على النمو المتكامل من أربعة زوايا وهي:

١- النمو الحسي

٢- النمو العقلي

٣- النمو الجسدي

٤- النمو الاجتماعي

والتربية بهذا المعنى تسمو وترتفع لتشمل جميع أهدافنا وحاجاتنا وهذا يجعله عاملا محوريا الذي لا مفر منه في حياتنا، فالتربية هي عملية تنمية متكاملة لكافة قوى وملكات الفرد، بمختلف الأساليب والطرق ليكون سعيداً في الحياة وعضواً صالحاً في مجتمعه، وهي تشمل جميع جوانب شخصيته الروحية والعقلية والخلقية والاجتماعية والوجدانية والجمالية والبدنية..

وأما عملية التعليم فهي جزء من العملية التربوية الكاملة، وهدفها تنمية عقل الفرد وتمكينه من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لحياته، ودرابته بعلم ما، أو فن ما، أو حرفة أو مهنة ما ونحو ذلك.

فيمكننا أن نقول إن عملية التربية هي أكثر وأوسع شمولية وتكاملية من عملية التعليم، إذ أن هدف التربية يتجه إلى تنمية وصقل جميع جوانب الشخصية الإنسانية بما يكون في المجتمع أعضاء صالحين ذوي مواهب وقدرات وخبرات وكفاءات جيدة،

متعاونين متآزرين، سعادة ذوي نظرة إيجابية للحياة، قادرين على مساعدة وإسعاد أسرهم وأقربائهم وإعانة بقية أفراد مجتمعهم، حريصين على القيام بواجباتهم الإنسانية تجاه غيرهم.

لو رأينا قائمة المصلحين والمفكرين وخبراء التعليم والتربية وأصحاب البصيرة وحاملين الشعور السياسي الصحيح في القرن التاسع عشر لوجدنا السير سيّد أحمد خان والشيخ محمد عبده على رأسها وهما من الأشخاص الأفاضل الذين حملوا لواء النهضة العلمية بين المسلمين في الهند ومصر.

### السير السيد أحمد خان وفكرته التعليمية والتربوية

ولقد تغير المناخ السياسي الشعب الهندي بوجه عام وللمسلمين بوجه خاص بعد فشل الثورة الكبرى في عام ١٨٥٧م. وكان البريطانيون يربّون العداوة في قلوبهم ضد المسلمين منذ زمن، فوجدوا فرصة القصاص والانتقام بعد فشل الثورة، حين رأوا أنّ الثورة قادها المسلمون في الهند، فأصبحوا عرضة لغضبهم وقصاصهم حتى ضاقت عليهم الأرض، وخطّط الإنجليز ضد المسلمين الهنود التخطيط السياسي المضطهد كله ولم يتركوا لهم سبيل النجاح حتى أغلقت عليهم أبواب التعليم وأبعدوا عن العلوم العصرية وضربت عليهم التخلف الديني والعصري، فسقطوا فريسة الجهل والجمود والانحطاط حتى رضوا عن العيش بها ومعها. وفي هذا المناخ السياسي كان من الصعب أن يخرجوا من هذه الورطة، فقام سيّد أحمد خان بعزمه المحكم وإيمانه الوثيق لإصلاح المسلمين الهنديين ولرفع مستواهم السياسية والاجتماعية، فاتخذ التعليم والتربية مفتاحاً له ليفتح القفل الذي أغلق المسلمين أذهانهم، وهم لا يكاد يريدون فتحها إلا بشق الأنفس كما لا يريدون أن يتنوّروا بأنوار العلوم ويتنفسوا في الهواء الطلق، وإن عدد المسلمين في الهند وقتها كان قد جاوز السبعين مليوناً بينما يعيش معظمهم في حالة من الجهل والفقر وبؤس العيش وحتى من تعلّم منهم لم يتجاوز

تعليمه من إطار تقليدي (التعليم الديني)<sup>١</sup>. ونظر السيد في شؤون بلاده فرأى كما يراه كثيرون من أهل البصيرة، ولكن أشعة بصره تخطت المعلولات إلى العلل، وانتقلت من العلل إلى كشف علاج الأمراض التي شلت وتحولت أفكار المسلمين بالسكون، وألسنتهم بالسكوت، وأيديهم بالشلل، وأرجلهم بالقلز، حتى باتوا بلا علم ولا عمل، ونظر نظرة حكيم، فاهتدى إلى الصراط المستقيم، وما هو إلا نعيم التربية والتعليم<sup>٢</sup>.

### فكرة التعليم عند السير سيّد

إن السيّد أحمد خان له آراء متعددة عن التعليم والتربية يمكن تلخيصها كالاتية:

#### ١. التعليم وسيلة لفهم الإمكانيات والمقدّرات الإنسانية

أجمع العلماء التربويون المفكّرون على أنّ التعليم وسيلة مؤثرة للغاية لفهم الإمكانيات الداخلية وإدراك المواهب والمقدّرات التي توجد في أي فرد لتطوّر شخصيته بوجه كامل، وغاية التعليم هي توفير صورة متماسكة للكون وطرق الحياة المرتبطة. وأفكار السير سيّد أحمد تتفق مع هذه الوجهة في معناها الرئيسي الواسع، فكتب في كتبه ناقدًا فيها نظام التعليم الحكومي عاضًا غاية التعليم الحقيقي قائلاً:

"غرض التعليم لم يزل تمكين رجل أنّ ينهّي قواه الفكرية من كلّ ناحية لكي يقدر على مواجهة أية مواقف صعبة، ويستطيع أنّ يميّز بين الحقّ والباطل وينال مهارة تامة لأن يتأهل ويتفكّر في أسرار الطبيعة الإلهية، التعليم ينبغي أنّ يقوّي الشخصية والسلوك ويساعده في الاعتناء بنفسه ويركّز على الحياة القادمة... التعليم ليس بشيء يدخل في الإنسان من الخارج بل إنه إطلاق إمكانياته وإعتاق ومقدّراته التي تكون

<sup>١</sup> زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص: ١٢٧

<sup>٢</sup> سر سيّد اور هندوستانی مسلمان، ص: ١٠٩-١١٠

كامنة في نفس الإنسان".<sup>١</sup>

٢. التعليم ليس وسيلة لكسب المعاش فحسب.

انتقد السيّد أحمد خان بنظام المدارس الوطنية التي ترتبط بالحكومة وصرّح بأن هذه المدارس لا تفي بأغراض الوقت ولا يلائم تحقيق الغايات الأصلية، هو نَبّه الحكومة إلى أنّ تزوّد التعليم باللّغة الإنجليزية حيث يستفيد أهل الهند منه، وهذا لأنه رغم موقفه بأن التعليم بلغة الأم يجعل الطفل يتلاءم مع نشوئه العقلي والفكري بوجه أحسن. كان يشك في أنّ لغة من لغات الهند يمكن أن تصبح واسطة التعليم، كما نقد الموقف الحكومي أيضا الذي يهدف من التعليم والتربية أن يتأهل الهنديون لكسب المعاش ويحصلوا على الشهادات التي تسهل لهم الوظائف الرسمية والمناصب الحكومية العالية في الدوائر المختلفة، وهو يرى أنّ غاية التعليم ينبغي أن يكون إيقاظ القوى العقلية وإنشاء شخصية تتسم بالأخلاق الفاضلة من كل ناحية.

٣. التعليم لازم لحصول على الحقوق الاجتماعية والسياسية

كان سيّد أحمد يرى أنّ المسلمين الهنديين لن ينالوا حقوقهم الاجتماعية والسياسية حتى يعلمها ويتثقفوا جيدا، وكان يعرف أنّ الحقوق لا تُمنح إلا لمن يعلمها ويسأل عنها ولا يطلبها، فقال في كلمة ألقاها في ٢٩ يناير ١٨٨٤م بمدينة أمرتسر:  
"مع أنّ الحكومة لم تمنحنا بعض حقوقنا حتى الآن ولن تمنحنا حتى نشكو إليها، ولكنني أعتقد أنّ رجال الحكومة سوف يضطرون إلى منح جميع حقوقنا إذا اهتمنا بالتعليم العالي، طوعا أو كرها."<sup>٢</sup>

---

<sup>١</sup> العمري، محمد صلاح الدين، المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، مجمع السير سيّد التعليمي، جامعة على كرة السلامية، على كره، الهند، ط:١، ٢٠٠٧. ص: ٢٥

انظر أيضا: حيات جاويد، ص: ٩٠-٩٢

<sup>٢</sup> مجموعة محاضرات السير سيّد، إعداد: منشي سراج الدين ص: ١٨٩، مطبع بلالي، سدهورا، ١٨٩٢.

وكان يعتقد أنّ التعليم عامل هام للاستقلال السياسي الهندي، وأن الاستقلال أو الحرية بدون التعليم لا قيمة لها. واستقلال للجاهل ظلم عظيم، والتعليم هو الذي يستطيع أن يرفع مستوى الناس السياسي والاجتماعي ويمكّنهم من الحصول على القوة المفقودة والغاية المنشودة.

#### ٤. التعليم والتربية شرط لازم للتقدم والتطور

لا شك في أنّ معنى "التقدم" هو المسير إلى الغاية التي حدّتها الأمة بنفسها لنفسها، وكل خطوة تخطو الأمة إليها فتقرب بها التي تعتبر خطوة التقدم والتطور، وأما الخطوة التي تخطو الأمة ضد تلك الغاية المنشودة وتبتعد عنها فهي خطوة التخلف والتراجع، فالتعليم والتربية مهم للأمة لمعرفة غايتها الصحيحة وتحديدها بعد تفكير عميق أخذة كل شيء بعين الاعتبار. والسيد أحمد خان كان يدرك أنّ التقدم القومي ينحصر على التعليم والتربية كما قال: "هذا هو رأي جميع الأقسام والمفكرين في العالم أنّ التقدم القومي ينحصر على التعليم والتربية، فلو أننا نريد تقدّم بلادنا ورخاءها فعلينا أن نكافح ونناضل لأجل تحسين نظام التعليم القومي لتربية رجالنا وثقافتهم في العلوم والتكنولوجيا".<sup>١</sup>

وقال في مناسبة أخرى بمدينة عليكره:

"حينما تعتلّ أعضاء الإنسان ويفسد التوازن في الجسم فيصيب الجسم بأمراض مختلفة وعوارض عديدة، ونفس الشيء يصدق في القوم حينما يبدأ سقوطه فلا يقتصر على أي جانب خاص بل ينتشر في جميع نواحي الحياة والدين، والأخلاق، والتعليم، والحضارة، والسلامة، والأمانة، والمال، والرزانة، واحترام النفس، والذين يتولّون العناية بإصلاح المجتمع يدهشون ويتحيرّون ويتضايقون من أن يعالجوا الأمراض الكثيرة في حين واحد ولكنهم لما يتفكّرون يأخذون

<sup>١</sup> المنتقى من مقالات سيد أحمد خان، ص: ٢٥-٢٦

الأمر مأخذ الجدّ فيصلون، بعد التفكير الدقيق والدراسة العميقة إلى نتيجة أنّ التعليم وتربية الأخلاق علاج وحيد لجميع الأمراض.<sup>١</sup>

#### ٥. التعليم جسده وروحه تربية أخلاقية

كانت التربية الأخلاقية ميزة أساسية لبرنامج السير سيّد التعليمي، وقد أدرك أنّ التربية الأخلاقية ظاهرة مهمّة من التعليم ويجب أن يهتمّ به اهتماما بالغاً في المدارس والكلّيّات، وكان يريد أن يُنشأ جيل غني بجميع العلوم من المعقول والمنقول، ومثقف بالثقافة الواسعة ومتعلّى بالأخلاق الكريمة<sup>٢</sup>، كما خاطب اجتماعاً كبيراً في مدينة ميروت عام ١٨٨٨ م قائلاً:

" لا أريد أن ينشر التعليم وحده في المسلمين، بل أرغب في نشر التربية الأخلاقية معه، لأنّ تعليم الأطفال بدون التربية الأخلاقية لا يجدي ولا ينفع، ولا يمكن لنا أن نحصل على الثمرة التي نودّ أن نحصل عليها، بدون التربية الأخلاقية."<sup>٣</sup>

وقال في موضع آخر: "إنّ التربية الأخلاقية لبناء أيّ مجتمع لازم مثل الروح للجسد"<sup>٤</sup>

#### الشيخ محمد عبده

وكان نظرية الشيخ محمد عبده تجاه النهضة والإصلاح تختلف تماماً عن الزعماء الذين اتخذوا أسلوب الثورة والنضال للإصلاح السياسي والاجتماعي في مصر. فقد رأى الشيخ محمد عبده أنّ النهوض بالأمة يجب أن يتمّ بأسلوب التربية والإصلاح الاجتماعي

<sup>١</sup> المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، ص: ٢٦

<sup>٢</sup> حيات جاويد، ص: ٤٦٥

<sup>٣</sup> راجع خطبة ميروت، ١٤/مارس ١٨٨٨ م.

<sup>٤</sup> المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، ص: ٣٠

بدلاً من طرق الثورة والنضال، وأنه ينبغي تثقيف الشعب وتنويره قبل أن يطالب بالثورة والحياة النيابية، فلم يتكون في الأمة الرأي العام الذي يجعلها أهلاً للحكم الدستوري النيابي، وليس من الحكمة أن تعطي الرعية ما لم تستعد له، فذلك بمثابة تمكين للقاصر من التصرف بماله قبل بلوغه سن الرشد فمن يريد خير البلاء فلا يسعى إلا في إتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه.<sup>1</sup>

وكان الشيخ محمد عبده يؤمن أنّ الاحتلال ليس هو علة التخلف بل الاحتلال هو الذي من نتائج التخلف وآثاره، وسبيل التقدم يكون عن طريق التربية ووضع البرامج الإصلاحية التي ترمي إلى رفع المستوى الاجتماعي للأمة وتحسين أحوالها في شتى نواحي الحياة.

وكان يرى أنّ التربية والتعليم هما السبيل لإيقاظ الوعي القومي للشعب وتأهيل أفرادها للمساهمة في الحياة الجديدة، فبالتربية والتعليم تتجدد حيوية الأمم وتُعيد تكوينها.

### مفهوم التعليم والتربية في مصر قبل الشيخ محمد عبده

كان المفهوم الشائع عن التربية في تلك الفترة يتمثل في معنيين:

أولهما: أنها عملية مرادفة لتهديب الخلق، كان يسلك التلميذ سلوكاً يتسم بالوقار والهدوء وعدم استخدام الألفاظ القبيحة، والالتزام بطاعة الأوامر وحفظ النظام. ثانيهما: وهو معرفي ويتمثل في شحن الذهن بالمعارف الموجودة في كتب التراث وتسميعها.

ونتيجة لذلك لم يكن هناك اهتمام بالتربية الجسمية والتربية الوجدانية، وأهمل شأن التوجيه الاجتماعي للتربية.

### مفهوم التعليم والتربية عنده

---

<sup>1</sup> دراسة في الفكر السياسي والاجتماعي للإمام محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج: ١، ص: ٢٣٤

والشيخ محمد عبده لم يتفق بمفهوم التعليم والتربية الذي كان شائعاً في مصر لكونها الضيق وضافت به مجال التربية في دائرة محدودة، ولم ينظر إلى التربية تلك النظرة الضيقة التي تقتصر وظيفتها على تعليم التلاميذ وشحن أذهانهم بالمعلومات والمعارف، وإنما نظر إليها من منظور اجتماعي على اعتبار أنّ لها قيمة في حل مشكلات المجتمع وتطويره وتحقيق تماسكه، فالتربية من وجهة نظره هي الأساس الأول لإصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وأن العمل التربوي يجب أن يسبق الأعمال الأخرى في تحقيق هذه الغاية، وأهم ما برز مفهوم التربية عند الأستاذ محمد عبده وما فيها من جوانب تجديد كما يلي:

### ١. التربية عملية فردية اجتماعية

أكد الأستاذ الإمام محمد عبده على أنّ التربية هي عملية إنماء الفرد مع توجيه هذا النمو وجهة تفيد المجتمع وفي ذلك يقول: "إن التربية هي عملية إعداد الفرد للمعيشة الصالحة في نفسه ومع الناس الذين يمشون معه فإذا تربى الإنسان أحب نفسه لأجل أنّ يحب غيره، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه".<sup>١</sup>

وتنادي التربية الحديثة بنفس هذا المبدأ فهي تنظر إلى التربية على أنها عملية تعمل على إنماء الفرد إلى أقصى حد تمكنه قدراته واستعداداته، مع توجيه هذا النمو وجهة اجتماعية بحيث يكتسب الفرد الطابع الاجتماعي لهذا المجتمع حتى يستطيع أن يحيا فيه، وهو ما يدلّ على أنّ الأستاذ كان سابقاً لعصره في مجال الفكر التربوي.

### ٢. التربية عملية متكاملة

وكذلك أكد الأستاذ الإمام محمد عبده على أنّ "التربية ينبغي أن تكون عملية شاملة متكاملة لأن نمو الإنسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية

<sup>١</sup> تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج: ١، ص: ٧٥١.

والنفسية في آن واحد، وهذه الجوانب يؤثر ويتأثر بعضها ببعض " ١ .

ويتفق رأي الأستاذ الإمام مع المفهوم الحديث للتربية الذي يقوم على أنّ التربية عملية متكاملة لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تشمل التربية جوانب الإنسان الجسمية والعقلية والعاطفية والاجتماعية والخلقية.

### ٣. التربية هي الحياة

التربية بمفهومها الحديث هي خبرة حية يكتسبها الإنسان من خلال تفاعله مع البيئة التي يعيش فيها. وقد عبر الأستاذ الإمام عن هذا المفهوم قائلاً: " كل إنسان لا ينضج ولا يستو إلا من خلال تجارب الحياة وشدائدها، فالشدائد والتجارب تخلق الرجال وتصنع الأبطال " ٢

### ٤. التربية عملية مستمرة

أصبحت التربية المستمرة مطلباً هاماً من طالب المجتمعات الحديثة ومبدأ هاماً من المبادئ التي تأخذ بها النظم التعليمية الحديثة، حيث أصبح من الضروري للأفراد مواصلة تعليمهم لإلحاق بمطالب الحياة المتغيرة من حولهم. وعبر محمد عبده عن هذه الحقيقة بقوله: ينبغي "أن يسعى الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة واستكناه الحقائق طوال حياته، وأكمل الناس علماً وفهماً الذين لا ينقطعون عن طلب العلم طوال حياتهم. ٣

### ٥. التربية عملية متغيرة

---

١ محمد عبده: تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج: ٤، حققها وقدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ص ٦٣٣.

٢ عبده، محمد: تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج: ٤، حققها وقدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص: ١٠٥.

٣ نفس المرجع، ص: ٧٤٠

فالنظرة الحديثة للتربية تقوم على أنها عملية متجدّدة تتغيّر بتغيّر الأهداف وتغيّر الزمان والمكان، مما يجعلها ذات أنماط متعددة، وقد أكد الأستاذ الإمام محمّد عبده على هذه الحقيقة بقوله: " أنّ التربية وسيلة لتحقيق غرض معلوم وتغيّر وسائل التربية بتغيّر الزمان والمكان".<sup>١</sup>

### أهمية التربية عنده

تتضح أهمية التربية لدى محمّد عبده كما ذكرناها في متطلبات التعليم بأن يكون لها السبق والأفضلية على غيرها من الوسائل الأخرى في إصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وقد وُجدت هذه الفكرة في أواخر القرن التاسع عشر تأييدا قويا لها في كتاب فرنسي أصبح الآن منسيا، لكنه أحدث ضجة كبيرة في ذلك الحين، هو كتاب "سر تفوق الأنجلوسكسون" لديمولان، وهو في هذا المؤلف يرجع أسباب استيلاء الشعوب الأنجلوسكسونية على العالم ووصولهم إلى أعلى درجات القوة والازدهار بين جميع شعوب العالم إلى التربية، حيث كان أسلوب التربية لديهم يرتكز على دعامين هما: تدريب الإنسان على العيش في العالم الحديث، واحترام حرية الإنسان وتنمية روح الفردية لديه.

وفيما يلي آراء محمّد عبده وما تتضمنه من اتجاهات جديدة حول أهمية التربية وقيمتها:

### ١ - التربية عامل هام في تحقيق التطور والارتقاء.

أوضح محمّد عبده "إن ارتقاء الشعوب وتطوّرها يقاس بما لدي الأمم من معارف وأفكار، فالأمة ذات البسطة في الأفكار والمهارة في المعارف هي الأقوى سلطانا وهي غالبية على سواها من الأمم."<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> محمّد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٣، الإصلاح الفكري والتربوي، ص ١٧٢.

<sup>٢</sup> تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج:٢، ص: ١٤٤.

وفي موضع آخر أشار إلى "أن مرجع الارتقاء في عادات الأمة وأخلاقها هو التربية وليس القانون، فالتربية هي التي تنمي وتصلح، والقانون هو الذي يحفظ ويحرس".<sup>١</sup>

## ٢. التربية عامل هام في التنمية الاقتصادية للمجتمعات:

لقد تأكد في عصرنا الحالي الدور الذي تقوم به التربية في زيادة الإنتاج والدخل القومي، وأصبح ينظر إلى التربية على أنها استثمار في الموارد البشرية، وهناك كثير من الدراسات العالمية التي وجهت اهتمامها لدراسة العائد الاقتصادي للتربية، وأوضحنا بما لا يدع مجالاً للشك أنّ هذا العائد يفوق إضعافاً مضاعفة نظيره من أي عائد آخر يأتي عن طريق أي استثمار في أي مجال آخر غير مجال التربية.

وقد فطن محمد عبده إلى قيمة التربية في التنمية الاقتصادية وأهميتها في تنمية الثروة البشرية اللازمة لتطوير المجتمع، فعدد عدداً من الثروات الطبيعية القائمة في مصر مبيناً أنه لا قيمة لها ما لم يستغلها البشر الاستغلال المناسب "وماذا تصنع الوسائل المهيئة إذا لم تصادف من ينتهزها؟ وهل يوضع السيف الصقيل بلا بطل؟ كلا... فما فقر البلاد إلا قلة الراشدين فيها، وما غناها الحقيقي إلا كثرة المهندسين".<sup>٢</sup>

وأبرز محمد عبده نفس المعنى في مقال آخر مبيناً "أن الأمم لا تقدر ثروتها بما تملك من موارد طبيعية، وإنما بما تملك من ثروة بشرية متعلمة: "أليس من الواضح أنه لا دين إلا بدولة، ولا دولة إلا بصولة، ولا صولة إلا بقوة، ولا قوة إلا بثروة، وليست التجارة والصناعة هي ثروة الدولة، إنما ثروتها أهاليها، ولا تمكن ثروة الأهالي إلا بنشر العلوم فيما بينهم حتى يتبينوا طريق الاكتساب، فإن ذلك أمر خفي على ذوي الأبواب فضلاً عن غيرهم"<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> محمد عبده، المدارس الأميرية، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج:٣، ص:١١٠.

<sup>٢</sup> تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج:١، ص:٤٣.

<sup>٣</sup> نفس المصدر، ج:١، ص:٤٢.

### ٣. التربية ضرورة لإرساء الديمقراطية السليمة

تحرر التربية الإنسان من قيود العبودية والجهل، ولا يمكن أن تعمل الحرية أو الديمقراطية في ظل الأعين أو الفقر الثقافي، ولا يمكن أن نتصور شخصا جاهلا يمارس بنجاح حقوقه السياسية في الانتخاب والتصويت أو إبداء الرأي، وهذا بالطبع يبرز أهمية التربية في تكوين المواطن الحر المستنير القادر على المشاركة الواعية في تقدم بلاده.

وقد أكد محمد عبده على قيمة التربية في إرساء قواعد الديمقراطية، فقد أوضح قائلا: "أن الديمقراطية والحياة النيابية لا يمكن أن تنتشر في المجتمع الجاهل، فلا بد أن يسبق التعليم الديمقراطية، فالتربية والتثقيف هما السبيل لتكوين الرأي العام، ومتى تكون الرأي العام سهل الحصول علي الحياة النيابية والدستورية فالمعهود فيه في سير الأمم وسنن الاجتماع، أن تقييد سلطة الحكومة وإلزامها بالشورى والمساواة بين الرعية، إنما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا إذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة، وصار لهم رأي عام، وليس من الحكمة أن تعطي الرعية ما لم تستعد له، فذلك تمكين للقاصر من التصرف بماله قبل بلوغ سن الرشد".<sup>١</sup>

من خلال استعراض أهمية التربية عند الأستاذ الإمام وما تطوي عليه من أفكار جديدة سبق بها عصره يتضح لنا إجماعه على أنّ التربية يجب أن يكون لها السبق والأولوية على غيرها من الوسائل الأخرى في تطوير المجتمع وتحقيق استقلاله وهورأى يحتاج إلى مناقشة وتحليل.

#### خاتمة

لقد اتضح لنا من خلال ما عرضناه في السطور السابقة أنّ دعوة التعليم والتربية لسيد أحمد خان والشيخ محمد عبده تقوم في جوهرها على أساس العقل وتحكيمه في كافة المجالات وتمكينه من أداء دوره كاملا في هذه الحياة حتى يمكن للأمة

<sup>١</sup> محمد عبده، الثوري والقانون في الوقائع المصرية، عدد ١١٤٢ في ١٩ يونيو ٨٨١.

أن تنهض من كبوتها، وتسير في طريقها بخطوات ثابتة متحررة من ظلمات الجهالة والخرافات والأوهام متسلحة بالعلم. فالتعليم والتربية لا بد من أن تقوم بالعلم الذي يكتشف بالشواهد والبراهين والدلائل الخالية من المعتقدات السلوكية والغريضة الوطنية.

فالسير السيد أحمد اهتم اهتماما بالغاً بالتعليم الحديث وأكد أنّ التقدّم القومي ينحصر على التعليم والتربية، فإذا أردنا تقدّم بلادنا ورخاءها فعلينا أن نكافح ونناضل لأجل نظام التعليم القومي لتربية رجالنا وتثقيفهم في العلوم والتكنولوجيا وأما الشيخ محمّد عبده فهو لم يكتف بمفهوم التربية الضيقة الذي كان شائعاً وقتئذ في مصر وضاق به مجالها في دائرة محدودة تقتصر وظيفتها على تعليم التلاميذ وشحن أذهانهم بالمعلومات والمعارف، وإنما نظر إليها من منظور اجتماعي اعتباراً أنّ لها قيمة في حل مشكلات المجتمع وتطويره وتحقيق تماسكه، فالتربية من وجهة نظره هي الأساس الأول لإصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وأن العمل التربوي يجب أن يسبق الأعمال الأخرى في تحقيق هذه الغاية.

والإصلاح عندهما الإصلاح العقلي بالثقيف والتهديب، والنظر إلى الدين نظرة سماحة ويسر، والاستقلال يتبعه طبعاً، فلا استقلال لجاهل ولا مخرف، إنما الاستقلال لمن يعرف بالشؤون الدينية والعلوم العصرية من طبيعة، وكيمياء، ورياضة وفلك، ونفس واجتماع، ونظام الحكم والإدارة وكل شيء أتت به المدنية الحديثة.

#### مصادر المراجع:

١. محمّد عبده، الثوري والقانون في الوقائع المصرية، عدد ١١٤٢ في ١٩ يونيو ٨٨١.
٢. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج:١، ص: رضا، رشيد: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ط: ٢، عدد أجزاء: ٣، دار الفضيلة، القاهرة ٢٠٠٦.

٣. محمّد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٣، الإصلاح الفكري والتربوي.
٤. عبده، محمّد: تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:٤، حققها وقدم لها محمّد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٥. دراسة في الفكر السياسي والاجتماعي للإمام محمّد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج:١
٦. العمري، محمّد صلاح الدين، المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، مجمع السير
٧. سيّد التعليمي، جامعة على كرة السلامية، على كره، الهند، ط:١، ٢٠٠٧
٨. أدينيس وخالة سعيدة، ديوان النهضة الإمام محمّد عبده، ط:١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ م
٩. إسماعيل، سعيد: الفكر العربي الحديث، مطبع عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧ م.
١٠. أمين، أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١١. رضا، رشيد: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ط:٢، عدد أجزاء:٣، دار الفضيلة، القاهرة ٢٠٠٦.
١٢. عبد المقصود محمّد فوزي: الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمّد عبده وآليات تطوير التعليم، جامعة الفيوم.
١٣. عبده، الشيخ محمّد، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمّد عبده، تحقيق وتقديم: عمارة، محمّد، ط:١، ١٩٩٣، دار الشروق - بيروت.
١٤. العراقي، العاطف: الشيخ محمّد عبده مفكراً عربياً، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، ١٩٩٥ م.

١٥. العمري، محمد صلاح الدين: المختار من مقالات السير سيّد أحمد خان، ط: ١: ملتزم الطبع والنشر، على كره- الهند، ٢٠١٠.
١٦. العمري، محمد صلاح الدين، المنتقى من مقالات سيّد أحمد خان، مجمع السير سيّد التعليمي، جامعة على كرة السلامية، على كره، الهند، ط: ١، ٢٠٠٧
١٧. العمري، محمد صلاح الدين، سيّد أحمد خان حياته وأفكاره.
١٨. مجموعة محاضرات السير سيّد، إعداد: منشي سراج الدين ص: ١٨٩، مطبع بلالي، سدهورا، ١٨٩٢.

### المراجع الأردنية

١. إكرام، محمد: موج كوثر، لاهور، ١٩٧١ء
٢. حالي، الطاف حسين، حيات جاويد، ط: ٢، ترقى اردو بيورو، نئ دلهي، ٢٠٠٠ء
٣. الحق، عبد: مطالعه سر سيد أحمد خان، ايجوكيشنل بوك هاوس، على كره، ٢٠٠٨ء
٤. خان، سيّد أحمد: مجموعة محاضرات السير سيّد، إعداد: منشي سراج الدين، مطبع بلالي، سدهورا، ١٨٩٢.
٥. سهارنپوري، محمد حفيظ الرحمن: أخلاق اور فلسفة أخلاق، فاروقى پريس، دلهي، ١٩٥٠ء.
٦. لون، عبد الحميد: إمام محمد عبده حيات وخدمات، تكبير پبلكيشنز، گاوكدل سرينگر، ٢٠١٤ء،
٧. نقوي، نور الحسن، سر سيد اور هندوستاني مسلمان، ايجوكيشنل بوك هاوس، على كره.

## نظرة خاطفة إلى عوامل تطوير اللغة العربية في ولاية كيرالا

حمزة علي أبي<sup>1</sup>

مدخل

ومما نعرف أن ولاية كيرالا منطقة ساحلية تقع في جهة الجنوب لشبه القارة الهندية فيما بين البحر العربي والجبال الغربية التي تمتد من الجنوب إلى الشمال. تتميز عن بقية أنحاء الهند بطبيعتها الخلابة ذات الطابع الاستوائي وثقافتها الممتازة ومنتجاتها الشهيرة، بالإضافة إلى ذلك أن سكانها يعيشون مع الود والإخاء برغم أنهم ينتمون إلى مختلف الأديان والأجناس، فمساكنهم تتقارب ومعابدهم تتجانب وصدقاتهم تترافق.

الآن وهي تلقب بـ "الولاية المثقفة" للتطورات المستمرة في مجال التعليم والتربية والتدريس. ولا ريب في أن مجال التعليم يلعب دورا هاما في تعليم اللغة العربية في شتى الحقول الدراسية. ومن الأجدر بالقول هنا إن اللغة العربية لا تزال تستخدم في مجالات دينية ودراسية وأدبية وعلمية والمهنية. وهذه المقالة محاولة متواضعة في ضوء الأدلة التفصيلية ومن الوثائق التاريخية.

الكلمات الدليلية: كيرالا، الفلفل السود، الزنجبيل، القرنفل، تجار العرب

علاقاتها الدولية منذ القدم

وإذا أنعمنا النظر إلى المسجلات التاريخية نجد أن لهذه الولاية الصغيرة الهندية علاقة وطيدة بالقوى الأجنبية التجارية من البلدان الخارجية. ولتحصيل الهدف على إنتاجها الجبلية الممتازة قصدها الفينيقيون والعرب والرومان والصينيون

<sup>1</sup> أستاذ مساعد، قسم البحوث والدراسات للمجستير، كلية أم. إي. إيس ممباد، مالابرم، كيرالا، باحث في جامعة كيرالا، ترافاندرم

والبرتغاليون وغيرهم الذين وصلوا فيها في عصور مختلفة قبل احتلها الإنجليز. وقد وفد هؤلاء الناس من مختلف بقاع الأرض للزيارة أو للتجارة أو للبيع أو للدعوة الدينية. ومن بينهم أمة العرب الذين اشتهروا في تاريخ العالم بجولاتهم التجارية. ومما يدل من الوثائق التاريخية أن بداية علاقة كيرالا العربية كانت منذ أقدم العصور. لأن الإسرائيليين كانوا يتجرون مع الهند في عهد داود عليه السلام، وكانت السفن التجارية في تلك الأيام تصل مرة في كل ثلاث سنوات ميناء "أوفير" بالسواحل المليبارية، وهي الميناء المعروف باسم 'Beypore' الواقع على شاطئ البحر العربي. وتبعهم اليونان في التجارة البحرية مع الهند. ثم لما تأسست مدينة حضر موت في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية أصبح العرب همزة الوصل في التجارة بين الهند والبلدان الخارجية.<sup>٢</sup>

توجد الأدلة الواضحة من الكتب التاريخية أن سليمان عليه السلام كان يجلب العاج والقرد والطاووس والصندل من ميناء أوفير وترتيش المذكورتين في التوراة،<sup>٣</sup> ونرى أيضا في بعض الأوراق التاريخية أن اليونان انجذبوا إلى كيرالا لاقتناء الزنجبيل والفلفل والقرنفل في القرن السادس قبل الميلاد.

فمن الأسباب المهمة لتجذب البلدان الخارجية وتجارتها إلى كيرالا هي موقعها الجغرافي حسبما تصل إليها الشوارع والسفن من السواحل العربية بواسطة الماء وعلى اتجاه الرياح الشمالية الشرقية، ومنها البضائع المختصة بكيرالا. ومن أهم هذه البضائع:

---

<sup>١</sup> يقول الدكتور تاراتشانند في كتابه التاريخية "تأثير الإسلام في الثقافة الهندية" إن أوفير هي ميناء بيفور القريبة من كاليكوت في كيرالا

<sup>٢</sup> الفاروقي، الدكتور جمال الدين، دراسات في الثقافة والحضارة (٢٠١٠). كاليكوت: مكتبة الهدى، ص: ٩٣

<sup>٣</sup> الفاروقي، الدكتور وبران محيي الدين، الشعر العربي في كيرالا مبدأه وتطوره (٢٠٠٣)، كاليكوت: عرب نيت، ص: ٢٦

الفلفل الأسود الذي لا يزرع إلا في كيرالا، ومن العجب أن الفلفل قد أخذ المكان في الكتب الأدبية والتاريخية منذ القدم حتى في الكتب الطبية اليونانية والرومية وسَمّوه بـ"دواة الهند"<sup>١</sup>. وقد ورد أخبارها في الأشعار الجاهلية حينما قال إمرؤ القيس معلقته الشهيرة، حيث قال:

ترى بعراً الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

القرنفل من المواد الزراعية لأهل كيرالا، وإن أول من قالها في الشعر العربي أيضاً إمرؤ القيس:

إذا قامتا تَصَوَّعَ المسك منهما نسيم الصبا جاءت برى القرنفل

الزنجبيل يدل عليه حديث يرويه المحدث أبو عبد الله الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري: "أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه كل منهم قطعة، وأطعمني منها قطعة، وقد تناول الرسول ﷺ بنفسه منها، وعقب الحاكم على ذلك بقوله: لم أخرج من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلي بن زيد ابن جدعان حرفاً واحداً، ولم أحفظ في أكل رسول الله ﷺ الزنجبيل سواه، فخرجته"<sup>٢</sup> الساج: وهذا أيضاً من خصائص كيرالا دون غيره، لأن من نتائج بعض البحوث أن أخشاب الساج المستعملة في بناء قصر الملك قطب نصر (٢٠٥-٥٦٢ ق م) وفي بناء المعابد بمغيريا<sup>٣</sup>

السيف: يدل عليه حادثة جرت في عهد النبي ﷺ حينما مدح النبي ﷺ بتشبيهه بالسيف الهندي في قصيدته الشهيرة بانث سعاد حيث يقول:

<sup>١</sup> كنجان بلا، الام كلم، دراسات في تاريخ كيرالا، ص ١٥٩.

<sup>٢</sup> ألواي، الدكتور محيي الدين: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، دار القلم، ص ١٣٧

<sup>٣</sup> دكتور كي كي بلا، تاريخ جنوب الهند (ترجمة مليالم)، ص ٢٩

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند<sup>١</sup> من سيوف الله مسلول

الكركدن والعاج والقرد والطاؤوس والصندل والعود والعنبر والكافور وغيرها،  
كما قال ابن الفقيه الهمداني<sup>٢</sup> في كتاب البلدان.

ومما نفهم من المسجلات التاريخية العلاقة الوطيدة بين العرب والهند بصفة  
عامة، وكيرالا بصفة خاصة. وقد استمرت هذه العلاقة حتى كانت القوافل التجارية  
في عهد النبي ﷺ سائرة بين كيرالا والجزيرة العربية ذهابا وإيابا. وما زالت هذه الحالة  
تواصلت إلى عدة قرون حتى ظهر الإسلام في جزيرة العرب فقويت الدعوة الإسلامية  
كما قويت الصلات التجارية.

### وفادة اللغة العربية إلى أرضها

ولما ظهر الإسلام بمكة بدأت الدعوة الإسلامية تنتشر في أنحاء العالم، ولتعزيز  
دعوة الإسلام في الهند قصد رهط من العرب، ومنهم عشرة رجال وخمس نساء، خرجوا  
إلى مليبار في كيرالا ووصلوا أرضها ومكثوا فيها وبنوا عشرة مساجد في أنحاء كيرالا  
المختلفة. وتابعهم عديد من تجار العرب قاصدين سواحل مليبار ووصلوا إليها زرافات  
ووحदानا، حتى استوطن بعضهم في بعض مدنها الساحلية مثل كاليكوت وفناني  
وشاليات وكويلاندي وغيرها، وبعضهم تزوجوا من نساءها، فمن الطبيعي أن يختلط  
ثقافتهم بثقافة كيرالا ولغتهم باللغة المحلية. وهذه الاختلاط أدى إلى انتشار اللغة  
العربية بين سكان المدن الساحلية. وبدأ أهل كيرالا يستخدمون بعض الألفاظ العربية  
والعادات الأجنبية المختصة بالعرب، هذا في جانب.

---

١ ان بعض الباحثين ذهبوا إلى أن بعض بلاد مقاطعة ملابورم (Malappuram) من كيرالا مشهورة  
لضرب السيوف والأسلحة الحديدية التي كانت تصدر إلى مصر والروم واليونان وغيرها.

٢ هو أبو بكر أحمد بن إسحق المعروف بابن الفقيه الهمداني توفي سنة ٢٩٠ م، ومن أهم كتبه كتاب  
البلدان الذي يتحدث فيه عن خط الاستواء الذي يقسم الأرض إلى قسمين متساويين كما تطرق  
لكروية الأرض، حيث قدم فيه دراسة موثقة حول عجائب المخلوقات في كل البلدان.

وفي جانب آخر أن اللغة العربية انتشرت في نواحيها بدخول الإسلام في أرجاءها، فدخل الناس في الدين الحنيف أفواجا، ولجأوا إلى واحة الحرية والمساواة في الإسلام من دينهم الذي يقسمهم على فئات وطبقات. وبعد اعتناقهم الإسلام قاموا بدراسة اللغة العربية لأنها لغة القرآن وتؤدي عبادات الإسلام بها. فجذب كيرالا كثيرا من العلماء والدعاة من جزيرة العرب وأدوا خدمات جليلة في الدعوة إلى رحاب الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في طول كيرالا وعرضها. فازدادت الأسر الشهيرة العريقة التي أنجبت لكثير من العلماء العباقرة مثل الأسرة الباعلوية والجفرية والبخارية والباقية والمخدومية والمعبرية والقضية وغيرها. وهؤلاء العلماء من هذه الأسرة قاموا بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وأسسوا المساجد والمدارس في نواحي كيرالا وركزوا حولها حركات إسلامية ونشاطات لغوية بإقامة الدروس والمجالس العلمية والأدبية حتى تولد العلماء الذين تبخروا ونبغوا في اللغة العربية. فانتشر اللغة العربية حسب تطور الدين الإسلامي حتى أُلّف كثير من الكتب اللغوية الدينية بأيدي هؤلاء النبغاء.

ومما نفهم من الحقائق التاريخية أن أهل مليبار قد استخدموا في جنوب الهند الخط العربي لكتابة "المليالم" لغتهم المحلية، لأن المسلمين في كيرالا كانوا متخلفين في مجال التعليم المادية حتى كان معظمهم أميين في اللغة المحلية لا يقرؤون ولا يكتبون اللغة المليالمية برغم أنهم كانوا يستعملون هذه اللغة للتكلم وللتخاطب، بل إنهم كانوا يعرفون الأحرف العربية ويقرؤون القرآن والأذكار. ولما طلب العلماء وسيلة تمكن على تقديم القواعد الدينية والأفكار العلمية إلى الناس فتمسكوا بلغة جديدة تختلط بين العربي والمليالمي.

### عربي - مليالم: لغة جديدة مختلطة باللغتين

وهو الخط العربي لكتابة "المليالم" اللغة المحلية، وكان نمو اللغة العربية في كيرالا بداية حياة جديدة إيمانية حيث عظمها المسلمون واعتبروها غاية الاعتبار وذلك لأنها لغة الإسلام ولسان القرآن الكريم. وكذلك عربي- مليالم التي سهلت العربية

وتعليمها بين مسلمي كيرالا. وكانت وسيلة لغوية قربتهم إلى الدين وأحكامها والشريعة وقواعدها.

وباستخدامها شيّد علماء كيرالا قلوب الأمة المسلمة وأكّدوا مشاعرهم الدينية وحسنوا أفكارهم الروحية.<sup>١</sup>

ففي هذا النوع من اللغات وضعت عدة مؤلفات تعالج مختلف المواضيع وشتى المضامين حسبما ينجذب إليها الناس، وبدأ الكتب تطبع فيها والدروس تدرّس فيها والجرائد تنتشر فيها حيث لا تزال تستخدم حتى الآن. فأثرت لغة عربي - مليالم في نشر العربية بين مسلمي كيرالا باستخدامها الواسعة وصارت وسيلة لفهم الدين وتعلم أحكامه. ومما يذكر أن هذه اللغة بدأت تتبادل جيلا بعد جيل فاعتنوا بها أكثر عناية حتى يقال إنهم كانوا يتعلمون الأحرف العربية قبل أن يدرسوا لغتهم المحلية.

#### انتشار لغة الضاد في ربوعها

فباللغة العربية لها ارتباط وثيق في حياة المسلم الروحية والمادية في أي بلدة سار الإسلام بها، فاللغة العربية لغة العالم الإسلامي سارت مع الإسلام من جزيرة العرب إلى الأندلس ومنها إلى الصين. وحينما استوطن العرب في الهند دخلت معهم هذه اللغة في الهند ومع انتشار الإسلام انتشرت معه اللغة العربية في نواحيها واستقرت في أرجائها، فالمسلمون جاؤوا بهذه اللغة إلى الهند.<sup>٢</sup> ومن أجل استعمال المسلمين ومدولتهم الألفاظ العربية كثيرة، انتشرت في هذه البلدة كلماتها وشاع استعمالها حتى أن دخلت بعضها في لهجاتها المحلية ثم في لغاتها الأهلية واستمرت استعمالها حتى انسجمت تلك الألفاظ بلغات الهند كلها وفيها مليالم، حيث لا يمكن اليوم ردها إلى أصلها العربي لانسجامها في تلك اللهجة أو اللغة، يستعملها المسلم وغير المسلم كأنها كلمات أصلية

<sup>١</sup> منير، جيليمبرا- التراث العربي في كيرالا (مقالة)، مجلة النور، تصدر عن الجامعة النورية العربية، كيرالا: العدد الأول، يناير ٢٠١٠، ص: ٤١

<sup>٢</sup> نفيس، أحمد صديقي، المسلمون بالهند (انكليزية) صفحات ١٨-١٩

في لغته. وهذا نفس الحال بالنسبة الى لغات الهند الأخرى.<sup>١</sup>

### لمحة إلى عناصر تطورها منذ ظهورها حتى الآن:

وإذا بحثنا عن الأسباب لتطوير لغة الضاد وتأثيرها وتنميتها في مجتمع كيرالا منذ بداية ظهورها إلى العصر الحالي، نرى بعضها:

تجار العرب: هم الذين قربوا أرضها ونزلوا في موانئ وسواحلها قبل ظهور الإسلام وبعده، قاصدين سلعتها القيمة. فمجيئهم صار سببا لاختلاط بعض الألفاظ العربية باللغات المحلية ولهجاتها فاستعملها الناس في لهجاتهم. يعد هذا من المراحل الأولى لانتشار لغة الضاد في تراب كيرالا.

استيطان العرب: وبعض من هؤلاء التجار، أكثرهم من أهل الحجاز واليمن والبحرين، استوطنوا في سواحل كيرالا للتجارة والدعوة الإسلامية وتزوجوا من نساءها لأن تكون التجارة قوية وثابتة وذات الربح. وبعض المؤرخين يذكرون "أنهم جاؤوا بدون نساءهم تزوجوا من نساء كيرالا فتولدت فيها أمة بشرية جديدة من ذكور العرب وإناث مليبار وسماهم المؤرخون والشعب باسم "مابلا"(Mappila)، سمي أولاد تجار العرب بهذا الاسم نسبة الى الأمهات حيث آباءهم رجال أجنبيون".<sup>٢</sup>

الدعوة الإسلامية: عقب ظهر الإسلام بمكة تجاوبت أصدائه فيها حينما نزل جماعة من العرب المسلمين في كدغلور<sup>٣</sup> برياسة مالك بن دينار للدعوة الإسلامية. وبعد إقامتهم هنا قاموا بتأسيس حوالي عشرة مساجد في شتى نواحيها كما حاولوا نشر الإسلام في أرجاءها. ثم تابعهم كثير من الداعين واعتنق عديد من أهلها الدين الإسلامي، فباعتبار لغة دينية تطورت اللغة العربية لديهم.

أعيان من علماء كيرالا: مثلما نعرف أن كيرالا قد حظيت بتراث قيم زاخر في

<sup>١</sup> دكتور بي م عبد الرحمن، تأثير العربية في لغة مليالم وقواعدها النحوية، ص ١٩

<sup>٢</sup> انس سي أي، قاموس جغرافي لمقاطعة مدراس- إنكليزية- ص ١٩٠

<sup>٣</sup> وهي وقتند عاصمة مليبار والمرفأ الهام في جنوب الهند

مجال الأدب العربي والعلوم الإسلامية ودعايتها. طول تاريخها الطويلة شاهدت كيرالا مئات من الشعراء العباقرة والأدباء المقتدرين الذين انشغلوا بالإبداعات الأدبية العربية، وبذلوا لتقدمها أقصى جهودهم وأتم مساعيهم، والذين قاموا بخدمات جليلة منتشرا في التدريس والتعليم والوعظ والإرشاد والتصنيف، ولا يزالون يقومون بنشاطات حيوية في حقول الدعوة والإرشاد، وفي مجال الإنتاج الأدبي الإسلامي، حيث لا يمكننا الإتيان بأسمائهم وترجماتهم بقلة الصفحات. ومن الأجدد القول وللأسف في نفس الوقت، إن بعضا من التصنيفات القديمة لم تطبع لأن وسائل النشر لم تكن وافرة في ذلك الوقت.

**حلقات الدروس في المساجد:** ولا يتم تاريخ عناية مسلمي كيرالا باللغة العربية بدون ذكر عن دروس المساجد، ومن السبب المهم لتأسيس هذه الحلقات المقدسة تعليم عوام الناس العلوم الإسلامية بواسطة اللغة العربية. ويمكن أن تكون هذه الدروس المساجدية موجودة منذ بدء انتشار الإسلام في كيرالا ولم يكن هناك مركز علمي إلا المساجد في ذلك الوقت. فأما بعض العلماء العرب تولوا الإشراف على هذه الحلقات الدراسية ومناصب القضاء والدعوة الإسلامية في المدن المليبارية فبدلوا قصارى جهودهم على نشر العلوم الدينية والعربية.

فأما بداية هذا النظام العلمي وقعت بتأسيسها في مسجد الجامع بفنان على يد المخدومين الذين بدأوا نظام الدروس المساجدية في كيرالا أولا في القرن الخامس عشر الميلادي. واستمرت في سبيلها مساهمة في مجال الدينية حتى سمت منزلته وشهرته في كيرالا بل في العالم كله حتى قصده الطلاب من ماليزيا وإندونيسيا وباكستان والجزائر من البحر العربي وغيرها من البلاد الخارجية يدرسون فيه. وكان الطعام للطلبة في بعض المساجد من قبل أهل القرية وكانوا يذهبون إلى البيوت ويتناولون الطعام هناك بينما كان بعض المساجد مجهزة بالمطبخ الخاص للطلبة وكانت العلوم المختلفة من التاريخ والجغرافية وعلم الحكمة والمنطق والحساب والهندسة والمعاني والبيان والتفسير والحديث والفقهاء وغيرها تدرس في هذه الدروس بالإضافة إلى اللغة العربية

إعراباً وبناءً واشتقاقاً ونحواً وصرفاً ومحاورة<sup>١</sup>.

الأسر العريقة النازحة من بلاد العرب: ولا يمكن لنا أن نرفض إسهامات الأسر العريقة التي نزحت من البلاد العربية وأقامت بمناطق كيرالا وقامت بكل النشاطات اللغوية والدينية بين أهالي كيرالا واشتهر أعيانها بتصنيفات الكتب الدينية والنثرية والشعرية وغيرها، ومن أبرزهم (١) الأسرة المخدومية: هم الذين جاؤوا من اليمن واستوطنوا في كيرالا وسكنوا بالمعبر أولاً ثم سرعان ما انحدروا إلى أماكن متعددة من أجل الدعوة الإسلامية. (٢) الأسرة البخارية: وهم قدموا إلى كيرالا حوالي قبل خمسة قرون من مدينة بخارى الواقع في جنوب عربي الإتحاد السوفياتي (أوزبكستان) في القرن التاسع الهجري وتنتهي سلسلة نسبهم إلى النبي ﷺ. (٣) قضاة كاليكوت: هم من نسل مالك بن دينار الذي يعد أول من حمل لواء الإسلام إلى كيرالا، وبعد ما بنى مسجداً بشاليات قريب كالكوت أعد قضاة كاليكوت في هذا المسجد منهجاً دراسياً للطلاب الدينية. والعلماء من هذه الأسرة قد تركوا وراءهم ميراثاً ضخماً لتطوير اللغة والعلوم. ولكن بعد مرور الزمان قد وقعت الاختلافات بين القضاة وتفرقوا فرقتين، فأما المسلمون في كالكوت تبعوهم حسب الأهواء. (٤) أسرة باعلوي: وأصلهم من اليمن وأخذوا منفرداً قريب ترورنغادي في مقاطعة مالابرم للاستيطان، وسرعان ما صارت هذه الأسرة ملجأً للأمة المسلمة في كيرالا. ومن خصائص الهامة لهذه الأسرة أنهم حثوا المسلمين وحرصهم على الجهاد ضدّ البريطانيين والنضال ضد احتلالهم. (٥) أسرة أوداكلي: هي نزحت من اليمن وأقامت في مناطق مالابرم.

المعاهد الدينية: توجد في كيرالا الآن أكثر مائتي كلية شرعية وعربية تديرها لجان خاصة تنتهي لجمعيات إسلامية. وكان عددها ١٣٢ عام ١٩٩٠م وعدد الطلبة حوالي عشرين ألف طالب وعدد المدرسين ١٥٠٠. وفي كلية الشريعة يتعلم الطالب جميع

---

<sup>١</sup> حسين سي اس، مساهمة علماء كيرالا للأدب الفقهي باللغة العربية (أطروحة لنيل الدكتوراة) تحت جامعة كاليكوت.

العلوم الدينية، والبعض منها كلية عربية يحصل الطالب منها الشهادة المعترفة لدى الحكومة مثل أفضل العلماء<sup>١</sup> وغيرها. وأكثر هذه الكليات غير معترفة لدى الحكومة، لذا رواتب الأساتذة وتكاليف الطلبة تتحملها الإدارة. أما الكليات المعترفة لدى الحكومة فرواتب المعلمين فيها تؤدها الحكومة.<sup>٢</sup>

**الكليات الحكومية والجامعات:** ويستحق الذكر في هذه المناسبة أن دراسة اللغة العربية وآدابها قد تجاوزت من مستوى المدارس إلى الكليات والجامعات. وعين كثير من العلماء النبغاء محاضرين فيها الذين شغلوا بخدماتهم الجليلة من أجل تنمية اللغة العربية. وسهلت الحكومة إمكانيات متعددة لتطور اللغة ولتقدمها، ومنها المحاضرات والندوات والمناقشات حول مختلف الموضوعات العربية قديماً كان أو حديثاً. فتدرّس اللغة العربية في الكليات كموضوع رئيسي لمقرر البكالوريوس أو الماجستير وكلغة ثانية لغيرهم.

وبالخلاصة أن هذه اللغة إحدى من الموضوعات في مقررة الدراسية في كيرالا حتى توجد من المستوى الابتدائي إلى مستوى الدكتوراه. "فأما عدد مدارسها وكلياتها في كيرالا تبلغ إحدى عشر ألف (١١٠٠٠)، وعدد متعلميها فيها خمس عشرة مائة ألف (١٥٠٠٠٠)، والمعلمين أكثر من ستة آلاف (٦٠٠٠)، فضلاً عن آلاف من المعلمين والمتعلمين في المدارس والكليات العربية غير الرسمية"<sup>٣</sup>.

**الطباعة العربية:** الجيل الأول من الطباعة العربية في كيرالا، الطباعة في لغة عربي- مليالم. فأول مطبعة أسست في كيرالا في خط عربي- مليالم هي في تلشيري (Thalasseri) عام ١٨٦٠م تحت رعاية تيكوكال محمد، ثم انتشرت المطابع في

---

<sup>١</sup> أفضل العلماء هو بكالوريا العربي المدرس تحت الجامعات في كيرالا، ان الكليات العربية تقوم بتدريس هذه المقررة المعترفة لدى الجامعة.

<sup>٢</sup> القاسمي، عبد الغفور عبد الله: المسلمون في كيرالا، مكتبة أكمل بمالابرم، كيرالا، ص: ١١٤

<sup>٣</sup> د/أ. عبد اللطيف: تطور تعليم اللغة العربية في كيرالا ودور المعاهد فيه (مقالة)، مجلة العاصمة - تصدر عن كلية الجامعة ترفاندرم، كيرالا، المجلد الثالث-٢٠١١، ص: ١٣٨

هذه اللغة الخاصة في فناني وتيرورنغادي وفالاتانام. فأول كتاب مطبوع فيها "الطب النبي" الذي قام بترجمته محمد بن عبد القادر مسليار بكاليكوت. تمتاز هذه المطابع بخدماتها الجلييلة والعظيمة في نشر نسخ القرآن الكريم في الخط المعروف بـ "خط فناني" (Ponnani). ويسر ظهور الكمبيوتر ومطبعة أوفسيت (Offset press) في العربية، فتدرجت هذه المطابع القديمة إلى استخدام التقنيات الحديثة في الطباعة. فقامت هذه المطابع نفسها بمطابع الكتب العربية، فشاعت المطابع في جميع أنحاء كيرالا. ١.

**الصحافة والمجلات العربية:** كما ذكرنا من قبل أن الطباعة العربية نشرت كتباً كثيرة في لغة عربي- مليالم. فلما زادت الطباعة العربية كثرت المجلات في عربي- مليالم، فأول مجلة ظهرت فيها هي مجلة "هداية الإخوان" على يد السيد عبد الله كويا. وإلى مجلة "رفيق الإسلام" يرجع الفضل في أنها أول مجلة أسبوعية، تم تأسيسها سنة ١٨٩٩م على يد مؤسسها سيد علي كوتي. ثم تعددت المجلات حسبما ازدادت شهرة الطباعة ورواجها. فمن المجلات المشهورة في هذا الخط: تحفة الأخيار وهداية الأشرار، والهداية، والبيان، والإتحاد، وصلاح الإخوان، والإسلام، والمرشد وغيرها. وفي أول الأمر كان مجال الصحافة العربية متخلفاً، ولكن عندما تناسبت الأوضاع والأحوال تولدت أول مجلة عربية في كيرالا باسم "مجلة البشرى" سنة ١٩٦٣م تم تأسيسها بسبب جهود المولوي محمد ك.ب المتواصلة.

فمن الأشهر المجلات العربية في كيرالا (١) مجلة البشرى (١٩٦٣): توقفت هذه المجلة من الإصدار بعد سنة في عام ١٩٦٤م (٢) مجلة الهادي (١٩٧٢) أصدرت هذه المجلة تحت رئاسة لجنة منشي العربية بولاية كيرالا (KAMA)، ظهر عددها الأول من ترفاندرم، بل ثم تم توقف إصدار هذه المجلة من بعد. (٣) مجلة الثقافة (١٩٩٦):

---

<sup>١</sup> عبد الجليل تي، الصحافة العربية في كيرالا (مقالة)، مجلة النور، تصدر عن الجامعة النورية العربية، كيرالا: العدد الأول، يناير ٢٠١٠، ص: ٩٩

مجلة إسلامية اجتماعية شهرية، تصدر عن دار الثقافة للدعوة والصحافة من مركز الثقافة السنوية الإسلامية بكاليفوت. (٤) مجلة الريحان (٢٠٠٤): مجلة عربية بحثية أدبية تصدر عن قسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب في رحاب دار الأيتام المسلمين بويناد. (٥) مجلة التضامن (٢٠٠٥): هي الصادرة عن المجمع الإسلامي "أزهر العلوم" بمدينة ألواي في مقاطعة إيرناكلم. (٦) مجلة الصلاح (٢٠٠٥): هذه المجلة العربية الفصلية الصادرة عن رحاب الجامعة النديوية إيدوانا في مقاطعة مالابرم. (٧) مجلة الجامعة (٢٠٠٦): مجلة فصلية شاملة تصدر في كل ثلاثة أشهر عن الجامعة الإسلامي شاندايرم في مقاطعة مالابرم. (٨) مجلة النهضة (٢٠٠٦): مجلة إسلامية دعوية فكرية تصدر كل شهرين عن جمعية الهداية الطلابية في كلية سبيل الهداية بارافور بمقاطعة مالابرم. (٩) مجلة كاليفوت (٢٠٠٦): مجلة عربية ربع سنوية تصدر عن قسم العربية بجامعة كاليفوت التي تعد أكبر جامعة في كيرالا. (١٠) مجلة الاعتصام (٢٠٠٨) مجلة إسلامية عربية تصدر عن جمعية الطلبة "الإحسان" بكاباد من مقاطعة كاليفوت. (١١) مجلة منار النهضة (٢٠٠٨): مجلة دينية ثقافية أدبية تصدر عن جمعية العلماء بكيرالا. (١٢) مجلة الديوان (٢٠٠٩) الصادرة عن قسم اللغة العربية بالكلية الحكومية بمالابرم. (١٣) مجلة العاصمة (٢٠١٠): مجلة فصلية عربية أدبية تصدر عن قسم العربية بكلية الجامعة، ترفاندرام، عاصمة كيرالا،<sup>١</sup> ومجلة الساج (٢٠١٩) التي تصدر عن قسم اللغة العربية بكلية ممباد، مالابرم، ومجلة الصباح التي تصدر عن قسم اللغة العربية بكلية فاروق بكاليفوت.

الحركات والجمعيات الإسلامية: إن إسهاماتها انعكست في مجال التعليم والتربية والدعوة والإرشاد وبناء المدارس والمراكز والكليات وغيرها. ومن أهم هذه الفرقة في مجال التعليم الدينية جمعية العلماء لعموم كيرالا التي تمثل جمهورية مسلمي كيرالا، وجمعية العلماء لعموم كيرالا (فرقة كاندايرم)، وندوة المجاهدين

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص: ١٠٩

والجماعة الإسلامية وجمعية العلماء لولاية كيرالا (سمستانا) وجمعية العلماء لجنوب كيرالا وجماعة التبليغي وغيرها. ففي مجال العلوم المادية ساهمت جمعية المسلمين التربوية (MES) وجمعية خدمات المسلمين (MSS) وتبعهم كثير من الجمعيات. فلا ننسى جهود رابطة مسلمي الهند في تعليم اللغة العربية في المدارس والكليات وإن لم تكن من الجمعيات الدينية المحصنة.

### المراجع والمصادر

- (١) الفاروقي، الدكتور ويران، الشعر العربي في كيرالا مبدأه وتطوره (٢٠٠٣)، كاليكوت: عرب نيت
- (٢) القاسمي، عبد الغفور عبد الله، المسلمون في كيرالا (٢٠٠٠)، ملابرم: مكتبة الكمال
- (٣) الفاروقي، الدكتور جمال الدين، دراسات في الثقافة والحضارة (٢٠١٠)، كاليكوت: مكتبة الهدى
- (٤) ميلار، رونالد اي، مسلمو كيرالا (مايلا) (١٩٩٢)، مدراس: اوريند لونغمان المحدود
- (٥) مولوي، سي ان أحمد، ورفيقه عبد الكريم كي كي، التراث الأدبي لمسلمي مايلا (١٩٧٨)، كاليكوت: مطبعة التعاون
- (٦) بانيكاشيري، ويلايدن، دراسات لتاريخ كيرالا (مليامية) (٢٠٠٧)، مكتبة كاراند: ارناكلم
- (٧) الثقافي، حسين، مساهمة علماء كيرالا للأدب الفقهي باللغة العربية (أطروحة لنيل الدكتوراة)، جامعة كالكوت
- (٨) مجلة النور، تصدر عن الجامعة النورية العربية، فيض آباد، كيرالا، العدد الأول - يناير ٢٠١٠
- (٩) مجلة العاصمة، تصدر عن قسم العربية في كلية الجامعة، تروننتبرام، كيرالا، المجلد الثالث- ٢٠١٢

١٠. اللغة العربية في جنوب الهند، الصادرة عن قسم اللغة العربية في جامعة  
كاليكوت، ٢٠٠٣

١١) طوابع ملابرم- رحلة عبر تاريخ ملابرم، لجنة المقاطعة دمام-ملابرم لمركز الثقافة  
لمسلي كيرالا، ٢٠٠٩

\*\*\*\*\*

## انعكاس العنف السياسي في الأدب العالمي

د. طارق أحمد آهنگر<sup>١</sup>  
وإعجاز أحمد غناني<sup>٢</sup>

### ملخّص

العنف السياسي هو الوضع الذي تكون فيه الدولة غير العادلة تسيطر على أعناق الشعب وتجبر المواطنين أن ينصرفوا عن مطالبة حقوقهم باستخدام الآليات الحكومية المتنوّعة، مثل الشرطة والجيش لتتسلط على الموارد العامة لمصالحها الأنانية وتقويض الحاجات والتطلعات لعامة الناس. فربما تحدث المقاومة العنيفة كرد فعل عنيف من قبل مواطنيها، قد يكون هذه المقاومة بالاحتجاجات والمسيرات والمظاهرات غير العنيفة أو العنيفة مثل إحراق الممتلكات والمكتبات الحكومية ومراكز الشرطة، وتدمير الشوارع والجسور والبيوت التي تؤدي إلى الحرب المدنية الدامية بعض الأحيان، وقد تأثر به الكتاب في جميع أنحاء العالم، وإنهم حاولوا التعامل بسياسة العنف وانعكسوا في أدبهم. وهذه المقالة تسلط الأضواء على تأثير العنف السياسي وتمثيله في الآداب العالمية.

الكلمات الدلّيلية: العنف السياسي، المقاومة، الآداب العالمية

### مقدمة

العنف هو نتيجة حالة سلبية للشعور الإنساني عند الغضب، ولكن المشكلة حينما يتحول هذا الغضب إلى تعبير عنيف وطابع إجرامي يؤدي إلى إيذاء الناس أو الاستهانة بالأرواح. فالعنف هو تعبير عن القوة الجسدية التي تصدر ضد أي شخص

---

<sup>١</sup> الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

<sup>٢</sup> إعجاز أحمد غناني، باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

آخر بصورة متعمدة لشعوره السلبي تجاهه، فالعنف يتخذ صوراً كثيرة تبدو في أي مكان على وجه الأرض، بداية من مجرد الشجار بين شخصين ونهاية بالحرب والإبادة الجماعية التي يموت فيها ملايين الأفراد. وكما جاء بتعريفه:

"العنف هو مصطلح عام يشير إلى جميع أنواع السلوك سواء المهددة أو الفعلية التي تؤدي إلى ضرر الممتلكات أو تدميرها أو إصابة فرد أو وفاته".<sup>١</sup>

ولكن قد استخدمه الأشخاص والجماعات ولايزالون يستخدمونه كأداة للحصول على العدالة الاجتماعية أو الغرائز السياسية حتى أصبح ظاهرة انتشرت بشكل كبير في مجتمعاتنا وفي العالم بشكل عام. فالتعبير السياسي للعنف الذي جاء به Anifowose Remi " هو إظهار تعارض بين الشخص والنظام القائم الذي ينتمي إليه. ويتم توجيه العنف السياسي ضد الحكومة سواء أكانت الحكومة محلية أو خارجية (استعمارية) لتعبير عن سخطها، لأن الدولة أو الحكومة تعتبر المصدر الرئيسي للظلم وعدم المساواة والقمع.

تم استخدام العنف من قبل الجماعات التي ظلت تناضل للحصول على مقاليد السلطة التي خافت فقدانها فاتخذت الخطوات للدفاع عنها. كما يستعمل العنف دفاعاً عن النظام من قبل الطبقة العليا، حصولاً عن العدالة من قبل المظلومين، وخوفاً من التهجير من قبل المهتدين<sup>٢</sup>. وفقاً لموسوعة الجريمة والعدالة:

العنف طريقة عامة تستخدم لتحقيق الأهداف السياسية وفقاً لموزر (C. Moser) وكلاارك (F. Clark) فهم يصنفون العنف في ثلاثة مستويات: الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. أما العنف الاقتصادي فتأتي فيه "جريمة الشوارع، والسرقعة، وتجارة مخدرات، والاختطاف، والاعتداءات". يمثل العنف الاجتماعي اضطرابات على

---

١. Encyclopaedia of Crime and Justice, pp.16-19.

٢. Anifowose, rose, 1

مستوى شخصي (inter-personal level) مثل العنف المنزلي<sup>١</sup>. أما فيما يتعلق بالعنف السياسي فله أربعة أنواع<sup>٢</sup>:

١- العنف البنيوي: الذي ينتج عن عدم المساواة والظلم وسوء توزيع الموارد والسلطة السياسية. ومع ذلك، يشير العنف البنيوي أو العنف غير المباشر إلى الطرق التي قد تسبب بها الهياكل الاجتماعية أو المؤسسات الاجتماعية في الضرر بالأفراد. يشمل العنف البنيوي استخدام القوة السياسية أو الاقتصادية لارتكاب أعمال عنف أو تقييد فرد أو مجموعة معينة من الناس. وهذا يشمل المشاكل الاجتماعية مثل العنصرية والتمييز على أساس الجنس، والتغايرية (Heterosexism) والنخبوية (Elitism). وفي هذا العنف، لا يوجد شخص معين يمكن أن يحاسب على الضرر الذي وقع.

٢- العنف القمعي: هو أشكال مباشرة من القمع تُفرض عادة من قبل الدولة في شكل الاغتيالات السياسية والتعذيب والاختفاء والاعتقال والمضايقة. في بعض الحالات، قد تستخدم جماعات المعارضة غير الحكومية وسائل قمعية من أجل تحقيق أهدافها.

٣- العنف التفاعلي/العنف لرد فعل: هو العنف الموجه ضد الدولة في مواجهة أفعالها القمعية أو في مواجهة دورها في تعزيز ظروف العنف البنيوي، أم هو العنف الذي تمارسه الجماعات اليمينية ضد الحكومات المنتخبة محاولةً لتشويه سمعتها وإجبارها على التنازل عن السلطة.

٤- العنف القتالي: استخدام القوة والعنف والوسائل العسكرية لإحداث التغيير أو للحفاظ على الوضع الراهن (status quo). تعتبر عمليات

---

<sup>١</sup> C.Moser and F. Clark: Gendered armed Conflict and Political Violence p.36

<sup>٢</sup> ANTHONY ZWI1 AND ANTONIO UGALDE, Political violence in the Third World: a public health issue p:204

العسكرية والحرب مكونات مهمة لهذا الشكل من العنف. يتم الترويج لـ "حرب منخفضة الشدة" من قبل القوى الأجنبية التي تسعى تقويض حكومة قائمة.

من الواضح أن هناك روابط بين هذه الأشكال المختلفة من العنف السياسي. على سبيل المثال، ويكون العنف التفاعلي رد فعل على العنف البنوي معظم الأحيان؛ العنف القمعي هو في كثير من الأحيان رد فعل على العنف التفاعلي، ونتيجة للفشل في تعميم الموارد التي تلزم توزيعها في المجتمع لتحقيق المساواة. وجميع أشكال العنف الأخرى قد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوير وتدعيم العنف القتالي على المستوى الفردي والوطني.

يمكن رؤية تأثير العنف السياسي (الصراع المسلح وحرب العصابات والقتال والسجن والتعذيب والاعتصاب وغيرها من فظائع الحرب) في كثير من الأدبيات العالمية.

خلال القرنين الماضيين، أصبح عدد كبير من دول العالم الثالث تحت السيطرة الأجنبية، وأصبحت مستعمرات الدول الغربية. فأرادت شعوبها تحرير أنفسهم من الهيمنة الأجنبية. فظهرت صراعات عنيفة ضد الحكم الأجنبي. في العصر الحديث كان المستوطنون الأمريكيون أوائل من حملوا السلاح لتحرير بلادهم من الحكم البريطاني. ولدينا العديد من الأمثلة مثل هذه النضالات في البلدان أستراليا وأوروبا والافروآسيوية مثل فيتنام والجزائر وإندونيسيا وفلسطين والهند. ولرد هذه الحالة السيئة الوحشية ظهر العديد من الأدباء في العالم الذين حاولوا تصويرها بقلمهم وأيقظوا الناس عن نومهم العميق ونهههم عن أضرار الاحتلال والاستعمار والسياسات السرية للحكومة.

### العنف السياسي في قارة أمريكا الجنوبية

أما القارة الأمريكية فانتشر مرض العنصرية فيه كمرض الطاعون حتى كان أهل الكنيسة يؤيدون هذا الاستبداد الاجتماعي وتغيرت الكتب المقدسة المسيحية لدعم العنصرية كما تقول "Dr. Susan Smith" في مقالها القيمة: "Can Racism Be Eradicated"

I think about it in the context of being an African-American, female Christian theologian who has seen how the Christian scriptures have been violated and vitiated, used and manipulated, to support racism and sexism<sup>1</sup>

ترجمة:

(أظن كأمرليكية من أصل أفريقي، عالمة مسيحية رأيت كيف تم انتهاك النصوص المسيحية وإفسادها واستخدامها والتلاعب بها لدعم العنصرية والتمييز على أساس الجنس).

ويعبر الأدباء عن هذا العنف السياسي الذي أدى إلى الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥ م) وبدأوا يكتبون عن قلقهم وتهميشهم، من أهمها:

وليام ويلز براون (William Wells Brown، ١٨١٨ - ١٨٨٤ م) كان روائياً وملغاة (abolitionist) وكاتب مسرحي ومؤرخاً أمريكياً من أصل أفريقي. إنه نشر روايته عام ١٨٥٣ م باسم "clotel" التي تعتبر الرواية الأولى التي ألفها أمريكي من أصل أفريقي، وتستكشف هذه الرواية الآثار المدمرة للعبودية على العائلات الأمريكية الأفريقية، والحياة الصعبة للعرق المختلط، والحالة الفاسدة وغير الأخلاقية للعلاقة بين السيد والعبد.<sup>٢</sup>

هاريت بيشر ستو (Harriet Beecher Stowe، ١٨١١ - ١٨٩٦ م) كانت ملغية وروائية أمريكية. تشتهر بروايتها "Uncle Tom's Cabin" (١٨٥٢)، التي تصور الظروف القاسية للأميركيين من أصل أفريقي المستعبدين، وأصبحت هذه الرواية مؤثرة في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، مما أدى إلى تنشيط القوى المناهضة للعبودية في

---

[https://www.huffpost.com/entry/can-racism-be-eradicated\\_b\\_9585534](https://www.huffpost.com/entry/can-racism-be-eradicated_b_9585534)

<https://www.audible.in/pd/Clotel>

Nelson, Randy F. The Almanac of American Letters. Los Altos, California: William Kaufmann.

أمريكا الشمالية، مع إثارة غضب واسع النطاق في الجنوب<sup>١</sup>، ويقال إنها "ساعدت في إرساء تأسيس الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥م)"<sup>٢</sup>. كما ساعدت هذا الرواية ومسرحياتها في تعميم العديد من الصور النمطية عن السود.<sup>٣</sup>

بالإضافة إلى كتاب النثر، هناك بعض الشعراء أيضا الذين يظهرون العنف السياسي في شعرهم، ومنهم:

بول لورنس دنبار (Paul Laurence Dunbar، ١٨٧٢-١٩٠٦م) كان كاتباً أمريكياً من أصل أفريقي كتب الشعر باللهجة السوداء، وأصبح من أول الشعراء السود المؤثرين في الأدب الأمريكي. من خلال قصائده "We Wear the Mask" و "Sympathy"، كشف حقيقة العنصرية في أمريكا أثناء إعادة الإعمار (Reconstruction) وما بعدها<sup>٤</sup>.

#### العنف السياسي في قارة أوروبا

في العصر الحديث، لعب الأيديولوجيا دوراً مهماً في انتشار العنف السياسي. إنه يجمع الناس ويعطيهم سبباً معيناً لخوض النضال ضد الدولة. كما يبين الظروف الراهنة للمجتمع ويطلب من الناس تغييرها لتحقيق أفضل نظام للحكم. كانت الفاشية والاشتراكية من هذه الأيديولوجيات. استخدمت الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا الشكل المتطرف من العنف للاستيلاء على السلطة السياسية. يؤيد الاشتراكيون إلغاء النظام الرأسمالي الذي يقوم على عنف الدولة، ويريدون إقامة مجتمع لا طبقي ولا عنصري (classless and stateless society) ينهي استغلال

---

<sup>١</sup> [https://en.wikipedia.org/wiki/Harriet\\_Beecher\\_Stowe](https://en.wikipedia.org/wiki/Harriet_Beecher_Stowe)

<sup>٢</sup> Kaufman, Will, *The Civil War in American Culture*. p. 18.

<sup>٣</sup> Hulser, Kathleen. "Reading Uncle Tom's Image: From Anti-slavery Hero to Racial Insult.

<sup>٤</sup> <https://www.britannica.com/list/periods-of-american-literature>

الإنسان للإنسان.

لما ظهرت الماركسية، فبدأ البروليتاريون (proletarians) اتجاه المقاومة ضد الرأسمالية وضد المجتمع. على سبيل المثال، شارلز ديكنز (Charles Dickens)، ١٨١٢-١٨٧٠)، هو الروائي الإنجليزي العظيم والناقد الاجتماعي للعصر الفيكتوري (Victoria)<sup>١</sup>، كان من أشد المنتقدين للظلم الاجتماعي والفقر وتقسيم الطبقات الاجتماعية (social stratification) للمجتمع الفيكتوري، أبرز ديكنز حياة الفقراء المنسيين والمحرومين داخل المجتمع. في روايته، *Oliver Twist* (١٨٣٩)، أوضح وجهها عنيفا من الفقر والجريمة التي أصبحت حدثا يوميا، كما تحدثت جدل الطبقة الوسطى حول المجرمين، مما جعل من المستحيل ادعاء الجهل حول ما يستتبعه الفقر<sup>٢</sup>. لذلك قامت رواياته بعناصر من المجتمع من أجل فضح وجوهه الحقيقية. وهكذا، أظهر ديكنز بكتاباتة نوعاً من المقاومة من خلال تصوير المواقف الساخرة. بعد شارلز ديكنز، كان لدينا كتاب مثل برنارد شو (Bernard Shaw)، ١٨٥٦-١٩٥٠م)، كاتب مسرحي وناقد إيرلندي. كتب شو العديد من الكتيبات وعبر عن جمعية فابيان (Fabian)، وهو مجتمع اشتراكي بريطاني يقترح مبادئ الاشتراكية. أدان برنارد شو في كتابه "An unsocial socialist" (١٩٣٠) النظام الديمقراطي لوقته ويقول إن العمال كانوا يستغلون بلا رحمة من قبل الموظفين الجشعين، وإنهم عاشوا في فقر مدقع<sup>٣</sup>. لذلك، كان قد أظهر مقاومته من خلال كتاباته.

**العنف السياسي في قارة إفريقيا (كينيا، نيجر، الجزائر، مصر)**  
في القارة إفريقيا يوجد العنف البنوي (structural violence)، والعنف القمعي (repressive violence) بالأشكال المتعددة الواضحة مثل التمييز العنصري والطبقي

R. INDUMATHY. Subjugation and resistance, p: 57, Black 2007, p. 735.<sup>١</sup>

Raina 1986, p. 25, Bodenheimer 2011, p. 147.<sup>٢</sup>

R. INDUMATHY, Subjugation and resistance, p:58<sup>٣</sup>

والاستعمار. إن أغلبية السكان السود لديهم وصول محدود للغاية إلى الخدمات الأساسية في مجالات كلها، ويفقدون المساواة في الوصول إلى المشاركة في العملية السياسية. فيمكن لنا أن نرى الأدباء الذين صوروا العنف البنيوي والقمعي الذي يواجههما أغلبية السكان السود، ومن أهم هؤلاء الأدباء:

فرانز فانون (Frantz Fanon، ١٩٢٥-١٩٦١) كان كاتبًا فرنسيًا، كما كان من الوجدان الأفريقيين "pan-Africanist". إنه صور في كتبه صورة قبيحة عن التمييز والعنصرية عند المستعمرين تجاه السود واستغلالهم، وعبر عن تجربته المرة التي واجهها بسبب لونه الأسود، وقال إن الاستعمار شكل من أشكال السيطرة ومن أهدافه اللازمة إعادة تنظيم الشعوب الأصلية. وقد عالج أفكاره الثورية المعادية للعنصرية والاستعمار في أعماله *Peau noire، masques blancs* (١٩٥٢)؛ *White، Black Skin* (Masks) و *Les Damnés de la terre* (١٩٦١)؛ *The Wretched of the Earth*.

بالمثل رواية *"Things Falls Apart"* لكاتب نيجيري شينوا أتشيبي (Chinua Achebe، ١٩٣٠-٢٠١٣م)، ورواية *"The river between"* (١٩٩٥) لكاتب كيني نجوي وا ثيونجو (Ngugi wa Thiongo، ١٩٣٨م)، التي تصور تأثير همجية الاستعمار وقصة قريتين في كينيا التي انقسمت بعد غزو المستوطنين البيض على التوالي.

وكانت الجزائر أسبق البلدان العربية في قارة أفريقيا التي سقطت في أيدي المستعمرين الأوروبيين في عام ١٨٣٠م وظلت حِقبة زمنية طويلة ترزح تحت نير سلطة الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي سلط على شعبيها الأعذبة المتنوعة ومارس أعمال التخريب الأفظع، وقد شملت هذه الممارسات شتى مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية. وفي هذا الإطار ظهرت جماعة من الأدباء الجزائريين الذين حملوا على كواهلهم أحزان أبناء أمتهم، وعبروا عن آهات الجزائريين وأناتها بصدق وإخلاص من خلال إنتاجاتهم وإصداراتهم الأدبية وأشهرهم:

محمد ديب (١٩٢٠-٢٠٠٢م) هو أديب جزائري كتب باللغة الفرنسية في مجال الرواية والقصة القصيرة والمسرح والشعر. ومن أشهر رواياته "ثلاثيته" (البيت الكبير، الحريق، النول)، صوّر فيها مرحلة من تاريخ الجزائر بين ١٩٣٩-١٩٤٢م، يقول عنها الشاعر الفرنسي أراجون: إنها "مذكرات الشعب الجزائري"<sup>١</sup>. فهي تتناول حياة العمال في المدينة وحياة الفلاحين في القرية<sup>٢</sup>. وصف صورة الجزائر في الثلاثية من خلال شخوصها الذين أذلهم المستعمر وسلب كرامتهم وإنسانيتهم وأراضهم ليصبحوا أُجّراء في أراضهم.

مالك حداد (١٩٢٧-١٩٧٨م)، هو كاتب وروائي وشاعر جزائري يعد من المخلصين البرّزة الذين قاوموا ضد الاستعمار الفرنسي وترفضوا الاحتلال وتندد كل أنواع الاستغلال. عبّر مالك حداد خلال آراءه بأعماله الأدبية التي شحنها بطاقة وطنية ترفض الاحتلال، ورواته "رصيف الأزهار لا يجيب" (١٩٦١م) تعتبر من أصدق الروايات التي تصور حال المواطن الجزائري المتمسك بثقافته وأصالته رغم الظروف الحالكة التي يعيشها<sup>٣</sup>. والمعروف أن مالك حداد توقف عن الكتابة بعد استقلال الجزائر خجلاً من الكتابة بلغة المستعمر<sup>٤</sup>.

يقول في مقدمة ديوانه "الشفاء في الخطر": "إنك تتألم في صميمك حين ترى الأشجار تقطع لتصنع منها كعوب للبنادق...مع أن لا شيء أجمل من السلم. ولم تكن الأقيبة الرطبة لتميل أبداً إلى ادخار بارودها للقتل..."<sup>٥</sup>  
وفي ديوانه "أنصت وأنا أناديك" نجد كل ملامح شعر المقاومة يبرز على السطح

<sup>١</sup> غالي شكري، أدب المقاومة، ص: ١٤٦

<sup>٢</sup> المصدر نفسه، ص: ١٤٦

<sup>٣</sup> المقاومة الثقافية في رواية "رصيف الأزهار لا يجيب" لمالك حداد، ص: ٢

<sup>٤</sup> <https://thakafamag.com/?p=354>

<sup>٥</sup> المصدر نفسه، الصفحة: ١١١

البعد الإنساني الذي يجعل مالك حداد يتحدث مباشرة إلى ضمير العالم أنه يقول:

من فوق أغاني الأحرار المحطومة أنصتي إلى أنني أتكلم بأفواه الموتى

أنصتي إلى أنني أكتب يدي مكسورة على قيثارها إنني مرأتك<sup>١</sup>

أما مصر فسقط في أيدي الإنجليز عام ١٨٨٢م، كانت التجربة الأساسية في حياة المصريين في بداية القرن العشرين هي تجربة الثورة ضد الاستعمار البريطاني التي اندلعت في مصر نهاية القرن التاسع عشر بعد هزيمة الثورة العرابية ١٨٨٢م، وتعد قصة "عذراء دنشواي" التي كتبها محمود طاهر حقي ١٩٠٦م باكورة الإنتاج الوطني في الرواية المصرية<sup>٢</sup>. صوّر فيها محمود طاهر مأساة دنشواي التي أُعِدِمَ فيها عددٌ من الفلاحين المصريين إعدامًا جماعيًا بتهمة قتل ضابط إنجليزي أُصيب بضربة شمسٍ أودت بحياته.

وبسبب هذا أشعلت نيران الثورة الشعبية في ١٩١٩م، وكانت هذه الثورة أول مظهر العنف السياسي المصري بعد هزيمة الثورة العرابية التي عبرت عن نفسها أدبيًا في القصة والشعر كلها، وظل الشعر من أدوات التعبير الثوري عام ١٩١٩م، ولكن الثورة حققت تعبيرها الأدبي أكثر قدرة على احتواء أبعادها في فن الرواية وأشهرهم: توفيق الحكيم (١٨٩٨-١٩٨٧م) الذي كتب روايته الأولى "عودة الروح" عام ١٩٢٧م، ونشرها عام ١٩٣٣م<sup>٣</sup>. كانت هذه الرواية وليدة مجموعة عوامل أدبية وسياسية، تأثر بها توفيق الحكيم ككتاب جيله في مصر في فترة ما بين الحربين، من أهمها ثورة ١٩١٩م التي شكلت انتصارًا للفكرة القومية في المجال السياسي وبعثت في نفوس المفكرين أملا بتحقيق الشخصية المصرية<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> المصدر نفسه، الصفحة: ١١٩

<sup>٢</sup> غالي شكري، أدب المقاومة، ص: ٨٤

<sup>٣</sup> غالي شكري، أدب المقاومة، ص: ٨٩

<sup>٤</sup> الثورة الشعبية المصرية - جمعية الأوان (alawan.org)

إحسان عبد القدوس (١٩١٩-١٩٩٠م) وتعد روايته "في بيتنا رجل" من الروايات العربية التي تناولت هموم المجتمع العربي إبان الاستعمار، وجسدت هذه الرواية هموم وقضايا المجتمع العربي أثناء حقبة الاستعمار ومعاناتهم في أثناء سعيهم للبحث عن الحرية والاستقلال. حاول إحسان عبد القدوس الكشف عن الآلام وجراح أبناء المجتمع العربي إبان تلك الحقبة الحالكة المظلمة. تتحدث الرواية عن الفترة ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، والقصة التي تبين فيها هي قصة واقعية.

ويقول غالي شكري عن هذه الرواية: تكاد الرواية التي كتبها إحسان عبد القدوس حوالي عام ١٩٥٦م تحت عنوان "في بيتنا رجل" أن تكون الرواية المصرية الوحيدة التي اكتملت فيها صورة "البطل الوطني" وما ترمز إليه بطولته من أفكار وأعمال "وطنية".<sup>١</sup> بالإضافة إليهم، نستطيع أن نرى ملامح المقاومة في كثير من الأدباء القصصيين، خاصة عندما تحولت مصر إلى سياسة السبعينات وسقوط الزعامة العربية وتوالي شباك الغرب، بدأ الروائيون المصريون يعارضون التيار السائد، من أمثال صنع الله إبراهيم، وبهاء طاهر، ويوسف القعيد، وجمال الغيطاني وغيرهم.<sup>٢</sup> وهكذا نجد أدباء مصر يساهمون بشعرهم في تصوير أحداث الأمة العربية مساهمة فعالة، كانوا يحرضون الشعب على الثورة ضدّ المستعمرين وهيمنة الحكومة والثورة على الجهل والتخلف. أمثال محمود السامي البارودي وعبد الله نديم، إنهم كانوا لسانا مباشرا للثورة العرابية، كما نجد سيد درويش، بيرم التونسي، حافظ إبراهيم، سلامة موسى، الجوهري أنهم كانوا لسانا ناطقا باسم ثورة ١٩١٩، وكذا نستطيع أن نرصد عشرات الأسماء التي نطقت شعرا مقاوميا إبان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ في مصر.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> غالي شكري، أدب المقاومة، ص: ١٠٢

<sup>٢</sup> الاتجاه القومي في الرواية، ص: ٢٩٣

<sup>٣</sup> غالي شكري، أدب المقاومة، ص: ٣٥٢

## العنف السياسي في قارة آسيا

في القارة الآسيوية لعبت فلسطين دورا هاما في تطوير العنف السياسي في الأدب العربي خاصة وفي الآداب العالمية عامة بالاحتلال الإسرائيلي عليها، عندما أعلن الدولة الإسرائيلية وجودها في فلسطين فتجاوزت فيها سائر الحدود في الظلم والقسوة والحشية، حتى أصبحت فلسطين علامة الظلم والاستبداد، فأجبر الأدباء لتصوير العنف السياسي من قبل الحكومة الخارجية، ومنهم أشهرهم غسان كنفاني (١٩٣٦-١٩٧٢م)، صوّر غسان مأساة الشعب الفلسطيني في القصة والرواية في أسلوبها الجذابة كما وصف كآبة فلسطين في شعره. ومن أشهر رواياته وقصصه التي هي الممتلئة بأدب المقاومة، مثل وروايته المشهورة "رجال في الشمس" تصف تأثيرات النكبة سنة ١٩٤٨م على شعب فلسطين. كما هي ترسم حياة الفلسطينيين الذين يعيشون في الغربة والمخيم حيث لا يُحملون مواطنة أية دولة، ويضطرون إلى أن يعيشوا في أرض غير أرضهم بدون أصل، ويكونوا عرضه للقمع والاضطهاد، وهي تكشف عن المعاناة الداخلية والخارجية بسبب التهجير الدائم عن طريق المؤثرات النفسية والأعمال البدنية الناتجة من القيود المفروضة عليهم، وترفع القناع عن صراخهم المختنق الضائع، فالجملة التي تنتهي بها الرواية "لماذا لم يدقوا جدران الخزان" تدل على عدم استماع العالم إلى أصوات المظلومين الفلسطينيين، أو على تجاهل العالم عن صراخ الفلسطينيين المظلومين.

وحاول فيها غسان كنفاني أن ينفث روح الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي في الشعب العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة. كما يقول محمود درويش عنه: أن غسان "أحد النادرين الذين أعطوا الحبر زخم الدم...ونقل الحبر إلى مرتبة الشرف وأعطاه قيمة الدم".<sup>١</sup>

أصبحت تلك الجملة (لماذا لم يدقوا جدران الخزان) من بعد رواية غسان

<sup>١</sup> محمود درويش، غزال يبشر بزلزال، مجلة الأسوار، ص: ٣٢

الكنفاني (رجال في الشمس) أحد النصوص العربية المحفورة في الأذهان، حيث إن الفلسطينيين الثلاثة "أبطال الرواية" يموتون داخل خزان السيارة التي لم يحاولوا الهرب منها، لكنهم ظلوا بداخلها دون مقاومة ولو برفع الصوت وطرق الخزان. ويقول بدوي حول هذه الرواية:

"رجال في الشمس رواية أكثر شهرة وأفضل إنجازا من بين الروايات المستوحاة من القضية الفلسطينية".

وكذلك نشرت روايته الأخرى "عائد إلى حيفا" عام ١٩٦٩م بعد نكسة الحرب العرب الحزيران ١٩٦٧ المخزية. تعرض هذه الرواية الشعب الفلسطيني على القتال وتشجعهم على المكافحة ضد العدو، وأنها أكثر تعبيراً عن مشاعر لؤم الذات.

محمود درويش (١٩٤١-٢٠٠٨م) الذي كان علماً من أعلام شعر المقاومة العربية، وله مكانة منفردة ومرموقة في هذا الفن الذي جعله شاعر أرض المحتلة وعلامة المقاومة بين شعراء معاصريه. يخاطب الأعداء الذين أغاروا وهدموا بيوت الشعب الفلسطيني وشيّدوا ملاطهم على أشلاء الشعب وأنقاض بيوتهم، ويحدّثهم بأن الدماء التي يشربونها من جثث الشعب الفلسطيني، تخنقهم في المستقبل القريب<sup>٢</sup>. كما يتحدث في قصيدته الشهيرة "بطاقة هوية" (identity card) عن عرويته العربية ويفتخر عليها، ويقف أمام العتاة الصهيينة المجرمين صارخاً في وجههم<sup>٣</sup>. ومن أشهر قصائده "حالة الحصار" جدارية، عاشق من فلسطين، سجل أنا عربي، مأساة نرجس ملهات فضة.

وكذلك واجهت الهند التي كانت مستعمرة لبريطانيا حول القرنين تقريبا، معاناة هائلة من قبل بريطانيا حيث مات حوالي ٣٥ مليون هندي بسبب السياسة بسبب

---

Badawi,M.M, short History of Morden Arabic Literature, p no.190<sup>١</sup>

<sup>٢</sup> حسن مجيدي: فرشته جانثاري، الخصائص الفنية لمضامين شعر محمود درويش، ص: ٥٨

<sup>٣</sup> محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، ص: ٤٧

المجاعة المتوالية. مذبحه "جاليان والا باغ" كواحدة من أعظم الأعمال الوحشية للحكم البريطاني حيث أطلقت قوات الجيش الهندي البريطاني نيران بنادقهم على حشد من الشعب الهنود غير المسلحين، وقتل أكثر من أربع مئة وجرح ألف تقريبا. كما دمروا كل شيء الذي وجدوه هنا، وأجبر الناس على التسول، وقسموا الشعب على أساس الدين والعنصرية وما إلى ذلك. حاول الأدياء الكثيرون تبين هذه الحالة السيئة للمدن في أدهم، ومنهم مولانا أُلطاف حسين حالي (١٨٣٧-١٩١٤م)، الذي قرض العديد من القصائد التي يعبر عن العنف السياسي أي استبداد إنكلترا واحتلالها. وفي حركة استقلال الهند رفع أُلطاف حسين حالي لواء الشعر الجريء بقصيدته "حب وطن"<sup>١</sup>، كما يخاطب فيها أُلطاف حسين حالي قومه ويدعوه إلى الاتحاد للنجاح ضد الاحتلال فيقول:

بيٹھے بے فکر کیا بوبہم وطنو! اٹھو اہل وطن کے دوست بنو  
 تم اگر چاہتے ہو ملک کی خیر نہ کسی ہم وطن کو سمجھو غیر  
 ملک بے اتفاق سے آزاد شہر بے اتفاق سے آزاد  
 قوم جب اتفاق کھوی بیٹھتی اپنی پونجی سے ہاتھ دھوی بیٹھتی ۲  
 (لماذا جلستم بدون أي فکر يا أهل وطني انفضوا وأصبحوا أصدقاء أهل وطن  
 لوتريدون خير بلدكم فلا تحسبوا أي أهل وطنك غيرك  
 الدولة حرة من الاتحاد البلد حر من الاتحاد  
 إذا فقد القوم الاتحاد ففقد ثروة قومهم)

وهناك الشاعر الآخر أكبر إله آبادي (١٨٤٦-١٩٢١م) الذي اعتمد على أسلوبه الهجائية والفكاهية لتصوير الحضارة الغربية وترديدها. كما تعكس قصائد برج نارائن شكيبست ودرغا سہائی سرور وتلوک شند محروم وبسمل عظیم آبادي المشاعر

<sup>١</sup> <https://www.sbs.com.au/language/urdu/audio/revolutionary-poetry>

<sup>٢</sup> نوائے آزادی، ص: ٢٣

الوطنية للناس وأثارتها. فيصرح بسملة عظيم آبادي (١٩٠٠-١٩٧٨ م) بلسانه نيابة عن الشعب الهندي أن قلوبنا الآن مملوءة برغبة إلى الأعلى، وهذا مستحيل اليوم للأعداء أن يصدونا عنه، فيقول:

سرفروشی کی تمنا اب ہمارے دل میں ہ

دیکھنا ہے زور کتنا بازوئے قاتل میں ہے<sup>١</sup>

(الآن قلوبنا مملوءة برغبة إلى الأعلى سنرى كم مقدار القوة في ذراع القاتل)

وكذلك تحدى مولانا حسرت موهاني (١٨٧٥-١٩٥١ م) ومولانا ظفر علي خان (١٨٣٧-١٩٥٦ م) الحكم الأجنبي علانية، وصورا اضطرهاد بريطانيا بوضوح حتى لبث حسرت موهاني أكثر عمره في السجن، وأصبحت قصيدته الشهيرة "انقلاب زنده باد" (تحيا الثورة) نشيد الحرية.<sup>٢</sup>

جوش مليح آبادي (١٨٩٨-١٩٨٢ م)، الذي تسارعت قصائده أيضًا حركة الاستقلال، وأصبحت قصائده الثورية مقبولة لدى الناس. خلق جوش من خلال شعره ثورة إلى درجة أنه حصل على لقب "شاعر الثورة"<sup>٣</sup>. وفي قصيدته الشهيرة "التمرد" رفع جوش راية التمرد ضد البريطانيين، وحث الشباب على القتال فيقتلون أو يُقتلون، فيقول:

اے جواں مردوں خدارا بانده لوسر سے کفن یا تواب تاج پہنیں گے یا خونى کفن  
(أهيا الشباب، اربطوا الكفن على رأسك إما أن تلبس التاج الآن أو الكفن المملخ بالدماء)  
اندلعت عاصفة مشاعر لجوش مليح آبادي ضد البريطانيين مثل البركان. يمكن أن ينظر موقفه ضد البريطانيين في قصيدته التالية "نعره شباب" (شعار الشباب)

<sup>١</sup> <https://www.sbs.com.au/language/urdu/audio/revolutionary-poetry>

<sup>٢</sup> المصدر نفسه

<sup>٣</sup> <https://www.qumiawaz.com/poem/special-on-death-anniversary-of-revolutionary-shayar-josh-malihabadi>

الذي يصرح فيه أنني لا أخاف من الموت، وسأهدم إيمانكم الباطل هدمًا، فيقول:  
 ديكھ کر میرے جنوں کوناز فرماتے ہوئے موت شرماتی ہے میرے سامنے آتے ہوئے  
 تیرے جھوٹے کفر وایمان کومٹا ڈالوں گا میں ہڈیاں اس کفر وایمان کوچبا ڈالوں گا میں!  
 کام ہے میرا تغیر، نام ہے میرا شباب میرا نعرہ انقلاب وانقلاب وانقلاب<sup>۱</sup>  
 ترجمہ: من رؤیة افتخار جنونی یخجل الموت أن يأتي أمامي  
 سأمحو إيمانك وكفرك الكاذبين وسأمضغ عظام هذا الكفر والإيمان!

التغییر عملی والشباب اسی شعاری ثورة وثورة وثورة

وفي القرن العشرين ظهر بالهند جيل من المتقدمين (ترقي پسندوں کی نسل)، وأسسوا "الحركة التقدمية" (ترقي پسند تحریک)، عام ۱۹۳۶ م. في الواقع،  
 أنها كانت أول حركة مقاومة خالصة باللغة الأردية ملأت سماء الأدب الأردی بالنجوم.  
 جعلت الحركة التقدمية المقاومة حركة حقا، ونظمت لهجات المقاومة وأعطت دستورًا  
 بدأ على أساسه إنشاء الأدب. والحقيقة أن هذه الحركة أتت بالمعاني الجديدة لأدب  
 المقاومة<sup>۲</sup>. وظل منشي بريم شند، وفيض أحمد فيض، وراجندر سينغ بيدي، وجوش  
 مليح آبادي، وساحر، وعدد من الكتاب مرتبطين بهذه الحركة.

### العنف السياسي في قارة أستراليا

وكذلك واجهت القارة أستراليا، التي كانت مستعمرة لبريطانيا من عام ۱۷۸۸ إلى  
 ۱۸۵۰ م، أيضًا العنف السياسي، Oodgeroo Noonuccal (۱۹۲۰- ۱۹۹۵ م) كانت  
 أولى شاعرة وناشطة سياسية أسترالية كتبت عن حقوق السكان الأصليين. اشتهرت أو  
 دجيرو بشعرها، وكانت أول أسترالية من السكان الأصليين تنشر كتابًا من الشعر  
 باسم "we are going" (نحن ذاهبون، ۱۹۶۴ م)، الذي تبحث فيه عن عواقب  
 الاستعمار البريطاني في أستراليا. تصف هذه القصيدة ما خسرت أستراليا خلال الغزو

<sup>۱</sup> <https://www.urduvoa.com/a/urdu-poetry-24aug10-101385344/1140150.html>

<sup>۲</sup> <https://www.deedbanmagazine.com/blog/jdyd-mrthyh-wr-mzhmty-rwywy>

البريطاني، وما الذي سيضيع في المستقبل إذا لم يتنهبوا. في النهاية، تقدم القصيدة نقدًا قويًا للاستعمار. وتقترح أن الاستعمار هو شكل من أشكال الإبادة الجماعية الثقافية، وتسلب السكان الأصليين الأستراليين حياتهم وهوياتهم، وتدمر جمال العالم الطبيعي وتوازنه<sup>١</sup>.

### خاتمة

ويظهر بما قدمنا أن العنف السياسي له مصدرين، أحدهما الدولة التي تسيطر على أعناق الشعب وتجبر المواطنين أن ينصرفوا عن مطالبة حقوقهم باستخدام الآليات الحكومية المتنوعة، وهذا النوع يوجد في معظم أنحاء العالم. والمصدر الثاني للعنف هو الجمهور ويمكن لنا أن نقول إنه رد فعل عنيف من قبلهم ضد العنف الحكومي. فإذا انتهكت الدولة حقوق الشعب فهذا يحثهم على المقاومة العنيفة. والأدب الذي يعتبر بمرآة المجتمع تأثر بأوضاع السياسة العنيفة السائدة في المجتمعات وقام الأدباء في كل أنحاء العالم بتصويرها في مقالاتهم وقصصهم وشعرهم.

### المصادر والمراجع

- ١) شكري، غالي. (١٩٧٠م). أدب المقاومة، مصر: دار المعارف.
- ٢) عبد الغني، مصطفى. (١٩٩٤م). الاتجاه القومي في الرواية، الكويت: المجلس الوطنية للثقافة والفنون والآداب.
- ٣) درويش، محمود. (١٩٦٤م). ديوان أوراق الزيتون، بيروت: دار العلم للملايين.
- ٤) عكاشة، شايف. (١٩٩٣). نظرية الأدب في النقد الواقعي العربي المعاصر: نظرية التصوير، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ج ٣.

- (٥) بوصباط، عبد العالي. (٢٠١٥). المقاومة الثقافية في رواية "رصيد الأزهار لا يجيب" لمالك حداد.
- (٦) دوغان، أحمد. (١٩٨٩م). شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- (٧) درويش، محمود. غزال يبشر بزلال، مجلة الأسوار، العدد الثامن والعشرون، عكا القديمة، ٢٠٠٨، ص: ٣٢.
- (٨) عاشور، رضوى. (١٩٨١م). الطريق إلى الخيمة الأخرى: دراسة في أعمال غسان كنفاني، بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع.
- (٩) حسن مجيدي: فرشته جانثاري، الخصائص الفنية لمضامين شعر محمود درويش، مجلة إضاءات نقدية جامعة آزاد بآيران.
- (١٠) حسن، سبط. (١٩٨٥م). آزادي كي نظمين، لكهنو: أتريديش أردوأكيدمي.

## التحليل المقارن بين "حياة محمد" و"على هامش السيرة":

أ. د. صلاح الدين تارك<sup>١</sup>

خليق الرحمان<sup>٢</sup>

### ملخص

إن محمّد حسين هيكل وطه حسين من عباقرة الأدب العربي أسهما في شتى مجالاته ولا سيما في مجال السيرة النبوية. أما الأول فجمع في سيرته الحكم والأمثال مع الأسلوب الشائق والربط المحكم بين أحداث السيرة النبوية بحيث يعتبره الأكثر رائدا في مجال السيرة النبوية ويعدون كتابه "حياة محمد" من باكورة الآثار الأدبية في مجال السيرة النبوية في تاريخ أدبنا العربي الحديث. وأما الثاني فإنه ظاهرة مميزة ليس في مجال السيرة النبوية فحسب، بل في مجال الفكر العربي كله، وكتابه "على هامش السيرة" من أروع مثال على ذلك. وسنقوم في هذه المقالة بالتحليل المقارن بين "حياة محمد" و"على هامش السيرة" موضحا معالجة هذين أديبين للسيرة النبوية منهجا وأسلوبا وغيرهما.

الكلمات الدليلية: السيرة النبوية، التحليل المقارن، الظواهر الفنية، المنهج العلمي.

### مقدمة

لقد أنجبت مصر عبقریات فذة وأدباء بارزين تركوا أثارا قيمة في المجالات الأدبية ولهم آثار واضحة في صفحات التاريخ حيث ظهرت أسماءهم المتألثة على أفق تاريخ الأدب بأحرف ذهبية، ولا تزال الألسنة تذكرهم بدورهم البارز. وقد خلد التاريخ هؤلاء العباقرة والأفذاذ بإنتاجهم الأدبي وآثارهم القيمة في الأدب والفن والعلم التي لا تزال تتلألأ على صفحات التاريخ حيث يستفيد منها العالم كله إلى عصر طويل. إن الأجيال

<sup>١</sup> الأستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

<sup>٢</sup> باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

الجديدة لا تزال تجرّع كأس علم هؤلاء الشخصيات الفذة منذ زمن بعيد، ومنهم أديبان بارعان امتلأت صفحات الفنون الأدبية باختراعاتهما القيّمة وآرائهما النيرة وهما "الدكتور محمّد حسين هيكل" و"الدكتور طه حسين" اللذان تنوعت آثارهما وإنتاجهما بين الفنون الأدبية المختلفة، ولهما طريق يتميز بينهما الآخر من حيث الأسلوب والمنهج بل من حيث الفكر والموضوع على السواء. وإننا إذا نلقي نظرة انتقادية على أسلوبهما ومنهجهما في كتهما السيرة يتجلى لنا العلو والكعبة من بينهما على الآخر. ومع أن كليهما عبقریان من عباقرة الزمان ومن أفذاذ الذين ولجوا إلى كتابة السيرة النبوية.

كتب محمد حسين هيكل "حياة محمّد" وقسمه إلى واحد وثلاثين فصلاً أحاط فيها جميع نواحي حياة الرسول ﷺ مبتدأً من بلاد العرب قبل الإسلام إلى مكة والكعبة والقريش. وقد فصل ميلاد محمّد ﷺ إلى زواجه ومن الزواج إلى البعث، ومن البعث إلى إسلام عمر، ومن قصة الغرانيق إلى مساءات قريش، ومن نقض الصحيفة إلى الأمراء، ومن بيعة العقبة إلى هجرة الرسول ﷺ بيثرب، ومن السرايا والمناوشات الأولى إلى الغزوات كلها، كغزوة بدر الكبرى، وغزوة أحد وغزوتي الخندق وبني قريظة، وغزوة مؤتة، وفتح مكة، وحنين، والطائف، وتبوك، وموت إبراهيم، وعام الوفود، وحجّ أبي بكر بالناس وحجة الوداع ومرض النبي ﷺ ووفاته ودفن الرسول ﷺ وغيره ذلك.<sup>١</sup>

وأما كتاب "على هامش السيرة" لطله حسين فإنه يشتمل على ثلاث مجلدات. الجزء الأول يتحدث عن المواد التالية: وهي حفر زمزم، والتحكيم، والفداء، والإغراء، والبين، والقضاء، والزّدة، والطاغية، والبشير، وراهب الإسكندرية، واليتيم، والحاضنة، والمرضع، والبر.<sup>٢</sup> وأما الجزء الثاني فقد بدأه طه حسين بعنوان الفيلسوف الحائر وختمه على عنوان

١. محمّد حسين هيكل: حياة محمّد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر ١٩٧٧م، ص: ٣٧

٢. طه حسين: على هامش السيرة، ج ١، دار العلوم بدمشق، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٤م، ص:

نادي الشياطين<sup>١</sup>، بقول خالد بن سعيد الذي كان يقص على أخيه عمرو بن سعيد فقال له: "لقد رأيت عجبا وأني لأرى هذا أمرا يكون في بني عبد المطلب إذ رأيت النور خرج من زمزم"<sup>٢</sup>. والجزء الثالث من هذا الكتاب يحتوي على عدة عناوين من موارد السيرة، فمنها صريع الحسد، وسيد الشهداء، وذو الجناحين، وحديث عداس، ومصعب بن عمير، وطريد اليأس، ونزير حمص، والوفاء، وطبيب النفوس، وشوق الحبيب إلى الحبيب، والقلب الرحيم. يختم هذا الجزء على "فإنك يا حنظلة قد أحببت ذكر إبراهيم في هذه القرية فوضعت الجزية عن أهلها"<sup>٣</sup>

### المنهج في "حياة محمد":

اعتمد محمد حسين هيكلي في "حياة محمد" على منهج علمي متكامل في دراسته لرسول الإسلام ﷺ وتاريخه لقيام الإمبراطورية الإسلامية، كما اعتمد على التحليل والتعليل والمناقشة والمقارنة والاستنباط. وهذه كانت طريقتيه في بقية دراسته الإسلامية أيضاً ولاسيما في سيرة الصديق والفاروق حيث يذكر في مقدمة سيرة الصديق في أثناء حديثه عن تاريخ الإمبراطورية الإسلامية قائلاً إنه تاريخ جدير بأن يدون على طريقة من البحث العلمي الدقيق الذي لا يعرف التعصب ولا يرضاه، والذي يرمي إلى تحليل الحوادث ويحقق أسبابها تحليلًا كاملاً يقنع العقل والفهم. وقد يرى محمد حسين هيكلي أن من مقتضيات البحث العلمي الجاد تجريد الفكر عن الآراء الذاتية في الموضوع المحدد وعدم اتخاذ المواقف المسبقة قبل أن تسلك عملية البحث مسارها إلى الشوط الأخير. والملاحظة هنا أن هذا المنهج العلمي بعيد كل البعد عن منهج أدباء السيرة ممن سبقوه إذ إنه يعتمد في كتابة السيرة على منطق قوي وحجج باهرة

<sup>١</sup> طه حسين: على هامش السيرة، ج ١، دار العلوم بدمشق، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٤م، ص: ١٩٥

<sup>٢</sup> نفس المصدر، ج ٢، ص: ٢٣٣

<sup>٣</sup> طه حسين: على هامش السيرة، ج ٣، دار المعارف، ط، ١١٩٣، ٢٣م، ص: ٢٤٣

وذلك لما تمتع به من خلفية ثقافية قديمة وحديثة غنية بشتى العلوم والقانون والمنطق والفلسفة. وعلى هذه الثقافة وهذه القوة في الحجّة والبيان نسج الدكتور محمّد حسين هيكل كتابه هذا قائلاً في مقدمته "لست مع ذلك أحسب أنني أوفيت على الغاية من البحث في حياة محمّد ﷺ بل لعلّي أكون أدنى إلى الحق إذا ذكرت أنني بدأت هذا البحث على الطريقة الحديثة العلمية". إنه فعل ذلك محاولاً أن يقدّم أمام القراء كل ما حدث ووقع في حياة محمّد ﷺ وما بعده تقديماً لا يفوت صغيرها ولا كبيرها. ومن المعترف به أن المنهج العلمي يتسع مساحة طويلة لعرض الحوادث وتكشيف أسرارها ورموزها بحيث حاول كثير من الأدباء أن يستخدموه في كتاباتهم السيرة ولكن منهج محمّد حسين هيكل امتاز كل من سبقوه لأن طريقته في السيرة كطريقة القرآن الذي يجعل العقل حكماً والبرهان أساساً ويؤنّب من يتبع الظن، ويجعله يعتقد بأن معجزة محمّد ﷺ العظيمة لم تكن إلا في القرآن وهي معجزة عقلية. على هذا النحو يتضح لنا كل الوضوح أن الدكتور محمّد حسين هيكل قد أخذ المنهج العلمي مؤمناً بأن دراسة الرسول ﷺ ووقائعه تحتاج إلى هذا المنهج العلمي.

### المنهج في "على هامش السيرة"

استعان طه حسين في تقديم سيرته هذه بالمنهج القصصي والتحليلي فعني عناية كبيرة بأساطير اليونان والرومان وأدخل هذه كلها في سيرة الرسول ﷺ ورجح الأحاديث الضعيفة على الأحاديث الصحيحة. ليس هذا فحسب بل إنه أخذ أكثر الروايات من الإسرائيليات التي جاءت في تاريخ الطبري مثل قصة حفر زمزم على يد عبد المطلب. وكذلك نجده يبالغ في قصة ولادة الرسول ﷺ حيث لم يذكر في إثباتها غير حديث واحد. على أن طه حسين نجح بمنهجه القصصي هذا في إخراج الأدب القديم إلى إحيائه وإحياء ذكر العرب الأولين في الأدب الحديث غير مبال وإن تجاوز أحياناً في التوسيع في القصص ورواية الأخبار واختراع الحديث وما إلى ذلك موضحاً لنا أنه كان

١. د. محمّد حسين هيكل: حياة محمّد، مقدمة الكتاب، ص: ٢٢

ينهج على الحرية والسعة في أخبار النبي ﷺ ونعرف هذا واضحا كاملا في هذه العبارة حيث يقول: "إني وسعت على نفسي في القصص، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأساً".<sup>١</sup>

إنّ طه حسين عني عناية كبيرة بالأساطير وأثر الأساطير الموضوعية على الأحاديث الصحيحة، حتى يأخذ بالأحاديث الموضوعية ثم يضطر برد الأحاديث الصحيحة لأنها تخالف الآراء التي يتحدث عنها هو، وكذلك يعتمد كثيرا على الإسرائيليات التي أوردها ابن إسحاق عن أهل الكتاب وعمما قبل النبوة ولكنه ما كان يعتمد بهذه الأحاديث. وكذلك صرح طه حسين في كتابه على لسان عبد المطلب إذ قص حكاية حفر زمزم والرؤيا التي كانت تتكرر على عبد المطلب فمرة يطلب منه حفر طيبة ومرة برة ومرة المظنوننة وأخيرا يأتيه ليقول له أحفر زمزم<sup>٢</sup>. وذكر المؤلف بعد ذلك ما لاقاه عبد المطلب من نكران قريش عليه في أمر الطائف الذي يأتيه في المنام ليحفر بئرا في فناء المسجد وغيره من الأحداث. فهذه العبارة المذكورة يتجلى لنا أن حفر زمزم جرى على يد عبد المطلب حيث يقص الكاتب له أساطير كثيرة غير أن الأمر عكس على ذلك لأننا نجد معظم الأحاديث الصريحة التي تشهر بأن حفر زمزم كانت تجري خارق العادة على يد إسماعيل عليه السلام، بل إننا نجد الآيات القرآنية على شهادة وتقوية لها. على هذا النحو أن طه حسين تزلزل في هذا المقام أيضا ومال إلى الأساطير والخرافات تاركا وراءه دلائل نقلية وعقلية لم يتفق معها النقاد المعاصرين بل أنّ معظمهم نقدوا على طه حسين نقدا لاذعا ولا غروفي ذلك.

### أسلوب "حياة محمد":

إن أسلوب "حياة محمد" أسلوب علمي قائم على صحة الدلائل والبراهين امتاز بدقة الوصف وتصوير المشاعر والاتزان في التحليل والسهولة والبلاغة التي لا تكلف

١. طه حسين: على هامش السيرة، ج ١، ص: ٦٣

٢. المصدر نفسه، ج ١، ص: ٣

فيها. وقد تتجلى فيه قدرة محمد حسين هيكل للوصف والتعبير عن المشاعر المتدفقة لدى المسلمين عن النبي ﷺ بحيث يشعر القارئ الطمأنينة أثناء قرأته، وهذا الشيء نادر لا نجده إلا قليلا في الكتب الأخرى غير "حياة محمد".<sup>١</sup> وقد نلاحظ في هذا الأسلوب العلمي أن المؤلف لا ينسى فيه إدخال الحكم والأمثال على نحو ما نعرف من العبارة الآتية: "اقتربنا من جدة وبدت لناظرها دورها وعماراتها وازدادت وضوحا على رغم نزول الظلام، وكان مظهرها يغري بالظن أنها خططت تخطيطا جميلا وبنيت على الطراز الحديث وذلك الشأن في كل ما يبدو للمقبل في البحر من مظاهر اليابسة فإذا اقتحمناه كنا كالجراح إذ يقتحم بمشرطه جسدا جميلاً"<sup>٢</sup>. وكذلك نجد المؤلف يذكر الأماكن الشهيرة في جزيرة العرب بأسلوبه الرائع الذي يتجلى لنا بعد قرأته كأنه لا يكتب سيرة بل يكتب ذكرياته العاطفية الجياشة التي ترقّ القلوب وتحث الإنسان على استماع ذكرياته الحلوة، مثلا يكتب "وهنا المكان الذي يقولون إنّه عكاظ أمّا أنا فلم أر شيئا أستطيع أن أتبينه فقد هبطت كشف الظلام وانطوى الوجود في وجنة الليل وكنا في الثلث الأخير، من ذي الحجة فلم أر للقمر في السماء من أثر ولم تكن النجوم لتكشف من غطاء الليل شيئا وهذه الأودية الصامتة في رابعة النهار هي الساعة أشد صمتا ومهابة"<sup>٣</sup>. وبعد إلقاء النظرة في هذه العبارات يتضح لنا أن محمد حسين هيكل من أروع من تناولوا الصور المعنوية والمشاعر النفسية حتى نحس كأنه زار غار حرا بنفسه في الحجاز حيث تهتز نفسه لديها لذكرى النبي ﷺ ونزول القرآن عليه ويتخطى بذهنه القرون إلى الماضي البعيد. وهكذا اتبع هيكل أسلوبا لم ينس فيه قط طريقة البحث العلمي المستخدم في معظم أعماله من قبل كما لم ينس مناقشة المحاماة التي عمل بها وحرارة الكتابة التي تعبر عن وجهة نظره الخاصة. وقد يذكر هو بنفسه قائلا:

١. شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف القاهرة مصر ١٩٨٢م، ص: ١٤٤.

٢. محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص: ١٥٤.

٣. نفس المرجع، ص: ١٧٠.

"العلي أكون أدنى إلى الحق إذا ذكرت أنني بدأت هذا البحث في العربية على الطريقة الحديثة وقد تأخذ القاري الدهشة إذا ذكرت ما بين دعوة محمد وبين الطريقة الجدية من شبه قوي فهذه الطريقة تقتضيك إذا أردت بحثاً أن تمحو من نفسك كل رأي وكل عقيدة سابقة، وهذه الطريقة العلمية هي أسى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر وهي مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته"<sup>١</sup>. وهذا الأسلوب العلمي ومن أجل تلك الدوافع والأسباب مضى محمد حسين هيكلم يؤلف كتابه هذا معتمداً في ذلك على القرآن الكريم. وقد أيد هذا قول الأستاذ عبد الله بن علي النجدي القصبي قائلاً: "كان يعتمد على القرآن لكي يمحس على ضوئه ما ورد في كتب السيرة"<sup>٢</sup>. فالمؤلف يتحدث عن كل الحوادث والوقائع في أسلوب علمي لا ينسى فيه بإتيان عبارات سهلة وبمحاورات عربية ذات الدلائل الفكرية. وقد يجمع هوبين منطقية العلم ورقة العاطفة ويذهب بالقارئ إلى الأماكن التاريخية، حيث يشهد هو بذاته كل ما حدث في زمن النبي ﷺ ويحس كأنه كان موجوداً في ذلك الوقت، لا يحس بالملل والكسل بل يجد التشويق في قرأته إلى حد بعيد.

ومن الحق أن الأسلوب العلمي أكثر جافاً مملوء بدقائق الأفكار والبراهين بحيث لا يفهمه القراء بعد ما طالعوا صفحات كثيرة إلا القليل منهم، ولذلك يختار الكتاب الذين يكتبون عن السيرة الأساليب المتنوعة عدا الأسلوب العلمي. وعكساً على ذلك نجد محمد حسين هيكلم بأسلوبه العلمي يضطر القراء إلى القراءة والتفكر وإفهام السيرة، وهذا هو الشيء الذي يفوقه عن كتاب آخرين والذي تحدث عنه الأستاذ سيد قطب قائلاً: "إن أسلوب هيكلم هو أسلوب حلو ذات العناصر التشويقية والولع

---

١. محمد حسين هيكلم: حياة محمد، ص: ١٢٢

٢. عبد الله بن علي النجدي القصبي: نقد كتاب حياة محمد، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٥م،

الشديد على قراءة الكتب عن السيرة<sup>١</sup>. وقد امتاز محمد حسين هيكل بأسلوبه هذا إذ نجح في جعله ملائما مع الموضوع حيث لا نجد فيه أي التباس وصعوبة، بل هو أسلوب سهل نال إعجابا وقبولا حسنا لدى الناس أجمعين.

### أسلوب "على هامش السيرة":

إن طه حسين عبقرى لامع بين معاصريه بتعدد الموضوعات حيث ابتعد عن الزخرف والزينة ووضوح الجمل وترك المبالغات وسلاسة الحجج وإجراءها على حكم المنطق الصحيح واللغة السهلة والعرض المبسط الذي يصل إلى مستوى عقلية القراء. لقد كتب عن الموضوعات المتنوعة متناولا بعبارات رائعة سلسلة عذبة. وإذا نتحدث عن أسلوبه في "على هامش السيرة" فيتضح لنا كوضوح القمر بأن طه حسين اختار الأسلوب النير والسهل والممتع الفصيح كأن عباراته كمثابة الكلمة الشعرية بحلوها وعذوبتها. وقد امتاز بالتصوير الفني الرائع الذي يقرب السيرة للمتلقين ويُسير استيعابهم لها، ويُقر أثرها في نفوسهم. بالإضافة إلى ذلك يزداد حسن أسلوبه باستخدام ألفاظ القرآن الكريم حتى يجد القارئ استثمارا فاعلا على نحو ما نراه خلال وصفه عمر بن هشام حيث يقول: "وقد هدأت نفسه مع صاحبيه "شيبة بن ربيعة وعلي بن أمية" فيقول "حتى ثابت إليه نفسه، وسكت عنه الغضب"<sup>٢</sup>. وكذلك وصف حال عمرو بن هشام في أحد لقاءه بورقة بن نوفل عندما أخفى عنه بعض كان يعلم من أمر محمد ﷺ فنحس كأنما هو يعبر عن القرآن الكريم بأسلوب جلي ممتاز نجده في القرآن المبين. مثلا يقول: "فلما رأى الفتى منه ذلك سيئ به وضاق به ذرعا، وقال في شيء من الحدة "ويحك أيها الشيخ إنك لشديد الكأبة منذ اليوم"<sup>٣</sup>. وإذا يتهمه

١. سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٠م، ص: ٢٧

٢. طه حسين: على هامش السيرة، ج ٣، ص ٦١، وانظر سورة الأعراف الآية: ١٥٤

٣. سورة هود، الآية: ٧٧

البعض بأنه لا يخرج عن حدود أسلوب الصحافة من حيث السهولة والبساطة والبعد عن التعرّف اللغوي والابتدال العامي فلا سبيل في هذا المقام إلى حشد الصور البيانية المعقدة غير أننا نقدر أن هذا أسلوب مؤثر مليء بالعاطفة القوية والصور الطريفة الملائمة للمقام والفكرة، وهو الأسلوب الذي يمهد السبيل إلى التعبير عن كل عبارات أدبية بقوة الفكرة والطاقة الخاصة من التعبير والتأثير والإيحاء. وقد نجد عناصر أسلوبه تأخذ خلال معالجة الأمور شكلا خاصا يحمل سمات شخصيته الفكرية والنفسية والثقافية. على هذا النحو قدم طه حسين هذه السيرة النبوية للقراء ميسرة جامعة بين التاريخ والفن، ومحققا للمتلقين القدوة الفاعلية والقيمة الأخلاقية والإسلامية في بناء قصصي جذاب ممتع، ونضع هناك بعض الاقتباسات من عباراته لكي يتضح لنا أسلوبه الرائع: "كان الربيع يغطي جوانب الوادي لكساء من الحشيش البارض والزهر اليانع والسّماء الصافية لا تشوبها سوى قطع متفرقة من السحاب الأبيض وكانت الشمس تميل نحو الغرب عند ما اقتربت القافلة من فم الوادي عند طلال أجمة من نخيل وسدر وائل وسيال، وسارت الإبل في قطار طويل تخطو خطوة وثيّدًا لا تعبًا بشيء مما حولها ولا يستحثها شيء من أمامها ولا من خلفها وكان يرن في الفضاء صوت الحادي يتغنى بأراجيز يمزح فيها بين أنغام الحرب وأنغام النسيب فكانت الإبل تسير رافعة رؤوسها نشيطة كأنّها تصغي في حماسة إلى ذلك الغناء المطرب وكان الفتى الحادي يسير في صدر القافلة أخذًا بزمام بعير عليه هودج قد طرحت عليه ثياب ملوّنة مخططة من حرير يبرق في ضوء الشمس الغاربة ويخفق في رفق مع النسيم الهادي".<sup>١</sup>

تحتوي "على هامش السيرة" على جميع الأسس التي أقر النقاد بضرورة وجودها في أسلوب السيرة النبوية وبذلك كله تعد "على هامش السيرة" أحسن عمل أدبي ارتفع به جوفن السيرة في الأسلوب الأدبي، فهو الأسلوب الذي نجد فيه الصدق والتعاطف

١. طه حسين: على هامش السيرة، ج ١، ص: ١٢٣

حيث نرى مؤلفه إنسانا شفافا يحكي لنا كل الأحداث بكل حضور للذات، واسترجاع متقن للذكريات مع الوقوف عند أبرز المنعطفات، وقلما نجده متمكنا يسرد لنا سردايب الشخصيات والأحداث بوضوح جلي. ومن أبرز سمات أسلوبه وجود علاقة بين الأسلوب اللغوي وبين شخصية صاحبه إذ أن هناك اتفاقا بين الأسلوب وبين الشخصية اللذين يجعلان الأسلوب يدل على ملامح الشخصية الروحية والفكرية للكاتب بطريقة صادقة حسنة<sup>١</sup>. وجملة القول إننا نرى طه حسين فائقا على كل من سبقوه في هذا المجال بأسلوبه الرائع والشائق العذب المسلسل ذاع صيت كتابه في أنحاء العالم وتلقى إعجابا وقبولاً لدى الناس وهذا هو ما يقوله سيد قطب عن هذا الأسلوب قائلاً: "وإنه أسلوب شائق لا يأتي الأدب العربي مثله ولا مثيله حتى الآن"<sup>٢</sup>. فإذا نقارن بينه وبين محمد حسين هيكل مقارنة نقدية من ناحية الأسلوب فنجد دون مبالغة واستطراد أن له أطول ذراع في كتابة السيرة وهو يأتي بعبارات كأنه يتمزق فيها السحر ويتجرد الإنسان وعواطفه إلى الأدب وقرأته. ومع أننا إذا نلقي نظرة دقيقة على أسلوب محمد حسين هيكل فنجد ممتازاً بدقة الوصف وتصوير المشاعر والانتزان والسهولة وعرض حوادث السيرة بطريقة عذبة وبعبارات شائقة مستخدماً الأسلوب العلمي ومحيطاً بكل جوانب السيرة النبوية. وبالإضافة إلى ذلك إنه لا يقل عن كبار كتاب السيرة أسلوباً ومنهجاً إذ له مقدرة فعالة وقدرة فائقة لاستحسان العبارات واستخدامها بأسلوبه. على الرغم من ذلك كله لا يصل محمد حسين هيكل إلى طه حسين أسلوباً ومنهجاً وعرض الحوادث السيرة وما يتعلق بها في قالب في جذاب ممتع.

## خاتمة

بعد تحليل مقارنة بين السيرتين لهذين الكاتبين نلاحظ أن محمد حسين هيكل

١. حمدي سكوت: أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر، دار الكتاب العربي ١٩٨٣م، ص: ٥٦.

٢. سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص: ٥٦.

اختار المنهج العلمي بحيث يُعد كتابه "حياة محمّد" معلما حقيقيا في موضوعه ومنهجه فإنه عمل نموذجي فتح لنا آفاقا جديدة بالدقة الموضوعية والبراعة العلمية. وأما طه حسين فإنه اختار منهجا قصصيا في "على هامش السيرة" حيث لم يعتمد على الحقائق فقط وإنما أضاف إليها من خياله لكي يجعل سيرته أكثر جاذبة، غير أن هذه الأشياء المضافة القليلة أثرت في أحداث "على هامش السيرة" إلى حد قليل. فإذا امتاز الدكتور طه حسين بأسلوبه الجميل الرائع العذب، امتاز محمّد حسين هيكلا بأن منهجه في كتابه الذي يساق عنه الحديث وجد قبولا عند كثير من الناس.

### المصادر المرجع:

١. محمّد حسين هيكلا: حياة محمّد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر ١٩٧٧م.
٢. طه حسين: على هامش السيرة، ج ١، دار العلوم بدمشق، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٤م.
٣. شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف القاهرة مصر ١٩٨٢م.
٤. عبد الله بن علي النجدي القصيبي: نقد كتاب حياة محمّد، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٥م.
٥. سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٠م.
٦. حمدي سكوت: أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر، دار الكتاب العربي ١٩٨٣م.

## ملاحح السيرة الذاتية (الذكريات) لعلي الطنطاوي

د. غلزار أحمد بال<sup>١</sup>

مدخل

الشيخ علي الطنطاوي أديب بارع في الأدب العربي وليس مجهولاً لدى القراء فهم يطالعونه حيناً بعد حين بالفصول الممتعة في الأدب والتاريخ والقصص والسير الغيرية والذاتية، ولقد كتب الطنطاوي سيرته الذاتية بعد السبعين من عمره بغير اعتماد على الوثائق المكتوبة، وذكر فيها الشخصيات العلمية والسياسية والاجتماعية، وأسماء الأماكن وخصائصها التي رسخت في ذاكرته حين مر بها. هذه المقالة تسلط الأضواء على ملاحح سيرته الذاتية المسعى بـ "الذكريات"، كما أنه كتب أكثر أنواع السيرة وكان له نظراً عميقاً في التاريخ ولا سيما التاريخ الإسلامي، لأنه كان مولعاً به.

الكلمات المفتاحية: الطنطاوي، السيرة، الذكريات، الأدباء، الشخصيات، التاريخ، الحياة، الأدب.

السيرة في اللغة: السيرةُ لها معان عديدة. جاء في المعجم الوسيط: السيرة بمعنى السُنَّة. والسيرةُ: الطريقة. والسيرةُ: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، والسيرةُ: السيرةُ النبويةُ، وكُتِبُ السَّيْرُ: مأخوذةٌ من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخلَ في معنى السيرة الغزواتُ وغيرُ ذلك، ويقال: قرأتُ سيرةَ فلانٍ: أي تاريخَ حياته. والجمع: سَيْرٌ. وهي في الأدب تدل على "السلوك" و"أسلوب الحياة" و"الترجمة".

ويقال أيضاً "السيرة": الحال التي يكون عليها الإنسان وغيره، سواء أكان هذه الحال غريباً أو مكتسباً، يقال: فلان له سيرةٌ حسنة أو سيرةٌ قبيحة، والسيرةُ أيضاً

<sup>١</sup> الأستاذ المساعد بالكلية الحكومية للنساء جامعة كلستر، سرينغر، كشمير.

تنطبق على: الهيئة، وفي التنزيل قوله - تعالى: سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ١، أي: إلى هيئتها الأولى وما كانت عليه.

### السيرة في الاصطلاح

توجد في كتب الفن تعريفات متعددة للسيرة وهذه التعريفات في الحقيقة، تحدد أنواع السيرة المختلفة ولكن بمكاننا أن نضع كل هذه الأنواع تحت قسمين رئيسيين وهما السيرة الذاتية والسيرة الغيرية. أما السيرة الذاتية فهي تتعلق بالكاتب نفسه ويختلف أصحاب الاختصاص في تحديد العناصر المكوّنة للسيرة الذاتية من حيث الشكل والمضمون. ويأتي الكلام حول السيرة الذاتية بقدر من التفصيل فيما بعد.

أما السيرة الغيرية وتسمى الترجمة أيضا فهي تصوير الكاتب الشخصيات التاريخية من منظوره الخاص الذي يتبع فيه منهجا فنيا وليس هو بالضرورة سردا تاريخيا. فالسيرة الغيرية "مصطلح يدل على سيرة الحياة، أو ترجمة الحياة. وهي عبارة عن ترجمة حياة أحد الأعلام، وهي تعتبر اليوم فنا أدبيا من الأجناس الأدبية التي تحكي حياة الأدباء والأعلام، وتروي نوعا من القصص المعتمد على المذكرات"<sup>٢</sup> ويرى أنيس مقدسي أن السيرة الغيرية نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، ويراد به دراسة حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصية.<sup>٣</sup>

أما بالنسبة للسيرة الذاتية، ففي تحديد تعريفها صعوبة حيث توجد كتب ونصوص متنوعة مندرجة تحت هذا المسمى ويقع الناقدون في مشكلة حيث لا يجدون تعريفا جامعا شاملا ينطبق على جميع هذه النصوص المتنوعة إذ لا نجد تعريفا واضحا ومحددا يستوعب جميع هذه الأشكال المختلفة للسيرة الذاتية التي اختارها الكاتبون لكتابة عن حياتهم، فمثلا هناك نوع من السيرة الذاتية يسمّى الذكريات،

١. القرآن الكريم: سورة طه، آية ٢١.

٢. د. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ص ٥٣٦.

٣. أنيس مقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، ص ٥٤٧.

كتب الشيخ علي الطنطاوي سيرته الذاتية في هذا القالب، وهناك أنواع أخرى تسمى المذكرات واليوميات والاعترافات وغيرها.

### أنواع السيرة الذاتية

من أهم أنواع السيرة الذاتية ما يلي:

المذكرات والذكريات: قال التونجي في كتابه "المعجم المفصل": "المذكرات نوع من العمل الأدبي الذاتي، يكتبه المؤلف عن حياته أو حياة شخص فذة ذات مقام بارز. ويتبع الأديب في كتابة المذكرات: إما على تسلسل الأيام، وإما بشكل متتابع لأهم الأحداث. ولا يكتب فيها إلا ما هو ذو أهمية، يبرز قضية، ويوضح مشكلة من مشكلات العصر الذي يعيشه. وقد يتوقف عند شخصية أثرت فيه وفي عصره... وقد اتجهت بعض الشخصيات السياسية والعلمية إلى تدوين مذكراتها."<sup>١</sup>

ويقول الشيخ علي الطنطاوي: "إني أدون ذكريات، لا أكتب مذكرات، أنا لا أستطيع أن أكتب قصة حياتي متسلسلة مرتبة، لأنني أعتمد على ذاكرة فقدت حداثتها، وأبليت الأيام جديتها، فقد أنسى الحادثة في موضعها ثم أذكرها في غير موضعها... والمذكرات يكتبها أرباب المناصب ورجال السياسة وقادة الجيوش الذين شاركوا في صنع الأحداث، فاستحقوا أن تكون مذكراتهم من مصادر التأريخ لهذه الأحداث بعد ضرب بعضها ببعض، وتمحيص ما ورد فيها، لأن كل خباز يجز النار إلى قرصه"<sup>٢</sup>.

يمكننا بما سبق أن نحدد الفرق بين الذكريات والمذكرات كما يلي-

المذكرات تعتمد على الوثائق التاريخية المسجلة بينما تعتمد الذكريات على الذاكرة.

المذكرات أكثر صدقا من الذكريات إلا أن تكتتها أصحابها لأغراض سيئة تشوه بها

١. الدكتور محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ص ٧٧٧.

٢. علي الطنطاوي: ذكريات، ج ١، ص ١٠-١١.

## التاريخ.

أن المذكرات تكون تسجيل متصل متسلسل ولا يجب ذلك في الذكريات.

المذكرات تكتبها على الأغلب أرباب المناصب والقادة.

الذكريات تدور حول الشخصية المركزية فيكون البعد الشخصي فيه أكثر وضوحا من المذكرات ولكن مؤلف المذكرات يقص تاريخ عصره من خلال رؤيته. يمكن أن تكونا على العكس أحيانا.

الاعترافات: جاء في معجم المصطلحات العربية أن الاعترافات "ذلك النوع من الترجمة الذاتية التي يروي فيها المؤلف مواقف نفسية أو عاطفية لا يعترف بها واضعوا الترجمة الذاتية عادة، ومن أمثلة الاعترافات "قصة الحياة" لإبراهيم عبد القادر المازني".<sup>١</sup>

اليوميات: هي عند التونجي " لون أدبي يدون فيه الأديب أحداثا، وانطباعات، ومشاهدات، ويرتبها ترتيبا فنيا على شكل مذكرات يومية أو شبه يومية. وهوفن أدبي مستحب لسهولة عرضه وإقبال القارئ عليه، كما قد يكون سجلا شخصيا للوقائع والتجارب وتحليل بعض الأحداث والشخصيات"<sup>٢</sup> فاليوميات سجل للتجربة اليومية ويشمل فيه اتجاهات الكاتب إزاء الأحداث ولا توجد فيه التواصل القصصي أو الحركة الدرامية.

## السيرة الذاتية والشيخ علي الطنطاوي

كتب الشيخ علي الطنطاوي أكثر أنواع السيرة، فنحن نجد عنده السيرة الذاتية والسيرة الغيرية وتراجم الأعلام والقصص التاريخية وكان له نظرا عميقا في التاريخ ولا سيما التاريخ الإسلامي، لأنه كان مولعا بقراءته كما صرح بذلك حفيده مجاهد مامون

١. د مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة، ص ٤٩.

٢. د محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج ٢، ص ٨٩٢.

"كان جدي يقرأ في كل موضوع وينظر في كل كتاب يقع بين يديه، ولكنه كان يفضل أشياء على أشياء، فكان أكثر ما يحب قراءته كتب الأدب، وفي المقام الثاني-بعدها-كتب التاريخ. ولقد قرأ-من شبابه-كتب التاريخ الطوال، كتاريخ الطبري والكمال لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير وأمثاله، بل وقرأ بعضها مرات فيما أعلم. وقد كان يوصينا-ونحن شباب-بقراءة كتاب "تاريخ الخلفاء" للسيوطي، ولقد رأيت في مكتبته نسخة منه قديمة كتب في أول صفحة منها عدد المرات التي قرأ فيها الكتاب وسنة كل قراءة فوجدته قد قرأه أكثر من عشرين مرة، وقد قال عن نفسه في مقدمته للطبعة الجديدة من كتاب "رجال من التاريخ": "أنا مدمن القراءة، يومي كله -إلا ساعات العمل- أمضيه في المطالعة ومحادثة الكتب، وأكثر ما أولعت به التاريخ... فأنا أقرأ كل ما أصل إليه من تواريخ العرب وغيرهم، ومن المذكرات والرحلات والمشاهدات".<sup>١</sup>

يتحدث بعض الباحثين عن تداخل الفنون الأخرى مع السيرة كالتاريخ والرواية والقصة والرحلات، وذلك أمر طبيعي لأن هذه الفنون كانت متشابكة ومتضاربة ثم تطورت وتفككت وصارت فنون مستقلة، لذا نجد بينهما علاقة ونراها تشترك في بعض خصائصها وتختلف في بعضها. وإذا نظرنا إلى الذكريات للطنطاوي من هذه الناحية، نجدها تستفيد وتأخذ من جميع الفنون في سرد الأحداث في مختلف مواضع مناسبة فلم يسر الكاتب فيه على طريق محدد كما صرح بذلك قائلاً:

"لقد عزمت ما دمت أكتب ذكرياتي، وأسرد أحداث حياتي أن أختار من كل نوع من أساليب كتابتي، فقرات أدل بها عليه، وأمثل بها له،

<sup>١</sup> . مجاهد مامون ديرانية: علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص ٨٣.

والكاتب- وإن كان فكره واحداً وقلمه واحداً- يتبدل أسلوبه بتبدل حاله<sup>١</sup> ويقول في موضع آخر: "قد مشيت في ذكرياتي هذه مع مناسبات الكلام، فتركت كثيراً مما كان ينبغي بيانه لأنني ابتعدت عن طريقه"<sup>٢</sup>.

### دوافع وأهداف لكتابة "الذكريات" عند الطنطاوي:

لقد كان تدوين الذكريات ونشرها حلمًا يراود الشيخ الطنطاوي سنين طوالاً لكنه أجل هذا الأمر، حتى إذا كانت سنة ١٩٨١ ألحَّ عليه صديقه "زهير الأيوبي" ليقنعه بنشر ذكرياته في مجلة "المسلمون" التي كان قد بدأ صدورها حينئذ، يقول الطنطاوي عن ذلك:

"ثم أحوالتي الأيام على التقاعد، فودعت قلبي كما يودع المحتضر، وغسلته من آثار المداد كما يُغسل من مات، ثم لففته بمثل الكفن وجعلت له من أعماق الخزانة قبراً كالذي يُدفن فيه الأموات. حتى جاءني من سنة واحدة أخ عزيز، هو في السن صغير مثل ولدي، ولكنه في الفضل كبير، فما زال بي يفتلني في الذروة والغارب<sup>٣</sup>.

وقد كان الاسم الذي أطلقه على الكتاب "ذكريات نصف قرن" قبل أن يولد الكتاب، فلما صدر كان قد جاوز نصف القرن بكثير، فعدل إلى الاسم الذي صدر به الكتاب، وهو: "ذكريات علي الطنطاوي" كما صرح به حفيد الطنطاوي مجاهد مأمون ديرانية<sup>٤</sup>. والدافع الآخر المهم هو الاسترجاع التذكاري لأن الطنطاوي يتلذذ بذكر الأحداث الماضية كما نجدّه يستطرد عند مواقف كثيرة.

١. مجاهد مأمون ديرانية: علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ج ٥، ص ٣٥.

٢. علي الطنطاوي: ذكريات، ج ٦، ص ٩٧.

٣. علي الطنطاوي: ذكريات، ج ٢، ص ٦٠.

٤. مجاهد مأمون ديرانية: علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء، ص ١٢٦.

نجد عند الكاتب دوافع وأهداف دينية وأخلاقية نبيلة كثيرة وهي تتجلى كلما يأخذ في الحديث عن نقاط التحول والتبدل في مسيرة الأمة الإسلامية فيتضمن سيرته خطبة مباشرة أو إرشادا إلى التربية والتعليم حيث نجد فيها الحديث تحت العنوان "تعليم التلاميذ وتربية البنات"، وكما يطيل الحديث عن أخيه ناجي وسفره إلى باريس ويسهب في ذلك موضحا رأيه في سفر الشباب إلى بلاد الكفر ويذكر مدى تأثير السليبي لهذا السفر عليهم حتى أدخل في الذكريات رسالة نشرها في الجريدة "الرسالة" سنة ١٩٤٨ م موجّهة إلى أخيه ويحث فيها على الحفاظ على أخلاق الناشئين. تبرز شخصية الطنطاوي في ذكرياته بروزا واضحا لأنه ألقى الضوء على جوانبها المختلفة وتناول أبعادها المتباينة بصدق وصراحة كما أشرت إلى ذلك في الباب الأول من هذا الكتاب، وإنه يتحدث عن نفسه في كل مرحلة من مراحل عمره وقد استعمل أساليب متنوعة لذلك، فهو يقدم شخصيته مباشرة وغير مباشرة وعن طريق الحوار والفكاهة والاستطراد وحتى عن طريق السخرية أحيانا. ومن ميزته أيضا أنه يقدم صفات شخصيته إيجابا وسلبيا ويذكر ما له وما عليه ويُنَبِّه إلى تطور شخصيته ونقاط التحول في حياته ويذكر تفاصيل عن العناصر والرجال والأحداث التي عملت في تكوين شخصيته خلال السرد فمن هذه المكونات جهده في المطالعة وبعده عن اللهو كما يشير إليه عند ذكر مكتب عنبر:

"أنا لما وردت (مكتب عنبر) كنت أحمل مع الشهادة الابتدائية في يدي، ذخيرة من المعلومات في رأسي، لا يقوي على حمل أكثر منها، فتى في سني، وما ألزمتني المدرسة بها، ولا حصلتها فيها، بل جمعتها أو جمعت أكثرها وحدي من خارجها. لقد قرأت قبل (مكتب عنبر) وفي سنواتي الأولى فيه كتب لا أكون مبالغا، ولا مدعيا مغرورا، إن قلت إن في الأساتذة اليوم من لم يقرأها، ذلك أنني كنت أمضي وقتي كله، إلا ساعات المدرسة، في الدار، لم أتخذ لي يوما رفيقا من لداتي، ولا صديقا من أقراني، ولم أكن (بحكم تربيتي ووضع أسرتي) أعرف الطريق إلى شيء من اللهو الذي كان

يلهو بمثله أمثالي، فلم يكن أمامي عمل أنفق فيه فضل وقتي، وأشغل

به نفسي، إلا المطالعة.<sup>١</sup>

ولقد أشار الطنطاوي إلى العوامل التي حددت سلوكه وكونت تفكيره في مرحلة قبل مكتب عنبر أنها أربعة.

مدير المدرسة وصاحبها الشيخ عبد.

والجامع الأموي وحلقاته

ومدرسنا الشيخ صالح التونسي

ورجل عالم كان صديق أبي وأعمامي، كان قوي الشخصية، فقمها

مالكيا عظيما (وهو الشيخ الكافي)<sup>٢</sup>

أما الشخصيات الثانوية التي لها تأثير في شخصيته فهي أجداده لأبيه وأمه ومنهم الشيخ محمد الطنطاوي والشيخ أحمد الطنطاوي وخاله محب الدين الخطيب ووالده ووالدته وابنته الشهيذة وإخوته، وبعض الشخصيات الذين تلقى عنهم العلم وتأثر بهم ومنهم: الشيخ عبد السفرجلاني، والشيخ صالح التونسي، والشيخ الكافي، أبو الخير الميداني، وعبد الرحمن سلام، والشيخ المبارك، وسليم الجندي ولا سيما الشيخ بهجة البيطار الذي أحدث تحولا فكريا فيه حيث تحول بعد المناقشات معه إلى السلفية، وبعض الأدباء الذين عمل معهم كخاله محب الدين الخطيب، وأحمد حسن الزيات، ومعروف الأرنؤوط، وبعض أصدقائه مثل أنور العطار والشيخ أبو الحسن الندوي الذي أطل الكاتب الكلام عنه في آخر ذكرياته.

### عنصر الحوار في الذكريات

الشيخ علي الطنطاوي لم يستخدم الحوار في الذكريات بقدر ما اعتمد على السرد الحكائي والوصف والتحليل و ولكنه أفاد منه في مواضع شتى من الكتاب وجاء بكلا

١. علي الطنطاوي: ذكريات، ج ١، ص ١٥٩.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣.

القسمين من الحوار، الداخلي والخارجي، فالحوار الداخلي يمثل أفكار الكاتب لا سيما لأخذ العبرة من الحدث ومحاسبة النفس.

### أسلوب الطنطاوي في الذكريات

الأسلوب هو طريقة الكاتب في كتابته يقول د.التونجي:

"الأسلوب طريقة يستخدمها الكاتب لبيّن رأيه أو يعبر عن موقفه بألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعال في نفس قارئه أو سامعه، فتعرف شخصية صاحب هذا الأسلوب، وتتميز باختياره المفردات وانتقاء التراكيب لأداء أفكاره حق أداءها، والأسلوب إما سهل واضح، وإما مزخرف معقد وعبر، أما الأسلوب المعتدل فهو الذي يجمع بينهما، وتتغير سمات الأسلوب تبعاً لكل عصر، تماماً كما تتغير من شخص إلى آخر، ومن هنا قالوا إن الأسلوب هو طريقة الكاتب في التعبير عن موقف ما، والإبانة عن شخصية الأدبية المتميزة عن سواها"<sup>١</sup>

والطنطاوي له أسلوب يختلف عن الآخرين وربما هو أسلوب جديد لم يقلد فيه

أحدا قبله كما يقول:

" لا تمنعني فضيلة التواضع من ذكر حقيقة معروفة لست أدعيها دعوى، ولكني أقرها تقريراً، هي: أنني اتبعت في الكتابة أسلوباً يكاد يكون جديداً عرف بي وعرفت به، وما كان لأساتذتي الذين قرأت عليهم، ولا في الأدباء الذين قرأت لهم وأفدت منهم، من له مثله، حتى أقلده فيه وأتبع أثره، وإن كان فيهم من هو أبلغ مني، وأعلى درجة في سلم البيان"<sup>٢</sup>

١. د. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ص ٩٣.

٢. علي الطنطاوي: ذكريات، ج ٥، ص ٣١.

وهذا الأسلوب في الحقيقة نتيجة لكثير من قراءات وتجارب وتوجهات يصعب تحديدها واستيعابها وعليه طابع شخصيته ويتجلى فيه استعداده النفسي والثقافي والوجداني ولأسلوبه "أبعاد" و"نبرات" و"ميزات" و"أهداف" ومن أهدافه الوعظ والإرشاد ومن أبعاده الاستطراد والفكاهة ومن ميزاته الاستشهاد بالشعر والاعتباس من الكتب الأخرى. يقول الكاتب عن أخذه عن المنابع المختلفة:

"فمن أين قبست هذا الأسلوب الذي أكتب به؟ لم آت به ثمرة بلا شجرة، فما تكون الثمار إلا من الأشجار، ولا أوجدت شيئاً من غير شيء، فما كان موجود من معدوم إلا أن قال له الله: "كن فيكون"، وما منا إلا من تأثر بغيره وأثر في غيره، والدنيا أخذ وعطاء، وما مثالنا إلا كتاجر فتح دكانه على طريق القوافل، يوم كانت التجارة مقيضة ومبادلة، ولم تكن وجدت نقود، يمرّ به المسافرون دائماً، وكلما مرّ به أحد أخذ منه سلعة وأعطاه بدلها سلعة أخرى، وليث على ذلك أكثر من خمسين سنة، فاجتمعت عنده مئات من الأشياء من كل صنف ولون، فهل ترونه يعرف كل شيء منها ممن أخذه، ومتى أخذه، وما الذي أعطاه بدلا منه؟!

هذا مثالي ومثال من كانت حاله كحالي، ما قرأت كتابا، ولا جالست عالما ولا أديبا، ولا سمعت خبرا، ولا رأيت سرورا ولا كدرا، ولا نزلت بلدا، ولا قابلت أحدا إلا ترك في نفسي أثرا، فهل أحصي كم قرأت من الصحف، وكم لقيت من الناس، وكم رأيت من المسرات والأضرار، وكم قصدت من الأقاليم والبلدان؟!<sup>1</sup>

إن أسلوب الذكريات يمثل مرحلة نُضح الكاتب الفكري والإتقان الفني ، فإن الطنطاوي تجنّب التكلف والتصنع وتحدث عن عفو خاطره لأن الأفضل في رأيه ما

١. علي الطنطاوي: ذكريات، ج ٥، ص ٣٢-٣٣.

يقرأه الناس بلا تعب والأسوأ الذي يتصنع الكاتب فيه فيُتعب نفسه والقارئ بقراءته، ويمكن وضع أسلوب الطنطاوي ضمن دائرة الأساليب السهلة الممتنعة، لأنه سهل من حيث ادراك مضامينه ولكن محاكاته والنسج على منواله صعب وعسير، نجد سهولة الأسلوب في المفردات والتراكيب فإنه يختار الكلمات المألوفة الشائعة وكذلك من التراكيب التي تكون واضحة والمفردات والتراكيب التي نشعر بها غرابة يأتي بها لأجل التعليم وإصلاح لغة الناس وقد قام إبراهيم مضواح الألمي فاختر فوائد لغوية من حواشي كتب الطنطاوي وجمعها في الكتاب بعنوان "روائع الطنطاوي" قال في استهلاله:

"وما هذه المختارات إلا قطرات من بحر الطنطاوي الزاخر بالمعرفة الموسوعية، فهو أستاذ للفقيه، والمؤرخ، واللغوي، والأديب، والمفكر، إنه أشبه ما يكون بجامعة، هو أستاذها، وكتبه مقرراتها، وقراءه طلابها...ولعل هذه المفردات تكون زادا للمتأدب، وبداية للعناية بفصاحة اللسان، في زمن اشتد زحف اللهجات العامية عبر وسائل الإعلام، المرئية والمسموعة والمقروءة".<sup>١</sup>

## خاتمة

يختلط الوصف والسرد والحوار في كتابة الطنطاوي غير أنه يكثر في السرد والوصف ويقل في الحوار. والاستطراد صفة مميزة وسمة بارزة لأسلوب الطنطاوي في جميع أجزاء الكتاب ويعترف به الكاتب ويعتذر إلى القارئ لأنه يخرج من سياق الكلام أكثر فأكثر ويرجع سبب الاستطراد إلى الكتب العربية القديمة ولا سيما الإمام السبكي في "طبقات الشافعية" وكتب الجاحظ وغيرهما كما قال الطنطاوي:

"أنا أعرف أن من عيوب الاستطراد، ولكني لا أملك التخلص من هذا العيب، ولعله من أثر إدمان النظر في الكتب العربية القديمة، كتب

---

<sup>١</sup> . إبراهيم مضواح الألمي: روائع الطنطاوي، جدة، دار المنارة، ط ١، ٢٠٠٠، بين يدي المختارات ومقدمة.

شيخنا الجاحظ ومن نحا منحاه واتبع أثره، وأنا عاكف على هذه الكتب  
أنظر فيها لا أفارقها من يوم تعلمت القراءة وأنا ابن عشر سنين إلى أن  
جاوزت الثمانين"<sup>١</sup>

ومع هذا كله يعدّ الطنطاوي الاستطراد عيباً لأنه يبعدنا عن الموضوع المطروح  
بالانحراف إلى التفاصيل التي لا تتعلق به مباشرة ومهما يكن من الأمر فهذه التفاصيل  
المزيدة لا تخلو من الفائدة للقارئ.

فهذا الاستطراد يعمد إليه الكاتب لأجل إمتاع القارئ وإفادته ولو لم يستخدم  
الكاتب هذا الأسلوب لفاته شيء كثير من ذكرياته حيث لا يذكر بعض التفاصيل  
والقصص والأحداث منعزلة عن الأحداث الأخرى لغياب السياق.

#### المصادر والمراجع

١. علي الطنطاوي: ذكريات علي الطنطاوي (ثمانية أجزاء)، دار  
المنارة، جدة.
٢. علي الطنطاوي: رجال من التاريخ (جزءان)، دار المنارة، جدة، ط  
٨، ١٩٩٠م.
٣. علي الطنطاوي: صور من الشرق في أندونيسيا، دار المنارة، جدة،  
ط ١، ١٩٩٤م.
٤. علي الطنطاوي: مع الناس، دار المنارة، جدة، ط ٣، ١٩٩٦م.
٥. علي الطنطاوي: مقالات في كلمات (المجموعة الثانية)، دار المنارة،  
جدة، ط ١، ٢٠٠٠م.
٦. ص إبراهيم مضواح الألمي: روائع الطنطاوي روائع من أدبه وفوائده  
من كتبه، دار المنارة، جدة، ط ١، ٢٠٠٠م.
٧. ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٢م.

<sup>١</sup> علي الطنطاوي: ذكريات، ج ٨، ص ٢٨٧.

٨. إحسان عباس: فن السيرة، دار الشروق، عمان، ط ١، ١٩٩٦ م.
٩. أحمد الجذع: معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، دار الضياء، عمان، الأردن.
١٠. أحمد العلاونة: فهارس ذكريات علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط ٢، ٢٠٠٠ م.
١١. أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٦، ٢٠٠٠ م.
١٢. رائد السمهوري: علي الطنطاوي وأعلام عصره (سيد قطب وآخرون- صداقة خصومة- نقد)، دار مدارك للنشر، ط ١، ٢٠١٢.
١٣. سعيد علي المرسي: مختارات من مؤلفات الشيخ علي الطنطاوي، صحبة نت.
١٤. سليمان بن صالح الخراشي: الطنطاوي في الميزان...، دار القاسم للنشر، الرياض.
١٥. عابدة العظم: هكذا ربّانا جدّي علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ١٩٩٨ م.

## الأفلام الشهيرة المنتجة حول أعمال يوسف إدريس

د. آصف أحمد كمار<sup>١</sup>

### ملخص

يعتبر السينما أيسر الطرق لتثقيف الجمهور وتربيتهم وإيصال تجارب الحياة إلى عامة الشعب وخواصهم. ومن الحقائق الثابتة أن الصور المتحركة الحيوية تترك آثارا بعيدة المدى على نفوس الجمهور. فالرؤية يكون أبلغ من المسموع أو المقروء، فأصبحت السينما ظاهرة العصر وأصبحت أهم وسيلة الترفيه عبر العالم وقد ساعدها التكنولوجيا الحديثة. فظهرت كثير من الأفلام حتى يتمكن بها من نشر الوعي بين الأشخاص حول حقوق الإنسان والتعليم والتسامح بين الناس وتمكننا على التعامل مع قضايا مختلفة مثل حقوق الإنسان، وعمالة الأطفال، والمرأة العاملة، وحب الوطن، ومكافحة الفساد، والرشوة وما إلى ذلك. أما السينما العربية فقد نشأت وترعرعت في مصر ووجدت قبولا كبيرا عند الجمهور. ومن أهم سمات السينما العربية المصرية أنها ظهرت روايات وقصص عديدة للأدباء البارزين على الشاشة فقد قام في إخراجها في صورة الأفلام كثير من الفنانين الكبار. وفي هذه المقالة سأذكر بعض روايات والقصص ليوسف إدريس ومساعي المخرجين في تحويلها إلى أفلام.

الكلمات المفتاحية: يوسف إدريس، الأعمال الشهيرة، الأفلام السينمائية، الوعي

الاجتماعي والسياسي.

بدأ تاريخ السينما المصرية في أواخر القرن التاسع عشر للميلادي ١٨٩٦ م، وكان أول عرض سينمائي بالإسكندرية وكان فيلما فرنسيا قصيرا، ثم تطورت السينما المصرية بأشكالها المتنوعة وانتقلت منها إلى القاهرة حيث بدأت المرحلة الجديدة في

<sup>١</sup> المحاضر المتعاقد في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

تاريخها<sup>١</sup>. وكانت أهم تجربة في السينما في مرحلتها الابتدائية هي فيلم "زينب" الذي أخرجه على السينما المخرج الشهير محمد كريم. كان محمد كريم من أهم المخرجين في تاريخ مصر السينمائي درس هذا الفن في ألمانيا وخلال دراسة السينما قرأ رواية زينب لمحمد حسين الهيكل فأعجبه هذه القصة وتأثر بها تأثرا كثيرا وأراد إخراجها على الشاشة وحقق حلمه وقام بتحويلها إلى فيلم عندما عاد إلى مصر سنة ١٩٢٦م، وعرضها في السينما وسجل بذلك بداية العلاقة بين السينما والأدب في مصر<sup>٢</sup>.

اشتهر المخرج محمد كريم في العالم السينمائي وحصل على العديد من الجوائز ومن أهمها جائزة الدولة من الإنتاج والإخراج عن فيلم "جنون الحب" كما نال وسام الدولة في الفنون في عام ١٩٦٣م.

ثم ظهرت على الشاشة أعمال كثيرة للأدباء الكبار وأتيحت للسينما المصرية فرصة كاملة للتطور وإرساء قواعدها الفنية ثم ازداد عدد الأفلام في السينما ودخل إليها الأغاني واستمر هذا الوضع حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢م، التي دخلت بعدها السينما المصرية في المرحلة الدقيقة وكانت هذه المرحلة مليئة بالقلق وعلى الرغم منها قدمت في هذه الفترة الأفلام الواقعية والوطنية، كما يشير إليه جلال الشراقوي في مقالته قائلا:

"قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وأحدثت تغيرا اجتماعيا كبيرا وأنشئت وزارة الثقافة مؤسسة دعم السينما. وانعكست أحداث هذه الفترة وما صاحبها من تغيرات اجتماعية في بعض الأفلام وظهرت هذه الأفلام عن الاستعمار الإنجليزي"<sup>٣</sup>.

١. جلال الشراقوي، تاريخ السينما المصرية، مجلة الهلال، العدد ١١١، ١ نوفمبر ١٩٦٦م، ص ٣٨

٢. رجاء النقاش، أدباءنا والسينما من زينب إلى الطريق، مجلة الهلال، العدد ١٠٠، ١ أكتوبر ١٩٦٥م، ص ٢٠-٢١

٣. جلال الشراقوي، تاريخ السينما المصرية، مجلة الهلال، العدد ١١١، ١ نوفمبر ١٩٦٦م، ص ٤٤

وبعد هذه الثورة ظهرت الأعمال الأدبية الكثيرة للروائيين العرب البارزين إلى الفيلم السينمائي، ومن المعالم البارزة في هذه المرحلة الظهور على الشاشة قصص الأدباء البارزين مثل "ظهور الإسلام" و"دعاء الكروان" للدكتور طه حسين، و"درب المهايل" و"بداية ونهاية" و"زقاق المدق" لنجيب محفوظ. وكذلك ظهرت قصة "إني راحلة" و"رد قلبي" و"بين الأطلال" و"أم رتيبة" ليوسف السباعي، و"الرباط المقدس" لتوفيق الحكيم، و"الناس اللي تحت" لنعمان عاشور، كما ظهرت قصة "وا إسلاماه" لعلي أحمد باكثير و"لا وقت للحب" ليوسف إدريس، و"غصن الزيتون" و"شمس لا تغيب" لمحمد عبد الحليم عبد الله<sup>١</sup>.

وأما أعمال يوسف إدريس الشهيرة التي ظهرت على الشاشة فقد قدمت في أول وهلة روايتيه الشهيرتين وهما الحرام، والعيب، ثم ظهرت ثلاثة أفلام مبنية على ثلاث روايات قصيرة له وهي فيلم "لا وقت للحب" عن رواية "قصة حب"، و"قاع المدينة" ثم ظهر فيلم "حلاوة الروح" عن رواية العسكري الأسود، وتابعتها أربعة أفلام عن قصص قصيرة وهي "حادثة شرف، والنداهة، و"على ورق سيلوفان"، و"العسكري شبراوي" وأما الأخير فأخرج عن قصة "مشوار"<sup>٢</sup>. كان يوسف إدريس أديبا بارزا ومنفردا بين معاصريه ترك آثارا مؤثرة في كل فن من الفنون الأدبية واستطاع في كل مجال أن يعبر عن الناس تعبيرا صادقا فنيا. وإنتاجاته الأدبية فتحت بابا جديدا في تاريخ الأدب العربي الحديث. قدم في أدبه عالما متكاملا للحياة المصرية وصور المجتمع صورة واقعية وعبر عما كان يدور حوله من التحولات لأنه عاصر وعایش فترة التحولات السياسية والاجتماعية في مصر، شهدت أعماله رواجاً كبيراً بين المثقفين ولذا نجد أن بعض أعماله الشهيرة حولت إلى الأفلام وقدمت على السينما في مختلف الأدوار، وهذه الأفلام

١. جان الكسان، السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت

١٩٨٢م، ص ٥٥

<http://www.hayatweb.com/article/154146><sup>٢</sup>

ساعدت في معالجة القضايا المختلفة. فكان لها دور حيوي في تشكيل مجتمع جيد لتطوير حياتنا وتحريكه على الطريق الصحيح، لأنها تحاول دائما أن تقترب من الحقيقة وعواملها في المجتمع الإنساني. فكانت هذه الأفلام أفضل وسيلة لنشر الوعي في المجتمع الحديث سواء كان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا. والآن أنا أذكر بعض الأفلام الشهيرة التي أخرجت عن أعمال يوسف إدريس وظهرت على السينما وتركت أثارا قوية في حياة الناس.

### فيلم "لا وقت للحب"

هذا الفيلم أول الأفلام المنتجة حول أعمال يوسف إدريس، أخرجته أبوسيف عن رواية "قصة حب" وهي أول روايات يوسف إدريس التي ظهرت على الشاشة، حولها صلاح أبوسيف لفيلم سينمائي باسم "لا وقت للحب" وأخرجها للسينما في عام ١٩٦٣م بمساعدة أحمد السبعواوي، والفيلم يحكي عن فترة المقاومة والكفاح الشعبي المسلح ضد الاحتلال الإنجليزي في منطقة القناة، ويصور تلك الأحداث التي أدت بعدما إلى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م والتي غيرت مسار الحياة السياسية في مصر. وكتب لها سيناريو لوسيان لامبير، ومن الممثلين لهذا الفيلم: رشدي أباطة، وفاتن حمامة، عصمت محمود، وصلاح جاهين<sup>١</sup>.

وأما الرواية فكتبها يوسف إدريس وجسد فيها حياة صديقه الدكتور حمزة البسيوني وجعله بطلا حقيقيا لهذه الرواية الذي قام بالمقاومة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني واشترك في الكفاح المسلح من أجل تحرير الوطن. كان حمزة معتقلا مع يوسف إدريس فحكي له ما حدث فأعجب يوسف إدريس بحكايته ووعده بأن يحولها في الرواية ثم بعد بعض سنوات من نشرها تحولت إلى فيلم سينمائي.

### فيلم "الحرام"

هذا الفيلم يحتل مكانة متميزة بين أفضل الأفلام في تاريخ السينما المصرية. أخرج

<sup>١</sup> <https://www.marefa.org> / لا\_وقت\_للحب\_(فيلم)

هذا الفيلم عن رواية الحرام وظهرت على الشاشة عام ١٩٦٥م. وقد أخرجه هنري بركات وكان هذا الفيلم من أبرز أعماله في السينما إلى جانب فيلم "دعاء الكروان"، وأما فيلم الحرام فيعد من أفضل الأفلام المأخوذة عن روايات وقد نجح مخرجه أن يحافظ على جوهر الرواية كما قام بتقديم العمل السينمائي الفني المتكامل. كتب السيناريو والحوار لهذا الفيلم الكاتب المخضرم "سعد الدين وهبة"، صاحب سكة السلامة والذي استطاع بذلك أن ينقل روح النص. ينتمي هذا الفيلم إلى مدرسة الواقعية الاجتماعية ويهتم بالطبقة الكادحة من العمال والفقراء.

يبدأ الفيلم مثل الرواية باكتشاف جثة طفل حديث الولادة، ثم يعرف فكري أفندي هذا الخبر ويريد أن يتعرف على أم الوليد، وظل يبحث عن تفاصيل الناس وحتى عامة الناس. وبدأ يشك في الناس الذين كانوا يأتون إلى قرية للعمل وكانوا أكثر الناس فقرا، وهكذا تابع الفيلم الرواية في بناءها وموضوعها.

والمخرج هنري بركات خرج بالفيلم إلى أماكن طبيعية ورصد فيها حياة طبقة الفقراء المطحونين، وهذا الفيلم يعطينا سجلا للحياة اليومية في قرية صغيرة ويعكس تصوير البطلة ومعاناتها في المجتمع. فيحكي هذا الفيلم عن قصة عزيزة تمثلها بطلة هذا الفيلم "فاتن حمامة"، تلك الفلاحة الفقيرة والتي تتحمل قدرا كبيرا من الضغوط النفسية والاجتماعية والمعيشية في سبيل لقمة العيش لكي تقوم بإطعام عائلتها والفيلم يرصد أيضا ذلك السقوط الأخلاقي من خلال سقوط عزيزة. السقوط الذي يقع في إطار العلاقات السائدة في الريف، اقتصادية كانت أم اجتماعية. وبطلة الفيلم فاتن حمامة اكتسبت شهرة فائقة حتى وصلت إلى مرتبة النجوم العالميين<sup>١</sup>.

وأما الرواية فتتناول الموضوعات الهامة وتلقي ضوءا على المشاكل والأمراض الاجتماعية المختلفة مثل الفقر والظلم وغياب العدالة الاجتماعية والنفاق. وكل هذه القضية تظهر في الناس بسبب نظامهم الاجتماعي الناقص كما تصورها هذه الرواية في

١. <http://www.hayatweb.com/article/154146>

### فيلم "العيب"

هذا الفيلم "العيب" واحد من الأفلام القليلة التي أخرجها للسينما جلال الشرفاوي المخرج المسرحي الشهير. فأخرجه عن رواية "العيب" وهذه الرواية ليوסף إدريس وجدت طريقها إلى السينما عام ١٩٦٧م، وأعد له السيناريو رمضان خليفة الذي كتب أيضا سيناريو فيلم "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي، وأما الحوار فكتبه يوسف إدريس بنفسه في تجربة لم يكررها ثانية في الأعمال المأخوذة عن أدبه<sup>١</sup>.

فحولت هذه الرواية إلى الفيلم السينمائي بعد سنوات قليلة من نشرها. بطولة هذا الفيلم هي الممثلة لبنى عبد العزيز التي تلعب دور سناء في هذا الفيلم، وحاول هذا الفيلم أن يصور مأساة الموظفة التي عينت كاتبة في الإدارة الحكومية وكانت تعمل بين الرجال، وهذه المرأة الفاضلة أصبحت فاسدة بسبب تحريض الذكور من حولها ويصور الفيلم مرحلة نقل الإنسان من الفضيلة إلى الرذيلة كما يصور التحديات التي تواجهها النساء العاملات بين الرجال.

### فيلم "حلاوة الروح"

إن رواية "العسكري الأسود" رواية سياسية شهيرة التي حولها إلى الفيلم السينمائي المخرج أحمد فؤاد باسم فيلم "حلاوة الروح". وفي هذه الرواية القصيرة نلتقي بالدكتور شوقي صاحب الشخصية المركبة في انتكاستها من التمرد إلى الاستكانة، ومن إنكار الذات والتضحية إلى الابتزاز وطلب الرشوة. وهو يتمثل المثقف الذي تحطم بفعل سلطة غاشمة تقمع من يخالفونها، وهي الرواية التي وصفها النقاد بأنها "أصدق عمل أدبي مصري عن اضطهاد أصحاب الرأي" وقدم الفيلم وجهين للسلطة متمثلة في رجال البوليس السياسي وتطرق إلى الحياة الشخصية والعائلية لكبار رجال البوليس السياسي دون هدف درامي ومتحولا إلى مجرد ثرثرة تبتعد عن الهدف الأساسي

<sup>١</sup> . <http://www.hayatweb.com/article/154146>

للقصة<sup>١</sup>.

وأما الرواية فصور فيها المؤلف التعذيب والإرهاب على المعتقلين السياسيين في السجون العربية وجاءت قصته دعوة لإيقافه وتحذيرا حارا بأن التعذيب لا يدمر الضحايا وحدهم بل يدمر ويخرب جلاذيتهم قبلهم ومعهم، وكان من الناحية الأخرى إعلانا عن تعاطف المؤلف مع رفاقه القدماء المضطهدين.

### فيلم "قاع المدينة"

أخرجه للسينما المخرج الشهير حسام الدين مصطفى عن القصة القصيرة "قاع المدينة"، فهذا الفيلم يحمل نفس الاسم. وأما القصة فهي تتناول علاقة القاضي "عبد الله" الثري الأعزب العاجز جنسيا مع الخادمة "شهرت"، يتراءى للقاضي أن شفاهه لن يكون إلا على يدي "شهرت" أعلى جسدها، فهذه القصة عن الجنس باعتباره موضوعا يمكن أن يكون محل تفسير نفسي واجتماعي.

### فيلم "النداهة"

أخرج حسين كمال فيلم النداهة للسينما وأعد له السيناريو "عاصم توفيق" و"مصطفى كمال". وأما القصة فهي قصة شهيرة ليوסף إدريس من مجموعة قصصه التي تحمل نفس الاسم "النداهة" ونشرت عام ١٩٦٩ م.

### خاتمة

وهكذا وجدنا أن المخرجين الكبار قاموا بتحويل بعض الأعمال الرائعة إلى الأفلام السينمائية وقدموها على الشاشة لتخليص المجتمع من الفساد الأخلاقي وتدعيم القيم الاجتماعية ومعاييرها، كما عالجت هذه الأفلام بعض قضايا اجتماعية وسياسية وقامت بإدانة الاستعمار وإنهاض المشاعر القومية العربية بدرجات مختلفة وكان هذا اتجاها جديدا في السينما العربية في تلك المرحلة. وهكذا تحيي لنا هذه الأفلام التاريخ

<sup>١</sup>. يوسف-إدريس-ظلمته-السينما-حيًا-وميثًا/ <https://middle-east-online.com>

السياسي والاجتماعي للأمة العربية منذ الأزمنة الغابرة وتفصل لنا الأحداث التي كانت لها آثارا بالغة في ذاكرة القوم غير أنها بقيت معقودة. وكذلك تعطينا هذه الأفلام الوعي عن حقوقنا وواجباتنا، وهي تبعث الشعب ضد الشرور والسيئات كما أنها تقوم بحل القضايا المختلفة. ولا شك أن هذه الأفلام حققت نجاحا كبيرا وأصبحت أفضل نماذج السينما المصرية حينذاك.

## المصادر والمراجع

١. أبو عوف، عبد الرحمن: يوسف إدريس وعالمه في القصة القصيرة والرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م.
٢. إدريس، يوسف: الحرام، مكتبة مصر القاهرة.
٣. إدريس، يوسف: العسكري الأسود، مكتبة مصر القاهرة.
٤. إدريس، يوسف: العيب، مكتبة مصر القاهرة.
٥. إدريس، يوسف: جمهورية فرحات، الأعمال الكاملة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار الشروق البيروت والقاهرة.
٦. إدريس، يوسف: قصة حب، الأعمال الكاملة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار الشروق البيروت والقاهرة.
٧. البشري، طارق: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٣، دار الشروق القاهرة، طبعة ثانية جديدة ٢٠٠٢م.
٨. جان الكسان، السينما في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٢م
٩. جلال الشرقاوي، تاريخ السينما المصرية، مجلة الهلال، العدد ١١، ١ نوفمبر ١٩٦٦م
١٠. الرفاعي، عبد الرحمن: مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

١١. رجاء النقاش، أدباءنا والسينما من زينب إلى الطريق، مجلة الهلال، العدد ١٠، ١ أكتوبر ١٩٦٥ م
١٢. الطيار، رضا: الرواية العربية في السينما، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والأعلام ١٩٨٣ م.
١٣. عطية، أحمد محمد: الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٨١ م.

## تمثيل المعاناة الجسدية والنفسية في قصص يوسف إدريس

### قصة " ٥ ساعات " نموذجاً

شفاغت فاروق ريش<sup>١</sup>

ملخص

الملخص:

مارس الأديب الكبير يوسف إدريس الطب لفترة من الزمن فلا غرو أن بصمات مهنة تنعكس في كثير من قصصه فهي تدور عادة حول المستشفى وتصور العلل والتشوهات بطرق شتى، فيرتبط عدد غير قليل من شخصياته بمهنة الطب كجراحين أو أطباء أو ممرضات. ونرى أن المؤلف مرتبط في الجزء الأكبر من أعماله بالحياة العقلية لشخصياته. يركز الكاتب على هذا الجانب بتفصيل كبير خلال تحديد المواقف التي يعاني فيها جسم الإنسان الذي يحس الألم حتى يصيبه أحياناً ضغط الدم. كذلك يعمل بعض المواقف عند المؤلف على أحداث التغيير في الشخصيات عندما تشهد معاناة الآخرين فتنشأ فيهم العواطف الإنسانية الحنانة. يهتم يوسف إدريس أيضاً بنفسية الإنسان وأسباب أصابته بالجنون. ساعدته مزاولاته في دراسة الذكاء البشري.

الكلمات الدلالية: يوسف إدريس، القصة القصيرة، المهنة الطبية، المعاناة

الجسدية والعقلية.

مقدمة

يعتبر يوسف إدريس أحد أشهر الكتّاب والصحافيين العرب في القرن العشرين،

---

١ باحث الدكتوراه، في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر كشمير.

فهو أديب متمكّن من فنّه، وقامته سامقة في دنيا الأدب العربي الحديث، فهو فتان وكاتب مصري ومناضل وطني، وقاص ومسرحي وصحفي مصري، فقد كانت أعماله الأدبية من قصص قصيرة وروايات متجذرة في عمق الثقافة العربية والمصرية، ولد هذا الكاتب الكبير ١٩٢٧ م في قرية البيروم من المحافظة الشرقية بمصر.

وقد استوعب يوسف إدريس، كما استوعب غيره من المفكرين والأدباء أفكارا مضطربة حول الحرية والاستقلال. وقد بدأت اهتماماته الوطنية، والفكرية مبكرا، وعلى حد تعبير د. محمد الجوادى: "إن شأن يوسف إدريس شأن كل المثقفين والمهنيين المصريين من جيله، قاسى من كل ما قاسى منه جيل كامل من ظروف لم تكن قاهرة وقاسية فحسب، بل أنها كانت سريعة التقلب والتبدل، ومن الملاحظ قد أصابته هذه الظروف بحزمة من الأمراض العضوية وحزمة أخرى من الأمراض النفسية، ومن الحق أنه صارع هذه الأمراض بكل قدرة له على المجاهدة وبكل رغبة له في الحياة".<sup>١</sup> وأن المجتمع المصري بقي أقرب إلى قلبه في كل مرحلة من مراحل الدراسة ثم التدريس والكتابة ومن هنا تتمحور معظم أعماله حول حركة المجتمع في تطورها ونموها وتقدمها، كمجموعات قصصه القصيرة والروايات والمسرحيات ولكن من بين هذه الأعمال اكتسبت مجموعات قصصه القصيرة مكانة مرموقة وحظيت بالتقدير الكبير بين الأوساط الأدبية.

### رحلته الأدبية

يعتبر عام ١٩٥١ م نقطة التحول في حياة يوسف إدريس الأدبية حين أنهى دراسة بكلية الطب، تابع تدريبه الطبي كطبيب مقيم في مستشفى القصر العيني، وفي نفس الوقت، قد بدأ يخصّص نفسه جديا للكتابة الإبداعية. وفي عام ١٩٥٢ م، في شهر سبتمبر، التحق بهيئة تحرير مجلة "التحرير" اليسارية، وكان أحمد حمروش يرأس تحرير المجلة ويؤكد أن انطلاقة يوسف إدريس الأدبية جاءت مع سنة ١٩٥٣ م، بعد

١ د. محمد الجوادى "يوسف إدريس الذي عاش السياسة في معطف الفنان الأزرق" ١٥-١٠-٢٠١٩

أن عين كمحرر بجريدة المصري، واسعة التأثير والانتشار، من جانب أحمد أبو الفتح، الذي كان رئيس تحرير لنفس الجريدة. وفي نفس العام، قد "أصبح مسؤولاً عن القسم الأدبي بمجلة "روزاليوسف"<sup>١</sup>.

وبالإضافة إلى ذلك قد ساهم في حركة الدفاع للأمن بصورة فعالة حتى ترأس الوفد المصري في عام ١٩٥٣م، الذي ذهب إلى فيينا للمشاركة في مؤتمر الأمن. ومع ذلك "عندما داوم ممارسة الطب، وبمرور السنوات تم تعيينه في وظائف حكومية متنوعة"<sup>٢</sup>. وقد عمل كمستشار طبي في القاهرة للإدارة المحلية في القاهرة، ثم بعده قد استخدم كمسؤول طبي في محافظة القاهرة، وكان مسؤولاً عن خدماته الطبية في ورش الوزارة، وفي وزارة الأشغال العامة. وقد عين مفتشاً صحياً في مناطق مختلفة من القاهرة الكبرى في السيدة زينب والدرب الأحمر، وفي حلوان، التي هي المنطقة الصناعية الجنوبية من المدينة.

وكذلك قد استخدم خدماته كمحرر ثقافي لجريدة "الجمهورية"، وهكذا بازدياد لهذه الأعمال، إنه "كان فائزاً على منصب المستشار الثقافي للمؤتمر الثقافي للأمن العام، واحتل عدداً من المناصب"<sup>٣</sup>، مثل مستشار ثقافي بمؤسسة الأهرام وكبير قطاع المسرح، وكان رئيساً لجمعية نقاد المسرح والكتاب، كما عمل كوكيل لنقابة الصحفيين. وأنه ظل مهتماً بالسياسة، وفي شهر أغسطس عام ١٩٥٤م، توجه يوسف إلى عبد الناصر باللوم على تفاوضه من أجل الاتفاق على مستقبل القاعدة البريطانية في منطقة القناة. وقد أصدر عبد الناصر الحكم ضده، وقد قبض عليه، وأدخله في السجن وظل مسجوناً حتى شهر سبتمبر عام ١٩٥٥م.

---

<sup>١</sup> حديث شخصي، يونيو ١٩٧٨ نقلاً عن "الإبداع القصصي عند يوسف إدريس" ترجمة وتقديم رفعت سلام ص ٥٠.

<sup>٢</sup> غالي شكري "يوسف إدريس" حوار، ص ٤٣ ديسمبر ١٩٦٥م

<sup>٣</sup> ب- م كرير شويك. ترجمة وتقديم رفعت سلام "الإبداع القصصي عند يوسف إدريس" ص ٥٢ وما بعدها

والجدير بالذكر أن الكاتب ترك الطب من أجل الكتابة. أدرك تاريخها، وفطن إلى أساليب كتّابها العالمين، وتلقت إلى زوايا لم يتلفت إليها الكتّاب الآخرون، واختار لصياغتها أسلوباً فنياً جمع خيوطه من طريقة الحكيم التي يستخدمها الإنسان المصري، وكان أخذ اللغة بناصيتها و اجترأ في استخدامها، فقد شغل القراء والنقاد والكتّاب، منذ بدأ ينشر قصصه في الصحف والمجلات، وأن قصصه القصيرة، بدأت في الظهور سنة ١٩٥٠م مع قصص أبناء جيله، وقصص الرواد الذين سبقوه، وعندما نفكر في حياة يوسف إدريس الذاتية وشخصيته الأدبية، نشاهد أنه كان ابن البيئة المصرية الشعبية، ومرت هذه البيئة بالكثير من التغيرات والتبدلات، وكان من أبرز الذين دعوا إلى معتقدتهم بقوة، ونشروه بمحاولاتهم، بوسائل مختلفة، وطرق متنوعة مقروءة كانت أو مسموعة، وإنه يبين في أدبه آثاراً مضت تاريخياً بكل ما تحمل من أفكار وعقائد وقيم إنسانية ويقدم لنا سيراً، وأحداثاً كان لها وجوداً وأثراً.

ويعد يوسف إدريس كأبرز كتّاب القصة القصيرة في الستينيات، وكان منطلقه ثورياً تقدمياً، ورؤيته الفنية كانت شاملة، كما كان يلتزم لكاتب القصة القصيرة أن تكون عنده رؤية خاصة خلال كتابة القصة القصيرة وحتى أنه أي يوسف إدريس حقق قصته هو برؤيته ونظرتة للعالم مما جعله أبرز كتّاب القصة العالمية. وهكذا كانت كتاباته مرتبطة بإنسان المجتمع المصري، وترافق قصصه القصيرة حركة المجتمع في نموها وتطورها وتقدمها. وحسب قول الدكتور طه وادي "ونستطيع أن نلخص تجربة إدريس في أنه قد تمكّن من أن يطهر بناء القصة من التثيرة والحشو، كما برع في اختيار اللحظات التي تعبر عن موقف في حياة إنسان بسيط، لم يفقد أمله في الحياة- رغم شقائه بها، ومن ثم فإن القصة عنده: لدغة عقرب. . موجعة ومؤثرة. . وذات علاقة وثيقة بحياة كثير من الشخصيات المسحوقة في المجتمع التي لم يستطع الفقر المادي والقهر الاجتماعي أن يمحو ما فيها من بعد إنساني".<sup>١</sup>

<sup>١</sup> الدكتور طه وادي " القصة ديوان العرب قضايا ونماذج، ط ٢٠٠١، ص ٧٨

وعلى حد تعبير د. سيد حامد النساج "إن قصص يوسف إدريس أثارت حولها الجدل والحوار، واستطاعت أن تؤثر في جيل كامل من الكتاب الشباب، ولعلها أثرت في أبناء جيله أيضا"<sup>١</sup>. وينتسب معظم أبطال قصصه إلى شرائح اجتماعية فقيرة ماديا وثقافيا مثل عمال التراحيل، وصغار الفلاحين والطلبة والعمال في قاع المدينة أو مجتمع القرية. وأن الكاتب يمتلك رؤية أدبية فكرية، ما امتلك أحد من معاصريه أو حتى من الذين سبقوه، من حيث كان مدركا ومظاهرا للوجود الإنساني، والحقائق التي تتعلق بالإنسان، وقد حاول في بلده ليخرج المهمشين من ظلام الهامش ووضعهم في عمق المشهد كأبطال حقيقيين وفاعليين في المجتمع. وتوضح لنا هذه الحقيقة حسب قول الروائي الدكتور بهاء عبد المجيد: فيقول "إن يوسف إدريس عبر عن الوعي القومي وصنع من القصة القصيرة فناً شعبياً، مضيافاً وكلّ قارئ لقصصه يجد هممه فيها، وكان يألم عن الشعب العربي، وكان ذلك لعمق كتابته التي عبرت عن الواقع الاجتماعي والإنساني"<sup>٢</sup>. وبعد الذكر هذه اللقطة الموجزة من محطات حياة الشخصية والأدبية للكاتب يوسف، ينكشف لنا تسييق ما سنخوض في غماره من تحليل دراسي لأهم إنجازاته الأدبية قصة " ٥ ساعات" القصيرة بشيء من التفصيل ودراسة هذه القصة القصيرة من الناحية الفنية والجوانب الإبداعية، مركزاً القول على تمثيل معاناة العقلية والجسدية للقصة ثم متطرقاً إلى دراسة وجيزة لأسلوبه الأدبي والفني.

### قصة "٥ ساعات" القصيرة:

تتناول قصة " ٥ ساعات" معاناة الجسم البشري وتأثير ذلك على الآخرين. وهذه القصة نشرت ضمن مجموعة القصص القصيرة "أرخص ليالي"<sup>٣</sup>. وهذه القصة مليئة

<sup>١</sup> جماعة من الأساتذة، الأدب العربي الحديث للصف الثالث الثانوي، ومنه "القصة القصيرة العربية، ل- أ. د. سيد حامد النساج، ط ١ ١٩٩١-٩٢، ص ٢٠٩

<sup>٢</sup> مجلة "روز اليوسف" اليومية: العدد السابع، ٢٠ مايو ٢٠١١

<sup>٣</sup> هذه المجموعة القصصية الأولى للكاتب يوسف إدريس نشرت ١٩٥٤م

بالدم، والأمل، واليأس، واختراق الآخر، وعنوان القصة يشير إلى الساعات التي حاول فيها الكاتب، هو يوسف إدريس نفسه، إسعاف ضابط أصابته ثلاث رصاصات، وهو يأتي إلى القصر العيني، واغتالوه واحد ضابط في الروضة.

وتقدم هذه القصة معالجة لحادث شخصي، وتعبّر عن محاولة الراوي اليائسة لإنقاذ حياة عبد القادر طه المناضل السياسي الذي قتل غدرا على يد البوليس السري للملك فاروق، ونقل إلى مستشفى "القصر العيني" حيث توفي بعد خمس ساعات من وصوله إلى مستشفى المذكور. وهكذا تبدأ القصة من لحظة وصول سيارة الإسعاف حاملة الضابط المصاب، من حيث كانت لحظة مدهشة مزقت فيها سكون المستشفى بالقصر العيني كله صرخة مدوية طويلة صادرة من الأدوار العليا. فيصور الكاتب عن تلك اللحظة الخطيرة قائلا:

"وفجأة.. دق جرس الإسعاف..

دق في قصر مرتفع مبثور..

ولهذا الدق عند كل الناس معنى، معنى يحمل في طياته رهبة تشرخ قلوبهم، ورعشة تنتفض لها أعصابهم، فإنه يعني إنسان يموت أو سيموت".

"وقبل أن استعيد نفسي، انساب (الترولي) إلى الحجر في نفس اللحظة التي مزقت

فيها المستشفى كله صرخة مدوية طويلة صادرة من الأدوار العليا.

" وغادرت المقعد في لهفة وانكبت على الجريح أراه وأرى النار التي أتت

عليه. والحق أنني لم أر ما حدثت رؤيته، فقد كان الرجل يرقد في ثقة

وقد أسبل عينيه وشبك ذراعيه فوق صدره وزم شفثيه واسترعتني

ملاحمه.. كانت فيها مصرية.. مصرية من ذلك النوع الذي يوقظ فيك

مصريتك ويجعلك تعشقها من جديد"<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> قصة ٥ ساعات، من مجموعة أرخص ليالي، ص ٨٩-٩٠.

وعلى حد تعبير الدكتور السعيد الورقي "وقصة ٥ ساعات تبدأ من لحظة وصول سيارة الإسعاف حاملة الضابط المصاب، ثم تتطور اللحظة بعد ذلك وصولاً بالموقف إلى نهايته في ترتيب منطقي قلما تحدث فيه وقفات، وإذا حدث فارتداد بسيط بالذاكرة من خلال الراوي، كما في قصة "الشهادة" عندما شاهد الراوي أحد مدرّسيه في المرحلة الثانوية فارتد يراجع في ذاكرته ما ظلّ بها من ذكريات عنه".<sup>١</sup>

وحين يصل هذا الرجل المصاب إلى المستشفى القصر العيني، يستأنف التناقض الدرامي، الذي تكون في الفقرات الأولى، في إفشاء الحياة في نفس القصة. فقد أعقب وصول هذا الرجل باسم عبد القادر إلى المستشفى فترة من التأمل والحوار، إلى أن يوجد الراوي ثلاثة ثقب في ظهر الرجل أوجدتها الرصاصات، كما يبدو لنا بعبارة القصة في رسم الكاتب في الفقرة التالية:

"ودلف رجل الإسعاف إلى حجرة الاستقبال، وقال وهو يكاد يلهث:

- حالة ضرب نار يابيه! واحد ضابط اغتالوه في الروضة!

ضرب نار! .. ضابط! .. اغتيال! ..

"لم أعد نفسي حينئذ لصبغة اليود وماسك الإبر والخيط، فقد اختفى من شخصيتي تماما عامل الحياة، وطفحت تلك الكلمات القلائل فوق ذهني يدفعها بركان يخترنه شعوري عن الاغتيال والظلام وضرب النار".<sup>٢</sup>

وبالإضافة إلى ذلك أن الكاتب لم يشر إلى من هم الذين اغتالوه، وكان الضابط المصاب يردد بين الحياة والموت وهو يقول في نفس صوته المملوء المنخفض الرنان قائلاً:

<sup>١</sup> د. السعيد الورقي " مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس " ط ١، ١٩٩٠، ص ٤٢

<sup>٢</sup> قصة ٥ ساعات، من مجموعة "أرخص ليالي" ص ٨٩

" - قتلوني .. في الظلمة .. ضربوني بالنار .. هنا .. في ضهري .. وسألته وأنا

ملسوع دهش:

مين .. مين هم؟! ..

فقال وهو مسترسل بنفس صوته الذي كان يجذبني إليه بقوة وعنف:

- المجرمين .. ورئيسهم .. العصابة .. كلهم .. أولاد الكلب ..<sup>١</sup> . ثم تتطور اللحظة بعد ذلك وصولاً بالموقف إلى نهايته في ترتيب منطقي قلما تحدث فيه وقفات، فيوضح لنا الكاتب اللحظة النهائية حزينا من نفسه على موت الضابط واسمه عبد القادر ويقدم الكاتب مشاعره وأحاسيسه خلال مصاحبته بهذا الضابط المصاب بالرصاصات الثلاث وما يحس به خجل إزاء فشل وزملائه الآخرين أمام الموت فيكتب الكاتب ويختم قصته بهذه الكلمات الذهبية فيقول:

" وجال بخاطري أن أعانق زميلي وأضم ما في صدري إلى ما في صدره وأخفي

ما أحس به من خجل إزاء فشلنا أمام الموت، أخفيه فيما يحس به من خجل..

"ولم أفعل. بقينا بلا زمن، راجين، نتأمل الرجل المسجى. وتحز الخسارة

في قلوبنا، وأعيننا ثابتة في مكانها لا تغادر وجهه الوديع الذي كان يلعب

بالعرق .. آخر عرق .. وملامحه التي استراحت في هدوء دائم. وحين

واريناه تحت الغطاء كان الشك في موته لا زال يملأ منا النفوس.."<sup>٢</sup>

وحسب قول الكاتب ب. م. كريب شويك كأنه يقول "إن قصة ٥ ساعات" تعد من

أولى قصص الكاتب الناضجة. فقد تجلى فيها- بصورة مكثفة- عديد من خصائص

كتابة القصة عنده، في المرحلة اللاحقة: الأصداء الاجتماعية والسياسية، واختفاء

<sup>١</sup> قصة ٥ ساعات، من مجموعة "أرخص ليالي" ص ٩٠-٩١

<sup>٢</sup> نفس المرجع ص ١٠٥

الصبغة الرومانسية، وثرأ التفاصيل الواقعية، والبنية المتوازنة، واللغة السلسة المتدفقة التي تحذو حذو هذه أنماط العامية المصرية في تركيب الجملة والمفردات والاقتصاد في التعبير"<sup>١</sup>.

وتحدث الكاتب أيضا عن امتياز القصة من حيث الإحكام على نحو ما يكشف التحليل العابر. فيقول "هذه القصة تتميز بدرجة عالية من الإحكام، على نحو ما يكشف التحليل العابر. فتوتورها ينشأ عن تضاد قطبين مختلفين: العالم العقلاني للمستشفى والعنف الهائج خارج جدرانها. وتدعم بنيتها الحدود الصارمة المفروضة على الزمان والمكان، والتغيير البارح للإيقاع- على المستوى الأسلوبي. وتروي القصة بضمير المتكلم، على نحو مباشر"<sup>٢</sup>. وفي ضوء آراء النقاد والأدباء وأثناء دراسة القصة توصلنا إلى هذه النتيجة أنهذه القصة القصيرة قصة رائعة. صادقة في مشاعرها الوطنية، التي هي ممزوجة بحس إنساني عال، يتصادم في النهاية بقدر الموت الذي لا فكاك منه.

وأما الأسلوب في نفس القصة الذي اختاره الكاتب فنجد فيه السهولة والوضوح والدقة في اختيار الجمل والألفاظ، ولقد قام الكاتب بتكشيف عن جوانب النفس الإنسانية ببراعة الطبيب، واستخدم الكلمات القريبة من لغة الحياة العادية، ولديه القدرة على تسلسل الأحداث وترابطها، وقد اختار من خلال كتابته الإيجاز، والتركيز، والبعد عن الاستطراد.

#### خاتمة

وخلاصة القول ساعدت مهنة الطب ليوستف إدريس أن يتطلع على الأوصاف السريرية للمعاناة الجسدية والنفسية. فهو ذو شعور رقيق يتألم عند رؤية المصابين بالأضرار الجسدية أو النفسية، وأما قصصه فقد تسودها المسحة الواقعية وهذه

<sup>١</sup> ب-م- كريب شوبك " الإبداع القصصي عند يوسف إدريس " ترجمة وتقديم رفعت سلام، ص ١١٦

<sup>٢</sup> المصدر السابق، ص ١١٦

الصفة تساعده أن يتفاعل مع القارئ وكأن الأحداث تحري أمام عينيه. وهو يتأمل في وحدانية الموت وحقيقة الحياة. فإذا اشتدت المعاناة وتدهورت حالة المريض حضر الموت الذي يهب الشخصية كرامة في هذا المأزق، وكان من طبعي للكاتب أن يرى كطبيب العديد من المشاهدات الدموية في مصر التي اكسبته حكمة التفاؤل التي تظهر آثارها في قصة "٥ ساعات".

### المراجع والمصادر

١. يوسف الشاروني "القصة تطورا وتمردا" ط: ٢، القاهرة ٢٠٠١، مركز الحضارة العربية.
٢. جماعة من الأساتذة "الأدب العربي الحديث للصف الثالث الثانوي، ط ١٩٩١-٩٢م، ومنه "القصة القصيرة العربية" ل-أ.د. سيد حامد النساج
٣. د. محمد الجوادي "يوسف إدريس الذي عاش السياسة في معطف الفنان الأزرق" ١٥-١٠-٢٠١٩م
٤. ب-م- كبر شويك، ترجمة وتقديم رفعت سلام "الإبداع القصصي عند يوسف إدريس" ط ١٩٨١م
٥. د. شفيق السيد "اتجاهات الرواية العربية" ط، ١٩٩٦م
٦. غالي شكري "يوسف إدريس" حوار، ص ٤٣ ديسمبر ١٩٦٥م
٧. الدكتور طه وادي "القصة ديوان العرب قضايا ونماذج، ط ١، ٢٠٠١م
٨. قصة ٥ ساعات من مجموعة "أرخص ليالي" ١٩٥٤م
٩. د. السعيد الورقي "مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس" الطبعة الأولى ١٩٩٠م
١٠. أ.د. فاروق عبد المعطي "يوسف إدريس بين القصة القصيرة والإبداع الأدبي" ط، ١٩٩٤م

# الشخصيات في أدب شيخة الناخي القصصي

السيد فرس.بي<sup>١</sup>

## ملخص

شيخة الناخي أديبة تُعد رائدة القصة القصيرة الإماراتية التي أسهمت في مجال القصة الإماراتية إسهاما حيث إنها تعتبر كاتبة أول قصة قصيرة في الإمارات بعنوان "الرحيل" عام ١٩٧٠م. أبرزت الكاتبة الجوانب الاجتماعية المهمة في الإمارات. وقد فازت الكاتبة في تصوير مشاهد الفضاء والألام للطبقات المضطهدة في مجتمعها. كما صورت في بعض القصص معاملات قاسية من قبل المحتلين الذين سلبوا سرور عامة الشعب وفرحهم وأموالهم ووحدتهم من حياتهم. وهذه الدراسة تسلط الضوء على الشخصيات الرئيسية والثانوية من أنواع مختلفة في قصص كالبطل الإيجابي، والسلي، والفاشل، والمقهور.

الكلمات المفتاحية: شخصيات، الأبطال، قصص شيخة مبارك الناخي، الإماراتية

## مقدمة

تعد الفترة من نهاية الخمسينات والستينيات بداية التأسيس الثقافي والفكري لمرحلة السبعينات التي شهدت قيام دولة الإمارات، حيث بدأت مجموعات من الشباب الإماراتي بالاهتمام نحو الثقافة والفكر فتأسست الأندية الرياضية والثقافية لتهتم بالرياضة والفكر والثقافة والأدب والفنون. وساهمت الصحافة في تنمية المواهب الإبداعية وتطويرها بأشكال مختلفة. وفي نهاية الثمانينات شهدت الإمارات لعدة أعمال قصصية ممتازة. ومن الجدير بالذكر أن شيخة مبارك الناخي كانت تعد رائدة القصة القصيرة الإماراتية التي أسهمت في مجال القصة الإماراتية وكتبت أول قصة

---

١ باحث تحت إشراف الدكتور فردوس مون. كى. كلية أم. إي. أس. ممباد (الحكم الذاتي) ممباد، ملابورم، كيرلا، الهند

قصيرة في الإمارات بعنوان "الرحيل" عام ١٩٧٠ م

### شيخة مبارك الناحي

ولدت شيخة الناحي بمدينة الشارقة سنة ١٩٥٢ م في أسرة علم وأدب، وكانت والدها مبارك الناحي شاعر مشهور وأديب ماهر في الشارقة يكتب الشعر في اللغة العربية الفصحى واستقبل من الناس استقبالا حسنا من جمهورية الشارقة ودرست شيخة الناحي مبادئ العملية من أبيها وأسررتها والتحقّت بالمدرسة الابتدائية في مدينتها وانتقلت إلى جامعة الإمارات العربية وحصلت منها بكالوريوس في الآداب سنة ١٩٨٥ م ونالت شهادة الدبلوم من هذه الجامعة سنة ١٩٨٧ م ثم انغمست في عمل دراسة في مدرسة الغيبية بشارقة. وحصلت الكثير من الجوائز والتكريمات، منها جائزة الشيخ خليفة بن زايد للمعلم ١٩٩٧ م، وجائزة الشارقة للتميّز التربوي، إضافة إلى تكريم اتحاد كتاب الإمارات لها. وهي الآن تعد من رائدات الأديبات في الإمارات وساهمت مساهمة فعالة في تطور القصة الإماراتية وقصتها الرحيل تعتبر أول قصة الإماراتي وألف قصصا عديدة منها "رياح في الشمال" و"العزف على أوتار الفرح" و"خلجات في نفوس حائرة" ومقالة واحدة باسم لن يغادرنا.

### الشخصيات في أدب شيخة الناحي القصصي

للبطل مكانة رفيعة في جميع قصص العربية، وأن القصة التي تجري حول البطل أو بطلة لها دور باهر في تنظيم وترقية قصص العربية. وقد قال ديفيد لودج "الشخصية كائن البشري الذي يحرك مختلف عناصر العمل السردي وتتشابك به جميع المكونات السردية، وتتقاطع لينهض عملا فنيا مكتمل الأبعاد، فالشخصية تمثل قطب روحي الذي تدور حوله كافة العناصر السردية الأخرى كالأحداث والزمان والمكان واللغة والحوار..... إلخ".<sup>١</sup>

١ لودج - ديفيد - الفن الروائي - ترجمة ماهر البطولي - ط ١ - القاهرة - المجلس العلي للثقافة

وإن الشخصيات البطولية في أعمال الشبيخة الناخي مختلفة الأنواع مثل شخصيات إماراتية ويمنية ومصرية وهندية ومنهم رجال ونساء وأثرياء وفقراء ومتقفون وأميون وما إلى ذلك.

أنواع شخصيات الأبطال في قصص شبيخة الناخي

الأبطال في قصص شبيخة الناخي أربعة وهي

١ البطل الإيجابي

٢ البطل السلبي

٣ البطل الفاشل

٤ البطل المقهور

**البطل الإيجابي**

إن البطل الإيجابي هو الذي تصفه الكاتبة بصفات إيجابية مثل الحزمة والشجاعة والإنسانية والمروءة والحب ومحبة الأم والمجتمع والأمانة والإخلاص في العمل والدين والرحمة على الإنسان والعفوة عند القدرة والطاقة في الأعمال النفسية وغير النفسية والصبر عند الضيق أيضا. وأما البطولة في منظور إبراهيم نبيلة يقول " البطولة تشمل الجوانب النفسية والخلقية والاجتماعية، وتكون بهذا سحبا رفيعة وشمائل أصلية، وقوامها مكارم الأخلاق، فيحرص هذا البطل على تقديم صورة تليق به في مجتمع يقدر البطولة عليا ويجاهز شأنه من يتمتعون بها" <sup>١</sup>. إن لبطل الإيجابي منزلة سامية في قصة شبيخة الناخي ولذا نرى هذا في معظم القصص شبيخة الناخي إن البطل الإيجابي يأتي في قصصها أفرادا وربما جماعي، ينير النور ويطفأ النور حسب ظروف الحوادث والوقائع وهذا توضح الكاتبة في القصة " هواجس "، البطل خلفان عبيد الذي يتوكل مسؤولية الأسرة بعد رحيل والده ويحاول محاولة فعالة لكسب المال

---

١ نبيلة - إبراهيم - من نماذج البطولة الشعبية في الوعي العربي - دولة الإمارات المتحدة - ١٩٩٣

وتوفير الراحة في الأسرة. يقول:

"استلمت أول راتب، ألا تباركين ثم تقدم نحوها ليطلع قبلة حارة على رأسها وقبل أن يأتيه ردها سارعت يده لتخرج محفظته من داخل جيب ثوبه، ها هو أول راتب يستلمه ابنك... كبرت يا خلفان عبيد صرت رجل البيت.....انفجرت أساريه وأطربه مديحها، سحابة حزن تقطر بعض نداها في أعماقه، أحس بما تعانيه من خلف برقعها النيلبي، سقطت دمة سارعت إلى مسحها كي لا يراها"

تهند في حرقة وهو يقول: لا تحملي هما يا أمي، سأكون الرجل الذي يعتمد علي" <sup>١</sup>  
وبالنسبة إلى قصة " رحلة الضياع " أن البطلة مريم تقاسي آلام ومشكلات من زوجة أبيه الثانية وهي ترفض كثير من الأمور من زوجة أبيها وأخيرا أن زوجة أبيه قررت زوجها بمسن مغترب لا تعرفها من قبل ولكن بعد زواج أنها قررت أن تطلق منه وهي تقول بعزم واصرار: " وشعرت باختناق حياتي..... وأفقت من أثر الصدمة وتطلعت حولي في ذهول، أبحث عن عمر ضائع وعن شاب حائر، وبصمت بالغ حملت حقيبي لأعود من حيث جئت" <sup>٢</sup>.

وهكذا نجد في القصة " الإصرار " البطل الإيجابي، إنه يقاسي الآلام والصعوبات في بلده نظرا بالحرب القاسية، وهو يقف أمام باب حرب بالإصرار والعزيمة الصريحة ويقرر أن يذهب من هنا إلى بلد مغترب ليجمع الرزق وليعيش مع أسرته ولن يهزم في حياته أبدا وهو قدوة لكافة الناس. وهو يقول لزوجته: "لن أكون محبطا لن أستجدي الخلاص من أحد بإرادتي وببدي القرار، سأتوكل على الله فالدروب أعرفها، أعرفها جيدا سأفعل شيئا لن أندم عليه أبدا، هناك من ينتظرنني على الدرب، استقر في نفسه اعتقاد بأنها الفرصة الذهبية، وأنها لن تعود إن تأخر عنها.. لن تعود لقد كان صباحا

١ الناخي - شيخة مبارك - هواجس - مجموعة رياح الشمال - ص ٧٩

٢ الناخي - شيخة مبارك - رحلة الضياع - مجموعة الرحيل - ص ٥٧

## البطل السلبي

البطل السلبي هو البطل الفاشل في حياته وينتهي حياته بسقوط أو انحطاط إلى عمق ولا يعتبر قيمة وثقافة في حياته. كما قال محمد غزام " البطل السلبي هو البطل العصر الذي لا يمتلك قيما ولا ثقافة، يصعد من رحم الطبقات الفقيرة راغبا في الوصول السريع، حتى لو كان ذلك الصعود على جثث الأبرياء لينتهي مصيره إلى السقوط في مستنقع القذارة وشعاره دوما لا تفكر في الإصلاح"<sup>٢</sup>

وهذا يوجد في قصة " الحصار " أن الزوج في هذه القصة يدور دور البطل السلبي لأنه يهمل زوجته وابنته ومسؤولية أسرته في هذه القصة وهو لا يبالي واجبات المنزل وتكلف نحو الزوجة فأصبح مدمن الخمر وحياته حياة ترف ولهو. وهو يعي إلى المنزل متأخرا في كل يوم وفمه تفوح رائحة خمر كريهة ويرحل رحلات كثيرة مع الأصدقاء تاركا زوجته في البيت. كانت حياته ممتلئة بالفاحشات والسيئات ولذا تصور الكاتبة شيخة الناخي البطل أحمد في هذه القصة البطل السلبي وأخيرا أصرت زوجته أن تخلعه من حياتها.

## البطل الفاشل

إن البطل الفاشل الذي لا يوجد سبيلا إلى النجاح يعني أنه فشل في إتمام غايته وتحقيق حقائقه في الحياة ويعرف ناصر أبو شعبان الفشل بأنه "الإخفاق في تحقيق أهداف محددة مسبقا، وهو يصيب الإنسان في حياته أو دراسة أو إدارته منوها إلى الفشل دائما يثير الخوف والإحباط لدى الناس نظرا لارتباط بالعقاب الذي يتدرج من

---

١ الناخي - شيخة مبارك - الاصرار - مجموعة العزف على أوتار الفرح - ص ٦٠

٢ عزام - محمد - البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة - دمشق - الأهالي للنشر والتوزيع -

التوبيخ والازدراء إلى العقوبات المادية والمعنوية من جانب الآخرين " ١ يمثل سعيد في قصة "الرحيل" للشيخة الناخي متجولا من مكانه إلى المكان الغريب بدون تحقيق غايته (النكاح مع حبيبته علياء) وهو يقول بالرسالة هكذا:

" بعد مفاجأة قاسية وتتحرر من الكابوس الرهيب لقد كنت عزمت الرحيل " ٢  
وبالنسبة إلى قصة " للجدران آذان " أن البطل الذي يفشل على حصول وظيفة  
أخرى ليكتسب الرزق والتخلص من الوظيفة السجان، أن وظيفته سرقة منه الطمع  
والتلذذ العيش ويكون كئيبا ومحزونا في حياته بهذه الوظيفة.

"علو صراخه مستغيثا يطلب الرحمة.. تبكي أعماقه وهو يستمع إليه.. وإلى  
استغاثته المخنوقة.. لكنه لا يملك أن يفعل من أجلهم شيئا.. ويعود منكسرا حيث  
ينتظره سجينه المفرج عنه.. ليجلس بجانبه متكفنا على نفسه حزينا.. وقد تفرقت  
مقلته بدمعه.. تسلفت في خلسة من أمره لتسقط فوق وجهه المشحون بالقلق وعذاب  
النفس وما أن استرد أنفاسه حتى مال ليهمس في أذن محدثه قائلا:

لقد عزمت على التحرر منقبضة هذه الأسوار فهل تساعدني في البحث عن وظيفة  
أخري " ٣

وترسم الكاتبة صورة البطلة الفاشلة في قصة " رحلة الضياع " أن البطلة هنا  
مريم تفشل في حياتها الأسرية، وتكون حياتها بعد الزواج مؤلمة ومحزنة ولم تتغير شيئا  
من حياتها بعد الزواج ووقعت حياتها الأسرية إلى الجحيم بعد الزواج رجل مسن مريض  
وثرى. وبعد وفات زوجها تعود إلى البيت أهلها بالفشل والخوف والحيرة.

" لكن الزواج لم يتغير من واقع حياتها شيئا، بل زاد من شقاءها..  
وعذابها.. وتعاسفها.. كانت تتساءل في قراره نفسها كيف يمكنني

---

١ خالد - تسنيم - استثماره الفشل، بوابة سريعة للنجاح - ٢٠١٢

٢ الناخي - شيخة مبارك - الرحيل - ص ١٣

٣ الناخي - شيخة مبارك - للجدران آذان - ص ٤٢

التصرف مع زوجي المريض المسن؟ هذا الذي فرض على عنوة ليكتفم  
أنفاسي ويقتل أحلامي " ١ .

## البطل المقهور

البطل المقهور هو الذي يكون ضحية الأمر ويقاسي جميع المشكلات وصعوبات  
للأسرة وللمجتمع فقد عالجت الكاتبة شيخة الناخي عالجت معاناة البطل والبطلة  
بالقهر أو بالفشل.

ففي قصة " أحلام " نجد البطلة أحلام التي فقدت أحلامها وآمالها عن حياتها  
وتكون محبوسة في منزل السجن بالوحدة والغزلة وهي صارت صاحبة ضحية القدر.

"تهتدي في حرقة وهي تتذكر رقدتها في العنبر العاشر بالغرفة الصغيرة  
وقد اكتظت بالزائرات، كانت همساتهن وأحاديثهن الخافتة تصل  
أسماعها، كل ما تدركه في تلك الساعة أن مشرط الجراح قد أجهض  
حلمها الجميل، كان الجرح غائرا موجعا وقاسيا في الوقت نفسه " ٢

وبالنسبة إلى قصة "رماد " البطلة هنا الأسرة وربما الجماعة (الشعب) أنهم  
يعشون تحت الاحتلال والحيرة، وأجبرتهم الحكومة أن يخرجوا من منزلهم ويذهبوا إلى  
بلد غريب ليخلصوا من عذاب الاحتلال فتكون الأسرة ضحية حرب

"في الوقت نفسه اقتحم عليهم المنزل رجل وهو يقول في عصبية زائدة:  
لماذا تقفون هكذا متسمرين؟ ساعة الصفر تقترب اتركوا المكان حالا،  
لا وقت للتفكير... كانوا على وشك الخروج من الشقة حين صاحت  
الصغيرة في نبرة رجاء " ٣

أن الكاتبة شيخة الناخي تنوعت البطلة بمجموعاتها. المجموعة الأولى والثانية

---

١ الناخي - شيخة مبارك - رحلة الضياع - ص ٥٦

٢ الناخي - شيخة مبارك - أحلام - ص ٢٦

٣ الناخي - شيخة مبارك - رماد - ص ١٦

(الرحيل، ورياح الشمال) تصف أبطالها بالفاشلين والسلبين والمقهورين والمجموعة الثالثة (العزف على أوتار الفرح) تصف أبطالها بإيجابيين.

الشخصيات قسمان في قصة الرياح الشمال منها:

- الشخصية الرئيسية
- الشخصية الثانوية

### الشخصية لرئيسية

هي المحور القصة التي كانت لديها دورة أساسية في أحداث القصة، فالشخصية الرئيسية " التي تقود الفعل وتدفعه إلى الإمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها هي الشخصية المحورية وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية " ١ هي البوصلة التي تقع الحدث والأحداث على نسق معين وترتيب مؤكد، احتلت البطل والبطلة على مكان الرئيسية في هذه القصة ولهما دورة عظمى في ترقية الأحداث وتسريد الوقائع في قصة

### الشخصيات الثانوية

وهي تعمل عمل مساعدة الشخصيات الرئيسية في القصة ولها ربط وعلاقة وثيقة مع الشخصيات الرئيسية في الأحداث والوقائع القصة وتتميز هذا القسم بالوضوح والبساطة والدقة. فهي " التي تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية، أو تكون أمينة سرها فتبيح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ " ٢. أما الشخصيات الثانوية فهي تساعد الشخصيات الرئيسية لأداء المسؤولية وإظهار

---

١ غسان كنفاني - جماليات السرد في الخطاب الروائي - دارمجدلاوي للنشر والتوزيع - عمان،  
أردن - ٢٠٠٦ ص ١٣١

٢ شربيط أحمد شربيط - تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة - دار قصبه للنشر  
والتوزيع - الجزائر - ٢٠٠٩ ص ٤٥

الحدث في القصة، حاولت الكاتبة أن تستخدم الشخصيات الثانوية لترقية ولتقوية القصة.<sup>١</sup>

#### خاتمة

ركزت الكاتبة شيخة الناخي في تسريد الشخصية بوصف حركتها الداخلية، والعناية يتبع هذه الحركة والنزوع على تحليلها ويبرز أثر الجو الخارجي في الحركة الذهنية والنفسية للشخصية. وتنوعت الشخصيات في قصص شيخة مبارك الناخي كشخصيات مختلفة مثل الشخصية الإيجابية والسلبية والفاشلة والمقهورة. وأن الشخصيات الثانوية تلعب دورا هاما في ترقية القصة وتقويتها. وحاول الباحث أن يشتمل في هذه الدراسة عن شخصيات الأبطال في قصص شيخة مبارك الناخي.

#### المصادر والمراجع

١. الدكتور الرشيد أبو شعير- مدخل إلى القصة القصيرة الاماراتية - اتحاد كتاب وأدباء الإمارات
٢. شيخة مبارك يوسف الناخي - خلجات في نفوس الحائرة - المجموعة القصصية الكاملة - اتحاد الكتاب والأدباء الإمارات - الشارقة - ٢٠٠٨
٣. خليل السواحري - صورة المرأة في القصة القصيرة في الإمارات - اتحاد الكتاب وأدباء الإمارات - ١٩٨٩
٤. الدكتور زينب بيهر جكلي - القصة القصيرة عند شيخة الناخي رائدة القصة الإماراتية
٥. بدر عبد الملك - القصة القصيرة وصوت النسائي في دولة الإمارات العربية المتحدة
٦. نادر أحمد عبد الخالق - شخصية الروائية بين أحمد علي باكثير ونجيب كيلاني - دراسة موضوعية وفنية - دار العلم والإيمان - ٢٠٠٩ - ط ١

<sup>١</sup> الناخي - شيخة مبارك - دائرة الخوف - ص ١٥٢

٧. غسان كنفاني - جماليات السرد في الخطاب الروائي - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - عمان، الأردن - ٢٠٠٦
٨. شريبط أحمد شريبط - تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة - دار قصبة للنشر والتوزيع - الجزائر - ٢٠٠٩ ص ٤٥
٩. ابن منظور - لسان العرب - مادة الشخص - المجلد السابع ط٥ - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ١٩٩٢
١٠. نبيلة - إبراهيم - من نماذج البطولة الشعبية في الوعي العربي - دولة الإمارات المتحدة - ١٩٩٣
١١. لودج - ديفيد - الفن الروائي - ترجمة ماهر البطولي - ط١ - القاهرة - المجلس العلي للثقافة - ٢٠٠٢

## الواقعية الاشتراكية وأهدافها الرئيسية في الروايات الفلسطينية

بركت حسين<sup>١</sup>

### ملخص

تهدف هذه المقالة إلى اكتشاف التزام الواقعية الاشتراكية في الروايات العربية الفلسطينية. وقد أعان هذا الالتزام القاص الفلسطيني في إصلاح المجتمع وتوجهه إلى المثل العليا، وسأتناول في هذه الدراسة نماذج موقف المثقفين الذين دعموا برواياتهم الثورة الفلسطينية. وأخص بالذكر الأدباء الفلسطينيين الذين جعلوا الاتجاه الواقعي الاشتراكي منهجا أساسيا لأعمالهم الأدبية ولتعبيرهم عن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مثل الاعتقال والتضييق من عند السلطات الإسرائيلية بسبب مواقف الناس السياسية والوطنية. وهؤلاء الأدباء القلائل هم الذين جمعوا بين السياسة والأدب وهم الذين ناضلوا ضد سياسات الاضطهاد والتمييز والقهر التي تمارسها السلطة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين.

الكلمات الدلالية: الواقعية، الاشتراكية، الرواية، الفلسطينية.

### مقدمة

إن الواقعية كلمة مشتقة من وقع يقع أي حدث يحدث ومنه الواقعية، تعني هذه الكلمة بمعالجة الأشياء والأحداث والمشاكل حسب ما وقع وحدث في الواقع. فالواقعية في الحقيقة نقد الحياة والكشف عما فيها من شروخ وأثام. وأما في المجال الأدبي فنرى أنه بعد الخمسينيات من القرن التاسع عشر أخذ الأدباء يختارون أساليباً متنوعة للواقعية حسب مقاديرهم الفني، حتى ظهرت في هذا المجال اتجاهات مختلفة. بحيث أخذ بعض الأدباء يصفون الأشياء بطريقة الوصف المباشر، بينما طفق البعض

<sup>١</sup> الباحث في ماجستير في الفلسفة في قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة كشمير

الآخرون إلى حلول المشاكل والأزمات السياسية والاجتماعية وغيرهما. فباختلاف هذه الاتجاهات والأساليب انقسمت الواقعية إلى عدة أنواع ومن أهمها: الواقعية النقدية، والواقعية الطبيعية، والواقعية الاشتراكية. وأما الواقعية الاشتراكية فظهرت هذا النوع من الواقعية بسبب النظريات السياسية والاجتماعية الجديدة التي كانت تنادي بها الفلسفة الماركسية. فحرية الإنسان وتنظيم المجتمع وإشاعة العدالة الاجتماعية بين طبقات عامة الناس وخواصهم كانت ثمرات هذه الواقعية الاشتراكية. كما تصرح ي. غرموف " الواقعية الاشتراكية هي التبرير الفني للعلاقات الاجتماعية الجديدة، للأخلاقيات الجديدة والإنجازات الجديدة. وعلى عكس تأكيد المفكرين البرجوازيين وما شابههم من المحرفين، فلم نشأ هذا المنهج نتيجة لأوامر عليا بل نشأ بشكل طبيعي وقانوني كمطلب من مطالب الحياة نفسها، ولقد وصل إلى أفضل حالات تطوره في ظروف المجتمع السوفياتي الاشتراكي"<sup>1</sup>.

### أهداف الواقعية الاشتراكية

تدعو الواقعية الاشتراكية إلى إصلاح المجتمع وتغييره. إنها ليست كالواقعية النقدية التي تدعو إلى الإصلاح فتهتم بالرفض وتطالب بالتمرد الفردي على الواقع، بل إنها تدعو إلى حياة حرة في المجتمع يتساوى فيها الجميع أمام المصير الإنساني. إنها تبشر بالقيم الإنسانية التي ينبغي للمجتمع أن يحققها. كذلك إنها تختلف عن الواقعية النقدية التي تبالغ في وصف جوانب الشر في النفس البشرية وتكتفي بتصوير الشخصيات التي تصبح فرائس هذا الشر والغرائز الحيوانية المتفجرة بالنظام الاجتماعي الفاسد. وإنها لا تنفذ إلى وصف الشر الاجتماعي وإنما تحاول أن تعالج هذا الشر باقتراح الجوانب المشرقة التي ينبغي أن تسيطر على المجتمع. وإنها أيضا تقدم الأحداث بطريقة تجعل الخير يغلب على الشر وتؤدي الإنسانية إلى التقدم. بالرغم من

---

<sup>1</sup> ي. غرموف. ترجمة عدنان مدانات، الواقعية الاشتراكية المنهج والأسلوب، المكتبة التقدمية، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص ٥٥.

ذلك فضل النقاد أحيانا الواقعية النقدية على الواقعية الاشتراكية لأنها تصور المجتمع بكل نقائصه ومحاسنه ولو بقدر ضئيل، بينما تصور الواقعية الاشتراكية بأحسن مما هو، وتصور الشخصيات الكاملة فحسب، وتبرئها من جميع النقائص والعيوب<sup>١</sup>.

فقد يتضح لنا بعد النظرة المدققة أن الواقعية الاشتراكية كانت تنحصر عادة على وصف جوانب الشر والنظام الاجتماعي الفاسد. وقد يعتقد الدكتور عبد البديع عبد الله: "أن الواقعية الاشتراكية أدب موجه لخدمة الأهداف الاجتماعية، فهو أدب هادف لتغليب مصالح الطبقة العاملة عن طريق الإيمان بالاشتراكية، ولهذا يرفض التشاؤم واليأس. وأما المبدأ الذي تقوم عليه الواقعية الاشتراكية هو مبدأ صراع الأضداد والإيمان بأن الطبقة العاملة هي التي ستنصر في النهاية. فضلا عن ذلك نجد لها تعريفات كثيرة، ولكن كل تعريفاتها تدل على أنها منهج فكري وأسلوب فني، وهي ظاهرة اجتماعية وفكرية، لم تنشأ من الفراغ وإنما ارتبطت تكوينها بالنمو العظيم لوعي الطبقة العاملة الاجتماعي"<sup>٢</sup>.

### الواقعية الاشتراكية في الأدب الغربي

بدأت الواقعية الاشتراكية في روسيا في القرن التاسع عشر خلال الثورة الفرنسية ردا على الرومانسية والواقعية الانتقادية المتشائمة. ثم ازدهرت هذا الاتجاه في الأدب ازدهارا تاما في بداية القرن العشرين على أيدي مكسيم غوركي، ثم تبعهما أدباء آخرون من أمثال جون ريد (John Reid) وهنري باريو (Henry Bruce) حتى أصبحت أسلوبا دأب عليها الكتاب والقصاص في روسيا في التعبير عن طموحاتهم ومشاعرهم تجاه الأوضاع التي يعاني بها المجتمع، ثم انتقلت إلى البلدان العالمية الأخرى. فهذا النوع من

١ عباس خضر: الواقعية في الأدب، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٧م، ص ٢٣.

٢ عبد البديع عبد الله: الرواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م، ص ٥٢.

الواقعية حديث النشأة، حيث إنها ظهرت في الأدب كمصطلح أدبي جديد خالص في أواخر القرن التاسع عشر في المؤتمر الأول للأدباء السوقيين عام ١٩٣٤ م بموسكو. وقدمت في هذا المؤتمر تسميات عديدة لهذا النوع من الواقعية، وتسعى معظم هذه التسميات إلى التعبير عن المنهج الاشتراكي الجديد في الإبداعات الأدبية والفنية. وفي الأخير استقر الرأي على تسمية "الواقعية الاشتراكية". ظهرت هذا النوع من الواقعية بسبب النظريات السياسية والتعليمات الاجتماعية الجديدة التي كانت تنادي بها الفلسفة الماركسية. فحرية الإنسان وتنظيم المجتمع وإشاعة العدالة الاجتماعية بين طبقات عامة الناس وخواصهم كانت ثمرات هذه الواقعية الاشتراكية.

### الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي

ظهرت الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي الحديث بعد الحرب العالمية الثانية ولا سيما في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، حيث ازدهرت في هذه الفترة الحركة القومية واليسارية بتعدد مشاكل الفرد في مواجهة الظلم والقسوة والعنف الحكومي والاجتماعي، فأخذ الكتاب يصفون الشخصيات المظلومة ويعرضون الجوانب القبيحة من الحياة ويصوّرون الواقع وما يجري فيه من مفاسد ومظالم، كما يعبرون عن الأحوال الاقتصادية والتجارية وي طرحون القضايا الإنسانية في ضوء علاقتها بالواقع الاقتصادي والسياسي ويعرضون الحياة بكل تناقضاتها. فليست الحياة عندهم حزنا مطلقا ولا فكرا دائما، بل إنما كانت مزيج بين الحزن والفرح والبؤس والسعادة. وكان محمود أمين العالم الذي كان ناقدا كبيرا وفيلسوبا مصريا شهيرا وواحدا من مؤسسي التيار اليساري في مصر يعد رائدا للواقعية الاشتراكية في الأدب العربي الحديث بإنجازاته القيمة في هذا المجال. فقد ترك في هذا المجال عدة مؤلفات مهمة ومن أهمها "الإنسان موقف" و"معارك فكرية" و"فلسفة المصادفة" و"الوعي الزائف في الفكر العربي". ومن الروائيين الكبار الذين تأثروا بهذا النوع من الواقعية أسهموا بسهم وافر في تطويرها في الأدب العربي الأديب المصري علاء الأسواني الذي كتب رواية "عمارة يعقوبيان" متأثرا بالاتجاه الواقعي الاشتراكي، وصور فيها

النفاق الاجتماعي والشذوذ الجنسي والفساد الخلقي مشيراً إلى أوضاع البؤس واليأس التي سادت المجتمع المصري بعد الحرب العالمية الثانية.

### الواقعية الاشتراكية في الأدب الفلسطيني

إن الرواية العربية قد ظهرت متأخرة في فلسطين وفي شرقي الأردن عن ظهور الرواية العربية في مصر وسوريا ولبنان بسبب الاضطرابات التي غشيت فلسطين والأردن منذ وقوعهما تحت الانتداب البريطاني، ولذلك السبب نجد الواقعية الاشتراكية بلغت في الأدب العربي الحديث أوجها بعد الحرب العالمية الثانية من حيث الشكل والفن والمضمون، ولكن الروائيون الفلسطينيون تبادوا في الواقعية الاشتراكية إلى الخمسينيات من القرن العشرين ولا سيما إلى قيام دولة إسرائيل ونكبة ١٩٤٨م، وهي الفترة التي تعرض الرواية الفلسطينية لموضوع الحكم العسكري والصهيوني وتعتبر عن التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي طرأ على المجتمع الفلسطيني بعد نكبة ١٩٤٨م وبعد قيام دولة إسرائيل. وقد تذهب بعض الدراسات إلى أن نكسة حزيران عام ١٩٦٧م تمثل المنعرج الحاسم بين الفترات الأولى للرواية العربية وبين فترات التجديد للواقعية الاشتراكية في الرواية العربية الفلسطينية، على نحو ذلك تذهب بعض الدراسات إلى أن التغيرات والتحويلات الاجتماعية التي طرأت على الساحة الفلسطينية بعد نكبة ١٩٤٨م إلى انتهاء نكسة حزيران عام ١٩٦٧م تعتبر فترات التبلور الأولى للواقعية الاشتراكية في الرواية الفلسطينية، بحيث قد بدأ الروائيون أن يؤرخوا تلك الفترة من التاريخ الفلسطيني محاولين أن يقدموا صورة صادقة عن المجتمع الفلسطيني حتى انطلق من هذا التعبير الصادق المدرسة الواقعية الاشتراكية لمقاومة سياسة الحكومات الرسمية منذ قيام دولة إسرائيل.

ومن أهم الروائيين الذين مثلوا التيار الواقعي الاشتراكي في الأدب الفلسطيني الروائي والقاص الكبير حنا إبراهيم الذي كان عضواً في الحزب الشيوعي والذي كان ينتشر في صحيفته ذلك الحزب مقالاته السياسية والأدبية حول موضوع الحكم

العسكري والصهيوني معبرا عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بكل صداقة وجرأة. فقد نشر عام ١٩٥٩م أول قصته "الذكرى العاشرة" التي تعد أول نموذج للواقعية الاشتراكية في الأدب الفلسطيني. فقد صور في هذه القصة ثورة الجيل على السلطة الصهيونية من جهة، ومعاناة مواطنين العرب في إسرائيل خلال فترة حكم العسكري من جهة أخرى. إضافة إلى ذلك قدم لنا صورة واقعية عن معاناة الفلاحين الذين كانوا يشكون من الحكومة لقلّة الماء وجفاف الزرع وعدم العشب المعد لرعي الأغنام. وقد مثل هذه الأحداث الواقعية خلال شخصية سعيد الذي كان أحد الراعبين والذي قد هدمت قريته عام ١٩٤٨م وقتل فيها أخواه، وهما يحاولان نقل الأثاث والنوافذ والأبواب الجديدة من منزلهم بعد ما طردوهم من القرية. فالمؤلف استعان بالواقعية الاشتراكية إلى حد بعيد وعبر خلالها عن المعاناة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تواجهها الشعب العربي الفلسطيني بعد نكبة ١٩٤٨م مشيرا إلى الصراع الدائر بين السلطة الصهيونية وبين مواطن العرب الفلسطينية.

ومن الروائيين الذين مثلوا التيار الواقعي الاشتراكي في الأدب الفلسطيني الأديب الكبير إميل حبيبي الذي كان ينتمي إلى هذا التيار منذ بدايته حتى عده بعض الناقدين رائد هذا التيار الحقيقي في الأدب الفلسطيني والذي كتب في هذا المجال عدة روايات وقصص ذاع صيتها في أنحاء العالم العربي كله. وكذلك يمثل هذا التيار الواقعي الاشتراكي في الأدب الفلسطيني الكاتب محمد علي طه الذي بدأ ينشر إنتاجه الأدبي في نهاية عهد الحكم العسكري الفلسطيني. ثم بدأ ينشر إنتاجه الأدبي معتمدا على المنهج الواقعي الاشتراكي. ومن أعماله الأدبية ذات الاتجاه الواقعي الاشتراكي قصته "لكي تشرق الشمس" التي صدرت عام ١٩٦٤م، و"سلاما وتحية" التي صدرت عام ١٩٦٩م، و"إسبانيا" التي صدرت عام ١٩٦٥م. ويجدر بالملاحظة أن معظم أعمال محمد علي طه الواقعية تدور حول القضايا الاجتماعية والسياسية خلال الحكم العسكري في فلسطين، وتشير في نفس الوقت إلى معاناة الشعب الفلسطيني ولا سيما اللاجئين في خارج الوطن.

ومن الكتاب الواقعيين الأديب البارع جبرا إبراهيم جبرا الذي ولد عام ١٩٢٠م في مدينة بيت لحم بفلسطين في عائلة مسيحية، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة طائفة السريان في بيت لحم. ثم في مدرسة بيت لحم الوطنية. ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره؛ انتقل مع عائلته إلى مدينة القدس، وكانت نشأته في أسرة فقيرة كحال الكثير من الأسر الفلسطينية قبل النكبة وبعدها. فتح جبرا عينيه على كفاح شعبه ومقاومته لاغتصاب أرضه وحقه للعيش فوقها بسلام، واختزنت ذاكرته الكثير من مشاهد البطولة والمقاومة، وعكس ذلك في مذكراته ورواياته، فقد أصدر جبرا كثيرا من الأعمال الأدبية المتميزة في الرواية والقصة القصيرة التي لاحظت إقبالا بالغا فمن بعضها صراخ في ليل طويل (١٩٤٦م)، صيادون في شارع ضيق (١٩٦٠م)، السفينة (١٩٧٠م)، البحث عن وليد مسعود (١٩٧٨م)، الغرف الأخرى (١٩٨٦م) يوميات سراب عفان، فهذه الأعمال تعد من أهم إنتاجه في أفق العالم الروائي الواقعي الفلسطيني منهجا وأسلوبا وعرضا. ومن الأدباء الفلسطينيين الذين جعلوا الاتجاه الواقعي الاشتراكي منهجا أساسيا لأعمالهم الأدبية ولتعبيرهم عن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكاتب الكبير مصطفى مرار الذي بدأ كتابته منذ الخمسينيات من القرن العشرين، وفي بداية الأمر كان يكتب في الصحف الحكومية وشبه الحكومية، فبالرغم من أنه عاصر الحكم العسكري ولكن لا يكتب عنه إلا في الخمسينيات والثمانيات من القرن العشرين. ومن أهم أعماله الأدبية التي تلامح الواقعية الاشتراكية "قصته" الشيوعي" التي صدرت عام ١٩٨٨م وقصته "رخصة سلاح" وما إلى ذلك. وهذا يجدر بالملاحظة هنا أن المؤلف قد صور في معظم أعماله الواقعية عن المظاهر الاجتماعية خلال الحكم العسكري في فلسطين من أمثال منع التجول والتصاريح التي كان على مواطنين العرب للتنقل من مكان إلى آخر، ومحاولة حصول المواطنين العرب على رخصة لحمل السلاح وما تطلب ذلك من إجراءات مضيئة وصعبة، وأجهزة الأمن والمخابرات وما إلى ذلك<sup>١</sup>. ومن الكتاب

<sup>١</sup>مجلة الشرق، عام ٢٠٠٠م، العدد الخاص، ص ٢٠٨

الواقعيين الآخرين الأديب الفلسطيني زكي درويش الذي عاش مدة من الزمن مع أسرته خارج الوطن الى توقيع اتفاقيات الهدنة. ومن أهم أعماله الأدبية الواقعية "الجسر والطوفان" التي صدرت عام ١٩٧٦ م و"الرجل الذي قتل العالم" عام ١٩٧٨ م، و"أحمد محمود والآخرين" التي صدرت عام ١٩٧٨ م. فقد نالت هذه الأعمال حضورا بهيجا بين القراء، لأن معظمها تدور حول الانتفاضة الفلسطينية الأولى وتفتتت الذاكرة الفلسطينية التي واجهها الفلسطينيون في داخل الوطن وخارجها.

ومن أهم كتاب الواقعية الاشتراكية في الأدب الإسرائيلي والفلسطيني الأديب البارع توفيق فياض الذي أصدر في مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة أعمالا ضخمة ذات اتجاهات واقعية بحتة. فقد انتهى إلى جبل الكتاب البارعين الفلسطينيين من أمثال سميح قاسم ومحمود درويش اللذان ساهما في مجال الأدب مساهمة قيمة. وهذا يجدر بالملاحظة أن الناقلين قد انقسموا أعماله الأدبية من حيث الموضوع والفن إلى قسمين مهمين، تتعلق القسم الأول قبل نزوحه عن الوطن، ومعظم هذه الأعمال تدور حول القضايا الاجتماعية والوطنية بأسلوب رمزي وسخري، وتندرج تحت هذه الأعمال رواية "المشوهون" التي صدرت عام ١٩٦٤ م و"الشارع الأصفر" التي صدرت عام ١٩٦٨ م، و"الهلول" التي صدرت عام ١٩٧٨ م وما الى ذلك. وأما القسم الثاني فتدور حول القضايا الاجتماعية والاقتصادية والوطنية ذات اتجاهات واقعية بحتة، حتى عده بعض الناقلين الرائد الحقيقي للواقعية الاشتراكية في الأدب الفلسطيني، ومن أهم هذه الأعمال رواية "وادي الحوارث" التي صدرت عام ١٩٩٤ م، و"حبيبي مليشيا" التي صدرت عام ١٩٧٦ م. ومن الكتاب الواقعيين الاشتراكيين في الأدب الفلسطيني والإسرائيلي الأديب الكبير محمد حسين نفاع الذي كان كاتباً سياسياً ورمزاً من رموز الواقعية الاشتراكية في مجال السياسة الفلسطينية والإسرائيلية معاً. فقد تعرض الاعتقال والتضييق من السلطات الإسرائيلية بسبب

---

<sup>١</sup>المصدر نفسه، ص ٢١٥.

مواقفه السياسية والوطنية. فكان من الأدباء القلائل الذين جمع السياسة والأدب والذين ناضلوا ضد سياسات الاضطهاد والتمييز والقهر التي تمارسها السلطة الإسرائيلية بحق الفلسطينيين. فقد أصدر في مجال الرواية والقصة والشعر أعمالاً ضخمة، وجل أعماله الأدبية تزخر بالواقعية وآلام الناس ومعاناتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ومن أهم أعماله الأدبية ذات الاتجاه الواقعية "الأصيلة" التي نشرت عام ١٩٧٤م، و"ودية" التي نشرت عام ١٩٧٨م، و"ريح الشمال" التي صدرت عام ١٩٧٩م، و"أنفاس الجليل" التي صدرت عام ١٩٩٨م وما إلى ذلك.

### خاتمة

ربما تبين من هذه السطور أن عدداً من الأدباء الفلسطينيين قاموا بإثراء القصة الفلسطينية من منظور الواقعية الاشتراكية، تناولت قصصهم قضايا مهمة التي تمس الشعب الفلسطيني مثل قتل وتشريد وظلم واضطهاد، وقد ساهم كثير من الأدباء البارزين أمثال جبرا إبراهيم جبر وغسان كنفاني وإميل حبيبي والآخرين في تنمية هذا الاتجاه في الأدب.

### المصادر المراجع

١. إحسان عباس وآخرون: غسان كنفاني إنساناً وأديباً ومناصلاً، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين، بيروت ط ١، ١٩٧٤م.
٢. محمود غانم: تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة دراسة أسلوبية، دار الجبل والهدى، ط ١، ١٩٩٣م.
٣. علي الفزاع: جبرا إبراهيم جبرا دراسة في فنه القصصي، دار المهدي، عمان، ط ٢، ١٩٨٥م.
٤. علي الراعي: الرواية في الوطن العربي نماذج مختارة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م.
٥. حسين مروة: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦م.

٦. حسني محمود: إميل حبيبي والقصة القصيرة، الوكالة العربية، الزرقاء، ١٩٨٤ م.
٧. أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٧٧ م.
٨. أحمد أبو مطر: الرواية في الأدب الفلسطيني (١٩٥٠\_١٩٧٥)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٨٠ م.
٩. فاروق وادي: ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١،
١٠. إبراهيم خليل: في القصة والرواية الفلسطينية، دار ابن رشد، عمان، ط١، ١٩٨٤ م.

## الرؤية النقدية عند محمد مندور في إطار الوظائف والمناهج

أ. شاد حسين<sup>١</sup>

تنوير أحمد بت<sup>٢</sup>

### ملخص

تعالج هذه الدراسة رؤية النقد عند محمد مندور، فهو رائد من رواد النقد العربي الحديث، وقد تشكلت رؤيته خلال دراسة النقد القديم والمأمه بالتطورات الحديثة في مجال النقد في الآداب الغربية. فنظرا إلى أن معايير النقد تختلف من ناقد إلى ناقد آخر ومن عصر إلى عصر آخر، ومن بيئة إلى بيئة أخرى، وأنّ النقاد قد اتبعوا مسالك مختلفة، وساروا على مناهج متباينة، وتلقي هذه الدراسة الضوء على مكونات لشخصية محمد مندور التي أثرت في رؤيته النقدية التي رافقته في التطبيقات النقدية، كما أنّ هذه الدراسة هي محاولة شرحت موقف محمد مندور تجاه وظائف النقد وتجاه مناهج النقد الشائعة في عصره.

الكلمات المفتاحية: مناهج النقد، المنهج التأثري، المنهج التاريخي، المنهج

الأيدولوجي

التمهيد

كان محمد مندور (١٩٠٧-١٩٦٥م) من أبرز النقاد المثقفين الذين لهم مساهمات بشكل فعّال في نهضة النقد العربي المعاصر، ربما لا نغالي في قولنا أنّه رائد من رواد النقد العربي الحديث، فله نظرية واضحة وبصمة منفردة، فقد أصبح رمزا من رموز النقد العربي الحديث، وسمة من سماته المنفردة، فقد ساهم في إنارة طريقة النقد المنهجي.

<sup>١</sup> أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة كشمير، سري نغر

<sup>٢</sup> الباحث في الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير، سري نغر.

## مكوّنات شخصيته

التحق مندور بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٥م للدراسات العليا، فكان الدكتور طه حسين هو أوّل من اكتشف عبقرية الطالب محمد مندور الذي وجّهه إلى الآداب بعد أن كان مندور مقبلا على دراسة الحقوق كما أشار إليه غالى شكري أنّ الدكتور طه حسين "هو أوّل من صاغ التّحول الحقيقي في نظرة مندور للأدب والنقد عندما لفته إلى أهمية المناهج الغربية في دراسة الأدب وتدوقه، وبخاصة المنهج الفرنسي.....ولعله سمع عن "سانت بوف" و"تين" و"برونتير" لأول مرة في محاضرات طه حسين، ويمكن أن نعد المدة التي قضاها مندور في الجامعة المصرية (١٩٢٥-١٩٢٩م) بمثابة المقدمة التمهيدية الأولى في حياته".<sup>١</sup>

يعدّ لقاء مندور مع طه حسين أوّل عامل في تكوين شخصيته الفكرية، وأمّا إقامته الطويلة بفرنسا (١٩٣٠- ١٩٣٩م) حيث أتاحت له الفرصة أن يطلع على الحضارة الأوروبية عن قريب، فتشجّع بأسسها العقلانية المتينة، ولم يكتف على ما درسه من فقه اللّغة وعلم الأصوات بل اطلع على كتابات أنطوان ميبه Antoine Meillet الذي كان هو عالم الأصوات الفرنسي الشهير، ودرس نظريات "فرديناند دي سوسور" (Ferdinand de Saussure) عالم اللّغة الكبير، فقد كانت هذه الدراسات العامل الثاني الذي شكّل على صعيده المعرفي. فأغرم محمد مندور بالصّوتيات، وأجرى بحوثا مفيدة على الشعر العربي في معمل الصوتيات بباريس، حيث حلّل ثلاثة أبحر هي الطويل والبسيط والوافر، كما أنّه تأثر بمنهج الدراسة الأدبية في السوربون وهو منهج يقوم على شرح النصوص.<sup>٢</sup>

أمّا العامل الثالث الذي يؤدّي إلى تكوين مندور النظري والمنهجي فهو آراء الناقد جوستاف لانسون "وأفكاره التي لعبت دورا هامّا في تكوينه التّظري والمنهجي فقد اطلع

<sup>١</sup> مجلة فصول، اتجاهات النقد العربي الحديث، المجلة ٩، العدد ٤/٣ فبراير ١٩٩١، ص ٥٦

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٥٧

على آرائه عن طريق أتباعه الذين التحقوا بالمدرسة اللانسونية Le Lansonisme. وأيضا اطلع على آرائه من خلال دروسه التي تلقى من كتاباته النقدية والأدبية<sup>١</sup>.  
المّ محمد مندور بالنظريات الحديثة في علم الاجتماع والفنون فأثر الواقعية الاشتراكية، وكان ثورة الضباط الأحرار (١٩٥٢م) أعظم أثرا في فكره فأصبح داعيا للعدالة الاجتماعية وحرية الفكر.  
فمن أهمّ المكونات النظريّة والأصول المعرفيّة في مجال الممارسة النقدية التي تبني عليها مرجعيّاته الفكرية:

١. التقائه بالأستاذ طه حسين في الجامعة المصرية

٢. إقامته بفرنسا ومعابنته المشروع العقلائي الغربي عن قريب

٣. اطلاعه على آراء جوستاف لانسون

٤. إلمامه بالنظريات الحديثة في علم الاجتماع والاقتصاد والتزام الفنون بهذه النظريات أو بتعبير أدق إحساسه بضرورة تكييف الآداب والفنون في إطار الواقعية الاشتراكية.

يرى محمد مندور أنّ أساس العمل النقدي هو التآثر والذوق الشخصي، وهنا يمكن للناقد أن يدرك الحقيقة إدراكا صحيحا، كما هو يقول " أساس كل نقد هو الذوق الشخصي تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية، والنقد ليس علما ولا يمكن أن يكون علما، وإنّ وجب أن نأخذ فيه بروح العلم"<sup>٢</sup>.

رؤية مندور تجاه صفات الناقد ووظائفه

يرى محمد مندور أنّ من صفات الناقد البارِع أن يكون متّصفا بروح العلم والأخلاق، وأنّ يعبّر عن أفكاره بأصالته غير متّكل على التعابير الموروثة، وإذا صدر أحكامه على الأعمال الأدبية فتكن أحكامه مسندا بالعقل، وأنّ يكون الناقد فطينا

<sup>١</sup> المرجع السابق، ص ٥٧.

<sup>٢</sup> محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ١١

دائماً حتى يستطيع أن يميّز بين المعنى الاصطلاحي والمعنى الاشتقاقي.

فهو يقول فيه: " فمن واجب الناقد أن يسלט ضوء العقل على ما يقول ليتبين فيه مواضع الإسراف أو التحول العاطفية، وهذا أمر يكتسب باتساع العقل وبسطة الثقافة، والحذر من الهوى وطول المران، فالأهواء تزداد دائماً قوة وتحكما في الفرد كلما ازداد أفقه ضيقاً وثقافته فقراً، ونفسه ضحولا".<sup>١</sup>

ويواصل القول ويقول: " ومن واجب الناقد أن يظن دائماً إلى التمييز بين المعنى الاصطلاحي والمعنى الاشتقاقي حتى لا يخطئ فهم الكاتب أو يحمله ما لا يريد، ولنضرب مثلاً بلفظة (الزكاة) فمعناه الاشتقاقي هو التطهير، وأمّا معناها الاصطلاحي فمعروف في الدين الإسلامي، والفرق بين المعنيين كبير".<sup>٢</sup>

وهو يقول أيضاً: " ومن واجب الناقد أن يضطره دائماً إلى أن يبحث - ككاتب - عن تعبيره هو عن فكرته بدلا من أن يلجأ إلى استعارة ذلك التعبير من كتابه الماضي".<sup>٣</sup>

### رؤيته النقدية في إطار المناهج

إنّ المناهج النقدية لها أهمية بالغة في الدراسات الأدبية، يتناول الناقد الأعمال الإبداعية في ضوءها، وينتهي إلى نتائج حاسمة، فأكثر النقاد يصرون على وجوب اختيار المنهج المناسب، قبل بداية العملية النقدية، حتى يبتعد عن المضرات العشوائية.

غير أنّ الناقد يمرّ بمراحل مختلفة قبل اتخاذ منهج حاسم فهو يمارس مناهج مختلفة قبل الاستقرار على منهج خاصّ، فيقول محمد مندور عن تجربته بهذا الصدد: " لم يتكوّن مذهبي في النقد للدراسة الأدبية في مصر والخارج وحدها، بل تجارب حياتي أيضاً شاركت في تكوين هذا المذهب، ولذلك يصحّ القول بأنّه قد تطوّر مع اتساع

<sup>١</sup> محمد مندور: في الأدب والنقد، م، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص ١٢

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ص ٢٠-٢١

<sup>٣</sup> محمد مندور: في الأدب والنقد، ص ٢٢

تجاري في الثقافة والحياة شيئا فشيئا على مرّ الأيام وعلى ضوء مزاولتي الفعلية للنقد خلال العشرين عاما الأخيرة".<sup>١</sup>

نريد أن نشير إلى المراحل التي مرّ بها محمد مندور في الممارسة النقدية التي فيما تلي:

**المرحلة الأولى:** النّقد التأثري أو الانطباعي، فهو الذي كان سائدا في النقد العربي القديم في صورته البدائية الساذجة، غير أنّه ظهر في طوره الجديد في العصر الحديث عندما يؤسس بعض النقاد من تطبيق أصول النقد تطبيقا ميكانيكيا.

**المرحلة الثانية:** النّقد التاريخي، يتّبع مذ هنا طريقة لانسون في تفتيش جذور النص الأولى والبيئة التي تشكّل فيها.

**المرحلة الثالثة:** النقد الأيديولوجي، هنا يقدر الناقد قيمة الأدب أو الفنّ وفق وظيفته في إطار مذهب فكريّ.

## ١. المنهج التأثري الذوقي

يرى محمد مندور أنّ مفهوم الذوق أو التأثير هومن رواسب شعورية وعقلية يظهرها الباحث ويعلّلها، ويرى أنّ الذوق هومن وسائل المعرفة الأدبية، لأنّ المعرفة لا تجدي بدون الذوق، ولا يمكن لدارس الأدب أن يتفرس لبّ النصّ الأدبي دون الذوق. يرى محمد مندور أنّ المنهج التأثري هو أقدم المناهج، وظلّ قائما إلى يومنا هذا، فيقول فيه: "إنّ أقدم منهج للنقد ظهر في التاريخ القديم قد كان المنهج التأثري الذي صاحب ظهور فنون الأدب المختلفة، وبخاصّة فنون الشعر، ولكن هذا المنهج كما قلنا لم يختف قط، بل ظلّ قائما وضروريا حتى اليوم، وكل ما طرأ عليه هو أنّه قد أصبح يعتبر مرحلة ضرورية وأساسية وأولى في النقد، ولكنه ليس النقد كله ولا يمكن الاكتفاء به والوقوف عنده، بل يجب أن تتبّعه مرحلة أخرى تفسر وتبرز التأثيرات التي

١ محمد مندور: معارك أدبية، م، نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص ٣-٧

نتلقاها عن العمل الأدبي بأصول ومبادئ موضوعية عامة..... حتى نستطيع أن نحول ذوقنا الخاص إلى معرفة موضوعية يستطيع الغير أن يقبلها أو يرفضها في ضوء الإدراك الفكري الذي هو أعدل الأشياء قسمة بين الأصحاء من البشر".<sup>١</sup>

فإذن يرى محمد مندور أنه لا يمكن أن ندرك القيم الجمالية بأيّ تحليل موضوعي ولا بتطبيق أصول وقواعد حتى اجتاز بالنقد التأثري، فلا بدّ للناقد الخبير أن يهتم بالانطباعات التي يفهمها عند القراءة الأولى للنصّ أو العمل الأدبي، ثمّ يأتي بالقواعد والأصول فيحلّل ويعلّل، فلا يجوز تقويم بحسب للنقد التأثري، يقول بهذا المضمون:

" فالمنهج التأثري الذي يسخر منه اليوم بعض الجهلاء، ويظنّونه منهجا بدائيا عتيقا باليا لايزال قائما وضروريا وبديها في كل نقد أدبي سليم، مادام الأدب كله لا يمكن.....وقد يقال إنّ النقد التأثري القائم على الذوق الفردي يفتح المجال أمام التحكم والأهواء والتضارب إلى الحد الذي يجعل من الأبيض أسود أو يزعم أنّ القبيح جميل في نظره، ولكن هذا لا يصحّ إلّا إذا زعمنا أن النقد التأثري يقوم بالعملية النقدية كلها ويكتفي بذاته، وأمّا عندما نقول إنّه مرحلة أولى وضرورية في عملية النقد على أن تتبّعها بعد ذلك مرحلة أخرى موضوعية يفسر ويبرز فيها الناقد انطباعاته بحجج موضوعية يستطيع الغير مناقشتها فإننا لا نرى محلاً للخوف من تلك المخاطر"<sup>٢</sup>

إنّما تمثّل هذا المنهج تلك المقالات التي كان ينشرها في المجلتين (الرسالة) و(الثقافة) ثم جمعها في كتابه (الميزان الجديد) وأمّا كتابه (النقد المنهجي عند العرب) فصورته الأولى هي الرسالة للدكتوراه، وهو إيضاح لطريقته.

## ٢. المنهج التاريخي

<sup>١</sup> محمد مندور: الأدب وفنونه، م، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص ١٢٨

<sup>٢</sup> المرجع السابق، ١٢٩-١٣٠

واتبع محمد مندور بهذا المنهج ودعا إليه في دراسة الأدب العربي وتاريخه، وهذا المنهج يعتمد على آراء " لانسون" في التاريخ الأدبي والنقد الأدبي كليهما، يقول خلال دعوته للمنهج التاريخي " نفضّل الأخذ بالمنهج التاريخي حتى عندما نحاول أن نضع للنقد حدّه، وهذا المنهج الذي استقر الباحثون على جدواه منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى اليوم، وبفضله جددت الإنسانية معرفتها بتراثنا الروحي وزادته خصبا".<sup>١</sup>

يسمّي محمد مندور هذا المنهج بالمنهج الفرنسي ويراه أفضل طريقة لدراسة الأدب وخاصة الأدب العربي فيقول: " منذ عودتي من أوروبا أخذت أفكر في الطريقة التي نستطيع بها أن ندخل الأدب العربي المعاصر في تيار الآداب العالمية، وذلك من حيث موضوعاته ووسائله ومنهج دراسته على السواء، ولقد كنت أومن بأنّ المنهج الفرنسي في معالجة الأدب هو أدق المناهج وأفعالها في النَّفس".<sup>٢</sup>

وقد شتّت جهود مندور الأدبية بعد إتمام رسالة الدكتوراه بين المجالات المختلفة من التدريس والصحافة والنزعة للنيابة والمحاماة، ورغم هذه المشاغل العديدة، لم تزل مزاولته في النقد ولم يزل يدعو محمد مندور إلى النقد التاريخي اللانسوني، فدعا إليه خلال إلقاء دروسه على الطلبة لمعاهد وكتابة المقالات الصحفية كلما تعرّض للموضوع أي عن التّاريخ الأدبي أو النقد الأدبي.

يبين محمد مندور نظريته للعملية النقدية، ودوافع الأخذ بالمنهج التاريخي في مقدمة كتابه " النقد المنهجي عند العرب" فيقول: " إذن فمن الخطأ أن ننظر إلى النقد في جملته، ونصرف النظر عن مراحل التاريخية، ونرى فيه علما كامل التكوين نحاول أن نميّز بينه وبين علوم اللغة الأخرى بعد أن تحجّرت تلك العلوم، لأن في ذلك ما يخلق مشاكل باطلة، كما أنه لن يؤدّي إلى نتائج يعتد بها في فهم حقائق الأشياء فهما تاريخيا، بل ولا فهما تقريبا، ومن الثابت أننا لا نستطيع فهم شيء فهما صحيحا بالنظر فيه

١. مجلة الكلمة، تاريخ الأدب في النقد العربي الحديث: المنطلقات والنتائج، العدد ١٣، يناير ٢٠٠٨.

٢ محمد مندور: في الميزان الجديد، المقدمة، م، مؤسسة هندواوي، ٢٠١٧.

عند آخر مراحلها<sup>١</sup>.

فإذن يريد مندور أن يشير إلى أن يفهم النقد بالمنهج التاريخي لأن هذا هو المنهج الذي أخذت به الإنسانية المعرفة بالتراث النقدي العربي من البداية إلى اليوم، ولذا يشكّل الكتاب "النقد المنهجي عند العرب" أحد المرجعيّات الأساسيّة في التراث الروحي العربي.

لقد تمثّل هذا المنهج المذكور تلك المحاضرات التي ألقاها أمام الطلبة للدراسات العربية بالمعهد العالي لجامعة الدول العربيّة مثل ما تحدّث عن " خليل مطران"، و" المازني"، و"الشعر المصري بعد شوقي" و" ولي الدين يكن" و" إسماعيل صبري".

### ٣. المنهج الأيديولوجي

يختلف النقد الأيديولوجي عن المنهج الاعتقادي، هو يسعى إلى تفسير مصادر الأدب والفن وأبعاد العمل الأدبي وأهداف الأدب ووظائفه، ويحلّلها تحليلا وافيا، ويبرز جوانبها حتى يتحقّق مفهوم النقد ولا يبقى أيّ شيء في طور إبهام، وهو منهج يأخذ فيه الأديب موضوعه من الأدب أو الفن فيفضّل التجربة الحيويّة المعاشية على التجربة التاريخية السالفة في ضوء قيم المجتمع وقضاياه والتقاليد النقدية والجمالية.

وأما رؤية محمد مندور عن هذا المنهج فيقول: " وهو منهج لا يريد أن يسلب الأديب أو الفنان حريته، وكل ما يرجوه هو أن يستجيب الأديب والفنان لحاجات عصره وقيم مجتمعه بطريقة تلقائية، وهو لا بد مستجيب إذا فهم وضعه الحقيقي في المجتمع وأدرك مسؤوليته الكاملة، ونهض بالدور القيادي الحر الذي يعزز مكانة الأديب والفنان ويرتفع بها إلى مستوى الإيجابية الفعالية التي يعتبر الاحتفاظ بالقيم الفنيّة والجمالية أهم وسيلة لتحقيقها، فالأدب أو الفن بغير القيم الجمالية والفنية لا يفقد طابعه المميز فحسب، بل يفقد أيضا فاعليته، لأن تلك القيمة الفنية

<sup>١</sup> محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة. مصر للطباعة والنشر القاهرة، ص ١٠-١١

والجمالية هي التي تفتح أمامه القلوب والعقول".<sup>١</sup>

إذا قمنا بالدراسة الشاملة للتاريخ فيتبيّن أنّ الثورات الاجتماعية أو الحركات الأدبية والأحداث حيثما حدثت وأينما وقعت فتغيّرت الأفكار وتبدّلت الاتجاهات حول وظائف المجتمع والأدب، ثمّ ظهرت هذه التغيرات الفكرية بكتابات الأدباء سواء أكانت هذه الكتابات حول المجتمع والإنسانية أو الفن والأدب أو عن الأدباء أنفسهم، فهذا التغير والتحول قد وقع في حياة محمد مندور إذا حدثت ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢ م. فقد تحوّل المجتمع والأدب من حيث وظائفهما، فرأى محمد مندور أن الأدباء هم أرواح الإنسانية، والمعبّرون عن هذا المجتمع للإنسانية، فكان يحرص على أن يؤدّي الأدباء مسؤولياتهم نحو الإنسانية ويلعبون فيها دوراً هاماً، فهذا هو تحوّل مندور الفكري الذي يدفعه إلى استخدام المنهج الأيديولوجي، كما أشار إليه قائلاً:

" وقد دفعت إلى اعتناق هذا المنهج نتيجة لاهتمامي بالقضايا العامّة وبالنوعي السياسية والاجتماعية في حياتنا، ثم لإيماني بالفلسفة الاشتراكية وازدياد إيماني بها كلما ازدادت معرفة بواقع مجتمعنا أثناء عملي في الصحافة والمحاماة والبرلمان وبحكم نشأتي الريفية واستمرار صلتني الوثيقة بالريف وأهله وطبقات شعبنا الكادحة المظلومة".<sup>٢</sup>

أعجب محمد مندور بالنقد الأيديولوجي عندما حدثت ثورة الضباط الأحرار لسنة ١٩٥٢، فرفع شعار " الأدب نقد للحياة " داعياً إلى الالتزام في الأدب، والاهتمام بالفن القصصي، كما دعا إلى القصة الواقعية التي تقيم بأداء وظيفتها الاجتماعية، وهكذا حدّد المنهج الإيديولوجي، ويشتمل فهمه النظري للأدب الواقعي على ثلاث مهام أساسية:

١. تفسير الأعمال الأدبية والفنية وتحليلها لمساعدة عامّة القراء على فهمها

<sup>١</sup> محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، ص ١٩٠

<sup>٢</sup> فؤاد دواره، عشرة أدباء يتحدثون، ص ٢٦٢، م دار هلال، ط يوليو ١٩٦٥

وإدراك مرامها القريبة والبعيدة، وفي هذه الوظيفة يعتبر النقد عملية خلاقة قد تضيف إلى العمل الأدبي والفني قيما جديدة.

٢. تقويم العمل الأدبي والفني في مستوياته المختلفة أي في مضمونه وشكله الفني ووسائل العلاج كاللغة في الأدب، والتكوين والتلوين وتوزيع الضوء والضلال في التصوير مثلا، وذلك وفقا لأصول كل فنّ مع مراعاة تطور تلك الأصول عبر القرون.<sup>١</sup>

٣. توجيه الأدباء والفنانين في غير تعسف ولا إملال، ولكن في حدود التبصر بقيم

العصر وحاجات البشر ومطالبهم وما ينتظرونه من الأدباء والفنّانيين.<sup>٢</sup>

والحقيقة أنّ المنهج الأيديولوجي يمدّ النقد كثيرا من القضايا الأدبية والفنية التي ترتبط بالحياة المعاصرة وقضاياها مثل قضية (الفن للحياة) وقضية (الأدب والفن الهادفين)، وقضية (الواقعية في الأدب والفن)، وقضية (التزام في الأدب والفن) وغيرها. وهذا المنهج تمثله آثار مندور الأدبية التي كتبها عن الأدب والفنّ مثل " قضايا جديدة في أدبنا الحديث " و" الأدب ومذاهبه " و" الأدب وفنونه " و" النقد والنقاد المعاصرون"، وكتبه عن المسرح ونقده.

فالجمله استفاد محمد مندور بأهمّ النظريات الشائعة في عصره كما أنّه تعمّق في الموروث الثقافي العربي القديم، فتشكّلت رؤيته تجاه المناهج النقدية الراجحة في عصره. فهو يقدرّ المناهج النقدية تقديرا متوازنا دون ميل إلى أحدها، اللهم إلاّ أنّه أصبح يؤثر الواقعية الاشتراكية بعد عام ١٩٥٢م. وله ممارسات نقدية كثيرة نظرا وتطبيقا التي ظهرت في صورة المقالات والمؤلفات.

### المصادر والمراجع

١. مجلة فصول، اتجاهات النقد العربي الحديث، المجلة ٩، العدد ٤/٣ فبراير

<sup>١</sup> صلاح فضل: في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧، ص ١٠٢-١٠٣

<sup>٢</sup> عمر محمد الطالب، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، دار اليسر للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٢،

١. ٢. عمار بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: ١: ١٩٩٠ م.
٢. محمد مندور: في الأدب والنقد، م، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة
٣. محمد مندور: معارك أدبية، م، نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة
٤. ٥. محمد مندور: الأدب وفنونه، م، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة
٥. محمد مندور: في الميزان الجديد، المقدمة، م مؤسسة هنداوي، ٢٠
٦. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة. مصر للطباعة والنشر، القاهرة
٧. محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، ط ٧، مايو ٢٠٠٨ م، م، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
٨. فؤاد دواره: عشرة أدباء يتحدثون، م، دار هلال، ط يوليو ١٩٦٥
٩. صلاح فضل: في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧
١٠. عمر محمد الطالب، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، دار اليسر للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٢ م
١١. فاروق العمراني: تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، الدار العربية للكتاب، القاهرة.
١٢. ربيع عبد العزيز: محمد مندور ونقد الشعر، دار رياض الصالحين بالفيوم، القاهرة
١٣. نعمان عاشور: مع الرواد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ م
١٤. غالي شكري: ثورة الفكر في أدبنا الحديث، القاهرة ١٩٦٥ م
١٥. بدوي طبانة: التيارات المعاصرة في النقد، نشر الأنجلوالمصرية ١٩٧١ م
١٦. جابر عصفور: إضاءات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٩٤ م

## اتجاهات بریم تشاند السياسية في مجموعة القصص

### "سوز وطن" (آلام الوطن)

سجاد أحمد زرغر<sup>1</sup>

#### ملخص

نشأت القصة القصيرة في الشبه القارة الهندية عندما كانت البلاد تترجح تحت وطأة الاستعمار وكان الصراع السياسي الثقافي يستمر عبر البلاد كما أن الشعب الهندي الذي يسكن القسط الأوفر منه في الريف، كان يعاني بالتخلف والاستغلال. تأثر بریم تشاند بالمناخ السياسي والثقافي في عصره كما قرأ قصص أعلام الأدب العالمي مثل تولستوي وتشيكوف فألف قصصا محتوية على الموضوعات التي تهم الشعب، فلا تعكس قصصه الصراعات السياسية والثقافية فحسب، بل هي تقدم نماذج إيجابية للإصلاح والثورة، فمجموعة قصصه الأولى "سوز وطن" (آلام الوطن) تمثل هذه الاتجاه، سأحاول في هذه المقالة أن ألقى الضوء على جوانب مختلفة لهذه القصص.

يعد بریم تشاند أهم وأكبر كاتب القصص القصيرة للأدب الأردني الذي جعل قصصه وسيلة فعالة لتقديم الی القراء أحداثا سياسية واجتماعية بطريقة مقنعة ولتصوير صورة حية صادقة للرسوم والعادات الاجتماعية المسيطرة على الحياة الهندية في منتصف الأول من القرن العشرين، وكان كاتبًا عالميًا اطلع على الأعمال الأدبي العالمي لجميع أفضل كتاب القصص القصيرة في العالم عامة والأدب الروسي خاصة، وترجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم، فقد أتقن فن الرواية والقصة القصيرة حتى سيطر بفضله على معاصريه، فاعترف الجميع بأنه أفضل كتاب القصة في

<sup>1</sup> باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سري نغر

الأردية، مر بمراحل عديدة على طريقه الفني الأدبي حتى وصل إلى مكانة مرموقة.

كان بریم تشاند في إبداعاته مليئًا بالمشاعر الإنسانية والرحمة، فقد كان يطالع نتاج الأدباء الذين كانوا يركزون على الجوانب المشرقة والحسنة للإنسانية مثل تشيخوف وتولستوي وطاقور. إنه يعترف بنفسه بأنه كان معجبًا بقصص هؤلاء الأدباء خلال حوار ألقاه معه الكاتب الهندي البارز داس تشاترجي البنارسي<sup>1</sup>.

بدأ بریم تشاند حياته الأدبية بمجموعة القصص "سوز وطن" (آلام الوطن) في سنة ١٩٠٨م كما ذكرت أنفًا، وكانت المجموعة محتوية على قصص رومانسية و تاريخية تعبر عن حبه للوطن وروح الاستقلال من سيطرة الإنجليز، ثم اتجه بعد ذلك إلى كتابة القصة الاجتماعية الواقعية، وركز على موضوعات خاصة بالطبقة المتوسطة، فنقد عادات المجتمع الهندي الفاسدة، فشملت قصصه قضايا خاصة بالبيئة الهندوسية والبيئة المسلمة على حد سواء، مثل قضية زواج الأراذل وزواج الصغار وكذلك تناول قضية الفلاحين الذين كانوا يزرعون الأراضي الهندية دون أن يكونوا مالكيها ويتحملون المشقات وأعباء القروض طوال حياتهم، والعلاقات بين الزوجة وحماتها وبين السادة ومخدوميهم، وقام بریم تشاند بالدفاع عن طبقة المنبوذين داخل المجتمع الهندي.

وهذه المجموعة تعبر بطريقة فعّالة عن المشاعر والأفكار الصافية للوطنية والحرية، لأنه في بداية القرن العشرين كانت البلاد تعاني من عالقة في العبودية، في ذلك الوقت كان كل هندي يعيش في بيئة سياسية سيئة، وفي مثل هذه البيئة استعاد بریم تشاند وعيه، ومع مراعاة البيئة الاجتماعية والسياسية للهند، فقام كفنان وكاتب حساس ملقيًا الضوء على هذه القضايا في مجموعة من القصص مثل "آلام الوطن".

لا تعكس هذه الكتابات عقل بریم تشاند وطبيعة فحسب، بل تصوّر أيضًا

---

<sup>١</sup> د. قمر رئيس، "بریم چند کے نمائندہ افسانے" (أقاصيص بریم تشاند البارزة)، المطبع ايم- اے

الظروف السياسية والاجتماعية السائدة، وفي نفس الوقت يظهر شعور جديد، ووعي جديد، وكذلك لا تظهر هذه المجموعة من القصص حب بريم تشاند لوطنه وعامة الناس الذين يعيشون فيه فحسب، بل أخذ هذه المشاعر بجدية وجعلها وسيلة لخدمة الوطن والأمة، كما عبّر عنه في مقدمة "آلام الوطن" هو كما يلي:

"إن بلادنا بحاجة ماسة إلى كتب ترسم الآن صورة لعظمة الوطن على كبد الجيل الجديد".<sup>1</sup>

وهي المجموعة التي تشتمل على خمس القصص القصيرة، أما عناوين قصص هذه المجموعة فهي "دنياكا سب سے انمول رتن" (أثمن الشيء في العالم) و "شيخ مخمور" (الشيخ مخمور) و "بهي ميرو وطن بے" (هذا هو وطني) و "صله ماتم" (أجر الألام) و "عشق دنيا اور حُبِ وطن" (عشق الدنيا وحب الوطن). والظروف السياسية السائدة في المجتمع الهندي قبل الاستقلال كانت هي موضوعاته، وفي هذه المجموعة صور الكاتب المشاعر والأفكار الصافية عن الوطنية والحرية تصويراً حيويًا، من اسم هذه مجموعة القصص الأولى يمكن فهم حالة قلبه وألمه الحقيق فهِمًا جيدًا.

تستند القصة الأولى للمجموعة "أثمن الشيء في العالم" إلى شوقه للحرية، ففي هذه القصة صور أهمية حرية الوطن ولفت انتباه الشعب الهندي بأن روح الحرية يجب أن تكون في قلب كل إنسان، يأتي بطل القصة "دِلْفَجَار" إلى بلاط "الملكة دِلْفَارِب" بأخر قطرة دم من صدر جندي أثناء وفاته في ساحة المعركة وقدمها في خدمة الملكة وتقبل هذه الهدية الثمينة بمحبة واحترام، في هذه المناسبة عبر بريم تشاند عن شغفه بالحرية بكلمات "الملكة ديلفارب" قائلاً:

"يا محب الحياة! من اليوم أنت سيّدي وأنا خادمك التافهة لأن آخر

---

1. د. علي أحمد فاطمي، "بريم تشاند- بريم تشاند نئے تناظر میں" (بريم تشاند- في وجهة النظر الجديدة)، ص: ١٧٦.

قطرة دم تسقط في حماية الوطن هي أعلى في العالم منذ اليوم "١.  
والقصة الثانية من هذه المجموعة "الشيخ مخمور" تحتوي أيضًا على مشاعر  
الوطنية، في هذه القصة هناك التعبير عن الرغبة في الحرية والشعور بالنضال  
والشجاعة لكسر قيود العبودية يتجلى هذا في الحوار التالي يخاطب فيها الأمير مسعود  
جنوده بزي الشيخ محمود قائلاً:

"أنتم تعلمون أن العدل والحق سيسودان - أمسكوا السيوف بأيديكم  
واهجموا على الأعداء باسم الله، إنما بوادر جباهكم ترجى لنا أن الفتح  
لكم"٢.

فالشباب أمير وطني ضحي بأمرته من أجل حب بلاده وحارب من أجل الوطن  
كجندي عادي وقاد جنود بلاده لزيادة حماسهم.

القصة الثالثة لهذه المجموعة "يهي ميروا وطن به" (هذا هو وطني) مليئة بالألم  
الوطني والعاطفة للحرية، وهي قصة رجل هندي يحب بلاده ويودع وطنه في الثلاثين  
من عمره ويغادر إلى أمريكا. كان لديه كل من وسائل الراحة في أمريكا ولكنه لم يزل حب  
الوطن يطاردته فكان من وُدّه أن تنتهي حياته في الهند الحبيبة وبعد ستين سنة يعود  
إلى وطنه إذ كان عمره تسعين عامًا، لكنه عندما يري هجوم الحضارة الحديثة من  
جميع الجهات على وطنه فيصرخ:

"ليس هذا بلدي الحبيب، لم أت حتى الآن لأرى هذا البلد، هذه دولة  
أخري، ليس بلدي الحبيب"٣.

في حالة من اليأس بعد أن رأى هذا النوع من المواقف، وصل أخيراً إلى ضفاف نهر  
"غانغا" حيث يشاهد ثقافته الهندية المفقودة والمحبة فيستمتع بلقاء الناس في

---

١. بریم تشاند: "سوز وطن" (آلام الوطن)، إله آباد، الطبع الثالث ١٩٨٠م، ص: ٣١.

٢. نفس المصدر، ص: ٣٣.

٣. بریم تشاند: "سوز وطن" (آلام الوطن)، إله آباد، الطبع الثالث ١٩٨٠م، ص: ٣٦.

مجتمعه، فيغوص في نهر "غانغا" ثم يجد ثقافته وحبه ويحقق هدفه في القدوم إلى الهند، بعد ذلك يترك وراءه كل شيء وهناك يقضي الأيام الأخيرة من حياته في بيت صغير بناه. ويحكي دكتور فردوس أنور عن هذه القصة قائلاً:

"بُذلت محاولات قوية لإظهار حب الوطن والتعبير عن الكراهية التي استقرت على حياة الهند في ظل السيطرة البريطانية ونتائج الوخيمة"<sup>١</sup>.

القصة الخامسة والأخيرة في هذه المجموعة هي "عشق دنيا اور حب وطن" (عشق الدنيا وحب الوطن) يترشح رسالة حب الوطن من عنوانها، تحتوي القصة على بضع صفحات تاريخية من الحياة "ميزاني" الوطني الإيطالي الشهير وقد رتبها بدقة وقدمها في شكل القصة أحسن تقديمًا، احتل الأعداء إيطاليا موطن "ميزاني" كما كانت الهند تحت الاحتلال البريطاني. ويحكي أ. د. على أحمد فاطمي عن هذه القصة قائلاً:

"من حيث الهدف والفن، هذه القصة هي قصة فريدة من نوعها لهذه المجموعة"<sup>٢</sup>.

في كل القصص من هذه المجموعة ما عدا قصة هي "صله ماتم" (أجر الأم) تتجلى التحمس الحقيقي لمحيي الوطن فنظر إلى حرية الوطن بعاطفة صادقة. أمر حكام ذلك الوقت بمصادرة هذه المجموعة بالنظر إلى الموقف السياسي للوطنية فيها. وتظهر أهمية هذه القصص أيضًا من خلال الشجاعة والجرأة التي نشر بها دون الاهتمام بأي شيء.

إن سمات الفكر السياسي والأدبي لبريم تشاند واضحة في قصص هذه المجموعة، فعلى الرغم من أن اللون الأسطوري والرومانسي يسود في هذه القصص ولكنه مع بعض الإيماءات والإشارات يروي تاريخ العبودية في بلاده ويوقظ الشعور القومي في

---

<sup>١</sup> د. فردوس أنور قاضي، اردو افسانه نگاری کے رجحانات (اتجاهات الكتابة القصصية الأردية)، مكتب عالية، لاهور، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص: ١٠٩.

<sup>٢</sup> أ. د. على أحمد فاطمي، بریم تشاند نے تناظر میں (بریم تشاند- في وجهة النظر الجديد) تخليق كار بيلشرز، دلهي ١١٠٠٩٢، ص: ١٦٤.

قلوب الناس، وكان يريد أن ينشأ في نفوس الناس روح تحرير البلاد، التي تمثل لها هذه المجموعة القصصية مرآة لتلك الحقائق.

رغم أن هذه المجموعة من القصص لم تصل إلى أعلى المستويات من حيث الفن واللغة والأسلوب لكنها من حيث الفكر مرآة للحياة السياسية والاجتماعية التي لا يمكن لأحد أن يختلف عنها، ومن خلال الحكايات عن الراجبوت<sup>١</sup> في هذه المجموعة يثبت بريم تشاند أنه يمكننا النضال من أجل حرية الوطن ولدينا روح الحرية.

ما زالت جميع الحركات السياسية في الهند مستمرة على قدم وساق في زمن بريم تشاند، هذا هو سبب وجود مزيج من اللون السياسي في قصصه، سواء أكانت الرواية أو القصة فقد كان مهتمًا بالقضايا الاجتماعية والسياسية في عصره، تمثلت قصصه أكبر قدر من المناخ السياسي في البلاد، هذا هو السبب أنها تحتوي الوعي السياسي والاجتماعي في البلاد، يقول د. عبادت بريلوي عنه:

"لقد لاحظ الحركات السياسية والاجتماعية في عصره وكان في طليعة تفسيرها وتفكيرها، هذا هو السبب أن جميع صور الحياة الاجتماعية للهند في عصره يمكن رؤيتها في قصصه"<sup>٢</sup>.

الحقيقة أن بريم تشاند كان ذا حس مرهف ومعرفة واسعة فتمكن فعقله الواعي وإدراكه العالي من أن يقوم بتسجيل البيئة السياسية والاجتماعية في قصصه وأيضًا أن يؤدي دور المصلح.

---

١. حكم الراجبوت شبه القارة الهندية لفترة طويلة (القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الميلادي) بسبب فضائلهم، وكانوا صادقين في أقوالهم وأفعالهم، ماهرين في استخدام السيوف، وخاطروا بحياتهم لإنقاذ شرفهم.

٢. د. عبادت بريلوي، "افسانه اور افسانے کی تنقید" (القصة ونقد القصة)، ناظم إدارة أدب وتنقید، لاہور، ۱۹۸۴ م.

## المصادر والمراجع

۱. د. قمر رئیس، "پریم چند کے نمائندہ افسانے" المطبع ایم- اے پرنٹرس دہلی، ص: ۱۰.
۲. د. علی أحمد فاطمی، "پریم تشاند- پریم تشاند نئے تناظر میں" ص: ۱۷۶.
۳. پریم تشاند: "سوز وطن" إله آباد، الطبع الثالث ۱۹۸۰ م، ص: ۳۱.
۴. د. فردوس أنور قاضي، اردو افسانہ نگاری کے رجحانات مکتب عالیة، لاہور، الطبعة الأولى ۱۹۹۰ م، ص: ۱۰۹.
۵. د. عبادت بریلوی، "افسانہ اور افسانے کی تنقید" ناظم إدارة أدب و تنقید، لاہور، ۱۹۸۴ م.
۶. ڈاکٹر احمد صغیر: اردو افسانے کا تنقیدی جائزہ (۱۹۸۰ بعد) مطبع عقیف آفسیٹ پرنٹرس، دہلی-۶.
۷. خالد حیدر: پریم چند کے افسانے (حقیقت نگاری اور دیہی زندگی) طباعت ایم-کے-آفسیٹ پرنٹرس، دہلی، ۱۹۹۹.
۸. مسعود رضا خاکی: اردو افسانے کا ارتقاء، مکتبہ خیال اسلام پورہ، لاہور، (ص-۱۱۲) ۱۹۸۷.
۹. مدن گوپال متل: پریم چند کی آپ بیٹی، مطبع ایچ-ایس-آفسیٹ پرنٹرس، نئی دہلی.
۱۰. عظیم الشان صدیقی: افسانہ نگار پریم چند، تنقیدی و سماجی محاکمہ- مطبع عقیف آفسیٹ پرنٹرس، دہلی-۶، اول ۲۰۰۶ء.
۱۱. سلیم اختر: "افسانہ اور افسانہ نگار" سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، ۱۹۹۱ء، ص: ۲۴.
۱۲. شفیق انجم: "اردو افسانہ" پورب اکادمی اسلام آباد، جولائی ۲۰۱۰ء،

## المظاهر الرومنطقية في شعر بروين شاكر

عمرجان باله<sup>١</sup>

### ملخص

بدأت الحركة الرومنطقية في الأدب الأردني كردّ فعل على حركة عليكرة، واعتنت بالفردانية والخارجية بدلاً من الجماعية، والتفت شعراء الأردية إلى الخيال بدلاً من الواقع، وخرجوا من البيئة الاصطناعية فلاحظوا الجمال الحقيقي للطبيعة وما وراءها، وأبدعوا عالماً جديداً من الأحلام والتطلّعات، وصوّروا مشاعرهم وأحداثهم الشخصية، وتّبّعوا في هذا الصدد الأسلوب والشكل المحدّد. وعالج الشعراء موضوعات جديدة في الشعر الأردني التي لم تألف في الأدب الأردني قبل. ولكن اتّخذوا مفهومها بطريقة مختلفة تماماً عن مفهومها في الآداب الغربية لاستخدامهم الرومنطقية عموماً بمعنى شعر الحب. والشاعرة "بروين شاكر" استخدمتها كذلك، واستطاعت أن تسحر العالم بلهجتها وأسلوبها وندرة فكرها وتعبير عاطفتها وتصوير مشاعرها، وأن تصف حياة المرأة والمشاكل الجنسية، والاضطرابات العائلية، والنوازل الفردية، والضغوط الاجتماعية، والمسارات الشائكة للحبّ بطريقة فريدة في شعرها.

كلمات مفتاحية: بروين شاكر، الرومنطقية، الحبّ، الطبيعة، المرأة

نبذة عن حياة بروين شاكر

كانت للشاعرة الباكستانية "بروين شاكر" مكانة بارزة في الشعر الأردني، واعتبرها الكثير من النقاد أهم شاعرات الأردية على مر العصور. كما تعدّ من أبرز رائدات الحركة النسوية الباكستانية، والمدافعات عن حقوق المرأة.

ولدت في "سند" بكراتشي، في عائلة مثقفة عام ١٩٥٢م، ونشأت بها. التحقت بكلية "سرسيّد للبنات"، وحصلت منها شهادة البكالوريوس، ثم نالت شهادة الماجستير في اللغة الإنجليزية، وفي اللغويات من جامعة كراتشي، وشهادة الماجستير في إدارة

<sup>١</sup> الباحث في الدكتوراه في قسم اللغة العربية وأدائها بجامعة كشمير

البنك من جامعة هاورد. وبعد أن أتمت دراستها عملت في حقل التدريس لتسعة أعوام، ثم التحقت بالخدمة المدنية في الحكومة الباكستانية، وتم تعيينها سكرتيراً ثانياً للمجلس المركزي للإيرادات. وشغلت لاحقاً منصب نائب كلكتر (نائب مندوب) في إسلام آباد. ثم سافرت إلى "أمريكا"، وبعد عودتها منها عام ١٩٩٣م، استقالت من منصبها السابق وحصلت على وظيفة في قسم اللغة العامة، وتولت منصب المدير فيه.

"تزوجت بروين من طيب باستاني يدعى "نصير علي"، ورزقا بطفل واحد، لكن زواجهما لم يدم طويلاً وانتهى بالطلاق. وفي ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤، اصطدمت سيارة بروين بحافلة ركاب في طريقها إلى العمل. وأدى ذلك الحادث المروع إلى وفاتها".

كان الوعي هو أبرز سماتها الذي فتح لها أبواب قوتها الإبداعية وقدراتها الشعرية، فهي الشاعرة التي استخدمت لأول مرة "ضمير المتكلم" في الشعر الأردني لكشف القضايا الخاصة بالمرأة. يقول مهدي عبد الله: "أما أشعارها فكانت مبنية حول تجربتها الخاصة في الحياة كامرأة شرقية مطوّقة باستبداد العادات والتقاليد وتراقب البيئة المحيطة المليئة بالظلم والنفاق الذين لم تستطع تغييرهما". أخذت نوعاً معيناً من الشعر الذي يسمّى "شعر النثر" إلى عالم جديد ومرتفعات جديدة، واستعملت فيه اللغة العادية بدلا من اللغة الشعرية العالية. وقد تبنى هذا النوع من الشعر عديد من الشعراء الكبار في عصره، فأصبحت آفاق هذا النوع من الشعر أوسع فأوسع. ويقول النقّاد: "أنها أول شاعرة في اللغة الأردنية التي استخدمت كلمة "فتاة" في أشعارها... كذلك استخدمت بروين الصيغة الأنثوية لضمير المتكلم التي لم تكن استعمالها شائعا في الشعر". ويقول أستاذها ومربّيها الشاعر أحمد نديم قاسمي: أنّ لمرزا أسد الله خان غالب شعرا، وهو

پهونکا ہے کس نے گوش محبت میں

اے خدا افسون انتظارِ تمنا کہیں جسے

يبدولي أنّ شاعريّة بروين شاکر هو انتشار وانعکاس لهذا الشعر.

## الرومنطيقية في الأدب الأردّي

بدأ في الأدب الأردّي في أواخر القرن التاسع عشر مرحلة جديدة بعد حركة عليكرة التي تؤكد على الحقائق والصفة الواقعية والتعقل، إضافةً إلى ذلك أنها تركز على البحث العلمي ولا يجوز الخروج عن هذه الصفات. وهي المرحلة تختلف عن المراحل السابقة، وفي تلك المرحلة حاول الشعراء الخروج من شرنقة الأفكار والموضوعات التي ظل الشعر الأردّي يتناولها لعدّة قرون، واتّجهوا إلى الحركات الأدبية التي جاءت من الغرب، ومن أهمها الحركة الرومنطيقية التي بدأت تؤثر بموضوعاتها ومظاهرها في الشعر الأردّي، فلقبت ترحيباً وقبولاً عندهم، لأنهم استطاعوا من خلاله التعبير عن رفضهم للظلم الواقع من حولهم، وعمّا يجيش في أنفسهم من حزن وضيق، وعن آمال شعوبهم في الحرية والعيش الكريم والعدل والمساواة. وأول من ثار على حركة عليكرة هو "مير ناصر على الدهلوي"، وسلك على منواله "محمد حسين آزاد" و"عبد الحلیم الشرر" و"عبد القادر" وأختر الشيراني" و"جوش مليح آبادي" وغيرهم. ولعبت المجلة "مخزن" دوراً أساسياً في تشييع الرومنطيقية في الأدب الأردّي. ومن المجلات الأخرى التي أسهمت في انتشارها هي؛ "تيرهوى صدى"، و"صدائك عام"، و"دلكداز"، و"فسانه أيام". وأما الحركة الرومنطيقية وإن جاءت في أواخر القرن التاسع عشر ولكن تطوّرت بعد الحرب العالمية الأولى تطوراً بالغاً. فكانت ثورة أدبية التي جعلت للأدباء والشعراء طرقاً جديدة لإظهار ما في صدورهم، فظهرت آثار الرومنطيقية ونزعتها في الشعر والنثر كليهما مضموناً وشكلاً.

وأما النزعة الرومانسية لدى الشاعرة "بروين شاكر" فقد ظهرت خاصة في مجموعتها الشعرية تحت عنوان "خوشبو" التي كان موضوعها الفتاة، والمجموعة انعكاس لحياتها. وتتجلى رومانسيتها فيها في اندماج الذات بالموضوع وفي تصويرها المرأة ووصف الطبيعة، وخاصة في أشعارها الحب. نظمت قصائدها الرومانسية المفعمّة بالمشاعر والعواطف والمواقف الرومانسية ذات النغم الكئيب، وهي تتألم من خلالها من الأسى وتئنُّ تحت وطأة المشاعر الكئيبية والجراح الموحجة، يعزى ذلك إلى الأوضاع

التي عاناها الشاعرة، وتعبّر خلال شعرها عن المشاعر والأحاسيس والشعور، وتتكشف عن جوهر العلاقة بينها وبين الحياة. وأيضا كانت قصائدها الرومانسية مليئة بالحبّ الذي كان في قلبها وعروقها تجاه وطنها، فصوّرت في قصائدها عن حبها العميق وتعلقها بالوطن وأهله، ومثّلت عنايتها بقضايا الوطن والسياسية.

## الحبّ

كانت كلمة الحب من الموضوعات التي اهتم بها أكثر شعراء الأردنية على مرّ العصور، وقد اهتموا بها اهتماما خاصا، والشاعرة "بروين شاكر" جعلتها محور شعرها، وأساس إبداعاتها، فيتجلى الحب واضحا في شعرها، ويدور حوله أنوثتها، وحساسيتها، وكرهها، تقول بنفسها: "إن فلسفة الحب هي أساس شعري، وفي هذا الصدد أرى المثلث الأبدي أي الإنسان، والخالق، والكون". وهي تقول أعطى الحب والعشق كل الأخلاق فكيف تكتسب الموهبة من الجمال.

عشق نے سارے سلیقے بخشے حسن سے کسب بنا کر کیا کرتے

يظهر بهذا أن كل شيء عندها هو الحب، وجعلته موضوعا لشعرها الذي يتسم بالعاطفة والحساسية والأنوثة. وعندما تخطو على طريق الحب يصبح هذا جزءا لا يتجزأ من حياتها، لأنها قدّمت كلماتها بإحساس الهدف، وذلك الهدف هو الحب، ولذا تصرخ في شغف الحب. فتقول:

تو میرا کچھ نہیں لگتا مگر اے جان حیات

جانے کیوں تیرے لئے دل کو دھڑکتا دیکھوں

قد وصفت عواطف حبّ المرأة، وتكشفت عن أحوال قلبها من الإخلاص والعلاقات الودّية بطريقة خفية وجميلة، وغنّت بجماليات الحبّ والمشاعر المشتعلة، وقدّمت من خلال أشعار الحب النزعة الفردية والذاتية وتجربتها الحية، ووصفت خلالها عدم التفات الحبيب وعدم ولائه، وتميز فيه عن الشعراء الآخرين في الأسلوب، وفي الصدق في التعبير عن العواطف والمشاعر العميقة التي تعتلج في أعماق النفس. فتقول عندما تحسّ عدم التفات الحبيب:

اب تو اس راہ سے وہ شخص گزرتا بھی نہیں  
اب کس امید پہ دروازے سے جھانکے کوئی

وتقول:

بمیں خبر ہے ہوا کا مزاج رکھتے ہو  
مگر یہ کیا کہ ذرا دیر کو رے بھی نہیں  
یتضح بهذا، أنها اعترفت بصدق عدم التفات حبيبها، وخيانتها.

### الطبيعة

الطبيعة هي الصورة الأولى للكون، وجعلها شعراء الأردية موضوعا لشعرهم، والتفتوا إليها ومظاهرها، ووصفوها وصفا دقيقا، لأن جمال الطبيعة قد جذبهم إليه، فاستكشفت الشعراء عن جوانب الطبيعة التي ترضى إحساس الفرد. والشاعرة بروين شاکر إحدى الشعراء التي مالت إلى الطبيعة ومظاهرها، وجعلتها موضوعا لشعرها، لأنها كانت منهمة فيها، فتنشئ المشاهد والأحداث بطريقة بديعة، وتبرع في التعبير والوصف عن مظاهر الطبيعة من خلال مشاعرها العميقة وأحاسيسها المرفهة ونظرتها العميقة للأشياء، وفاض عليها الألم والحزن. صوّرت في شعره الرومانسي جماليات من الطبيعة والكون والوجود بصورة مؤثرة، وتتميز في وصفها عن معاصريها. فتقول:

اس بار جو ايندهن کے لئے کٹ کے گرا ہے  
چڑیوں کو بڑا پیار تھا اس بوڑھے شجر سے

أظهرت الشاعرة في هذا الشعر علاقات الطيور للأشجار، وتقول إن قطع الشجر في الأصل هو قطع مجتمع الطيور، لأنها تبني البيوت للعيش على الأشجار.

وتقول:

تتلیاں آپ کے ہمراہ ہوتی ہے / اور رات کو جگنو ہنستے ہوئے آجاتے ہیں / زمیں  
پر پاؤں رکھتے ہوئے ڈر لگتا ہے / کہیں کسی پھول پر نہ آجائے / اے خدا / اس شہر کو  
بمیشہ آباد رکھنا / یہ تیرے بندوں کو / تجھ سے قریب لاتا ہے.

قدّمت الشاعرة في الأشعار المشهد الجميل بصورة بديعة، وتقول إن الإنسان عندما يقترب إلى الطبيعة تقلّ المسافة بينه وبين الله.

## المرأة

ظَلَّت المرأة في الشعر الأردني صورة مثالية، متخيّلة، بعيدة عن الواقع، ولكن الشاعرة بروين شاعر أعطت المرأة صورة الواقع في شعرها، وأخرجت المشاعر الأنثوية من عالم الأحلام إلى العالم الحقيقي، ومثّلت جيلا جديدا من النساء، وعبّرت عن المشاعر الأنثوية والمشاكل التي تواجه المرأة، وصوّرت القضايا العاطفية والنفسية للمرأة، واحتجّت بجرأة على ظلمها، وبيعد شعرها المرأة عن الجمود والضجر، وتجعلها تشعر بصعوبات حادة في وجودها وتبحث عن وسائل اكتشاف نفسها، وتعرف من هي، وتفوز بحريتها الداخلية والخارجية وبتحقيق ذاتها، وجعلتها استعارة للشجاعة والتصميم، وما من شاعرة تناولت المرأة من جميع زواياها، وأبعادها، وبأدق تفصيلاتها كما هي فعلت.

لقد صوّرت في مجموعتها الأولى "خوشبو" مشاعر فتاة مراهقة، وأمانها ورغباتها التي تشعر بها في قلبها، وتستكشف من خلالها تجارب حياتها الشخصية في تفكير عميق وخيال واسع، فتقول:

بونٹ بے بات ہنسی، زلف بے وجہ کھلی  
خواب دکھلا کے مجھے، نیند کس سمت چلی  
خوشبو لہرائی، میرے کان میں سرگوشی کی  
اپنی شرمیلی ہنسی میں نے سنی  
اور پھر جان گئی  
میری آنکھوں میں ترے نام کا تارہ چمکا  
وتقول:

تم مجھ کو گڑیا کہتے ہو، ٹھیک ہی کہتے ہو/ کھیلنے والے ہاتھوں کو میں گڑیا  
بی لگتی ہوں/ جو پہنا دو، مجھ پہ سجے گا، میرا کوئی رنگ نہیں/ جس بچے کا ہاتھ

تھما دو، میری کسی سے جنگ نہیں/ سوچتی جاگتی آنکھیں میری جب چاہے بینائی  
 لے لو/ کوکھ بھرو اور باتیں سن لو یا میری گویائی لے لو/ مانگ بھرو، سندور لگاؤ، پیار  
 کرو آنکھوں میں بساؤ/ اور پھر جب دل بھر جائے تو/ دل سے اٹھا کے طاق پہ رکھ دو  
 صورتی فی هذا، حیاة فتاة تدخل زمن الشباب ثم عكس امرأة مرتبطة بعقد  
 الزواج، واستغلالها في المجتمع، والأحداث التي تحدث للفتاة في مراحل مختلفة بحياتها  
 وتعبّر عن القضايا الاجتماعية والأسرية، وهكذا، تتحدّث في قصيدة "بشيرے کی گھر  
 والی" عن حریة المرأة وحقوقها المتساوية.

لقد برزت المظاهر الرومنطيقية في مجموعاتها الشعرية، واعتمد أكثر شعرها على  
 الرومنطيقية في طرح المسائل المتعلقة بالحب والجمال وما يكتفهما من صراعات،  
 والمرأة. واعتمدت في أفكارها على الذاتية التي تحتوي عواطف الحزن والأمل، ووسّعت  
 نطاق الأدب الأردی من خلال التعبير عن مشاعرها وعواطفها.

### المصادر والمرجع

۱. عرفان أحمد، "پروین شاکر کی شاعری کا تنقیدی مطالعہ" پی، ایچ،  
 ڈی، مقالہ، جواہر لال نہرو یونیورسٹی، ط: ۲۰۱۵.
۲. د. انور سدید، "اردو ادب کی تحریکیں" (ابتداءً اردو سے ۱۹۷۵ تک)،  
 ط: ۲۰۰۴، کاک آفسیٹ پرنٹرس دہلی.
۳. د. محمد خان اشرف، "اردو تنقید کا رومانوی دبستان"، ط: ۱۹۹۶،  
 طیب اقبال پرنٹرس، لاہور.
۴. دة. روبینہ شبّمن، "اردو غزل کی ماہ تمام پروین شاکر"، ط: ۲۰۰۴،  
 بہارت آفیسٹ، دہلی.
۵. د. محمد تنویر، "پروین شاکر کی شاعری ایک تنقیدی جائزہ"، ط:  
 ۲۰۱۴، عقیف پرنٹرس، دہلی.
۶. انجینئر وسیم فاروقی، "پروین شاکر کی شاعری نسائی جذبات  
 واحساسات کی عکاس"، روزنامہ نوائے وقت، نومبر ۲۰۲۰. وانظر:

"بم سب-كام".

٧. مهدي عبد الله، "الشاعرة الباكستانية بروين شاکر"، صحيفة الوسط، العدد، ٤٣٥٤، ٨ أغسطس ٢٠١٥.

٨. ناياب حسن، "پروين شاکر: شخصيت، شاعری، ساحری"، روزنامه قنديل، اي پيپر، ١ ديسمبر ٢٠١٩.

٩. نزار سرطاوي، "قد كان مكتوباً.. بروين شاکر"، صحيفة "حديث العالم"، فبراير ٢٠١٥.

١٠. أحمد نديم قاسمي، "خود کلامي کی پروين"، ماهنامه چهار سو، پاکستان، جلد ٣، شماره ٢٦/٢٧، سېتمبر-اکتوبر، ١٩٩٤.

١١. مجيد الله گل، "پروين شاکر کا فنی وفکری جائزہ"، لفظونه. کام، فروری ٢٠٢٠.

١٢. پروين شاکر، "کليات ماه تمام"، ط: فريد بکڈپو، نئی دہلی، ١٩٩٧.

١٣. [www.rekhta.org](http://www.rekhta.org)

١٤. [www.antolgy.com](http://www.antolgy.com)

## Re-view Committee:

- ❖ Prof. M. N. Khan  
Department of Arabic,  
University of Delhi  
[mnkhan04@rediffmail.com](mailto:mnkhan04@rediffmail.com)
- ❖ Prof. Ayub Tajuddin  
Department of Arabic,  
JMI, New Delhi  
[ayubnadwi@rediffmail.com](mailto:ayubnadwi@rediffmail.com)
- ❖ Prof. Syed Kafeel Ahmad Qasmi  
Department of Arabic,  
AMU, Aligarah  
[kafeelqasmi@gmail.com](mailto:kafeelqasmi@gmail.com)
- ❖ Prof. Syed Jahangir  
Department of Arabic,  
EFLU, Hyderabad  
[alhirafortnightly@gmail.com](mailto:alhirafortnightly@gmail.com)
- ❖ Prof. Habibullah Khan  
Department of Arabic,  
JMI, New Delhi  
[habibkhan2863@gmail.com](mailto:habibkhan2863@gmail.com)
- ❖ Prof. Rizwanur Rahman  
Centre of Arabic & African Studies  
JNU, New Delhi  
[rrahmanjnu@gmail.com](mailto:rrahmanjnu@gmail.com)

## Advisory Board:

- ❖ Prof. Ab. Majid Qazi  
Department of Arabic,  
JMI, New Delhi  
[drabdulmajidqazi@gmail.com](mailto:drabdulmajidqazi@gmail.com)
- ❖ Pz. Basheer Ahmed  
Department of Arabic,  
University of Kashmir  
[pz.bahmad@yahoo.com](mailto:pz.bahmad@yahoo.com)
- ❖ Prof. Abdul Rehman wani  
Department of Arabic,  
University of Kashmir
- ❖ Prof. Syed Rashid Naseem  
Department of Arabic,  
EFLU, Hyderabad  
[snaseem@yahoo.com](mailto:snaseem@yahoo.com)
- ❖ Dr. Shamas Kamal Anjum  
Department of Arabic,  
BGSB University, Rajouri  
[arabicbgsbu@gmail.com](mailto:arabicbgsbu@gmail.com)

ISSN: 2231-1912

**MAJALLAH AL-DIRASAT AL-ARABIA**

**JOURNAL OF ARABIC STUDIES**

An Annual Research Journal of Arabic Language & Literature  
Peer-Reviewed Journal (online and Offline)

No. : 18

Dec. : 2021

**Chief Editor:**

Prof. Shad Husain

**Editor:**

Dr. Tariq Ahmad Ahanger

**Editorial Board:**

Prof. Manzoor Ahmad Khan

Prof. Salahuddin Tak



**Post Graduate Department of Arabic**

UNIVERSITY OF KASHMIR, SRINAGAR – 190006

(NAAC ACCREDITED A+)

Telephone: 0194-2272330, 2272331 - Ext. 2330, 2331

E-mail: [hodarabic@kashmiruniversity.ac.in](mailto:hodarabic@kashmiruniversity.ac.in)